مايو (ايار) ١٩٨٥، شعبان - رمضان ١٤٠٥

المختار

من ريدرز دايجست

تمارين تقوي العلاقات الزوجية ١١
الملك الأعور ١٥
الطاحونة الحمراء ٢٠
لعبة البحر ٣١
إيطاليا ذات الوجهين ٤٦
تأملات ناشزة ٥٠
المؤمن لا يهاب الموت ٥٤
هل أنت محقق ناجح؟ ٥٨
القاتل بين إصبعيك ٦١
مصورو الكلاب ٦٥
طريق الأمل ٧٠
لا تقل وداعاً ٧٦
إثنان تحت نهر القمر ٧٩

تخلصوا نهائيا من الوزن الزائد
(ص ٣٣)

تحذير الى الاهل

الاضطهاد العاطفي يحطّم الطفل

(ص ٣٦)

يوميات مستكشف ٨٤
كاوبوي في آيسلندا ٩٢
العلماء يلاحقون الأمراض الغريبة ٩٦
كتاب الأعمار ١٠٣
رقصة العمر ١٠٦
الباراكوات، مبيد العشب والبشر ١٠٨
مفاتيح صغيرة لمعرفة أكبر ٤
كتاب الشهر: كارثة فوق جبل الظلام ١١٥
حديقة أفكار ٢٥ - الطب ٤٤ - صور من الحياة ٧٥ - الضحك ٩٠ - دائرة المعارف ١٠١ - تأملات معاصرة ١١٣ - القسيمة ١٤٠

أليك غينس من لا يعرفه؟
(ص ٣٨)

لبنان ١٠ ل - سورية ١٠ ل - الاردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - السعودية ١٠ر - مصر ٥٠٠م - السودان ١ج - ليبيا ٧٠٠ د - اليمن ٨ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - تونس ٦٠٠م - المغرب ٥د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وأمريكا الشمالية ٢،٥د.

AL MUKHTAR min Reader's Digest May 85· N° 78

تحفة التصميم والأناقة

رادو فلورانس مجموعة فائقة وفريدة
تقدّم كل ما يبتغيه باحث عن الأفضل. إنها
حقيقة تعكس ذروة المواد الفائقة: الأحجار الكريمة والمعادن الثمينة
وزجاج من الصّفير لا يشوهه خدش. جمال أخاذ وتصميم
رائع. أنيقة وخفيفة ومع ذلك مقاومة للماء.
رادو فلورانس تحفة التصميم والأناقة.

RADO رادو
FLORENCE

نموذج مسجل
انتاج سويسرا

المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: لولو بعاصيري. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.
رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.
الاشتراكات: فريال علاف.
التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.
الاعلانات والاشتراكات: بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان. الهاتف ٣٤٥٧٣١- ٣٤٩٤٧٧ التلكس MEM 22288 LE .
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.
مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE

AL MUKHTAR min Reader's Digest.

© 1985 BY AN NAHAR P.I.S.A. LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN INC.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Address: Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228, El-Metn, Lebanon.

May 85 N° 78 (New Series) Vol. 7

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.
الطبعات الدولية:

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: آلان دوليرو. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية، الى العربية.

حقوق النشر محفوظة لـ"المختار من ريدرز دايجست" بموجب اتفاق خاص مع شركة "ريدرز دايجست" في نيويورك، الولايات المتحدة. يحظر النقل من "المختار" او الترجمة او الاقتباس منها في اي شكل كان جزئياً او كلياً، في العربية او في اي لغة اخرى. وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية. وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية.

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٧ لغة.

تقنية الفن العصري

الموازن التخطيطي من شارب ذو ١٠ موجات تردد يضيف أبعاداً جديدة إلى تقنية الكاسيت المزدوج ...

GF-800Z(D)

مستوى جديد من الأناقة والأداء المتقن يضاف إلى تقنية أنظمة قطع الكاسيت المزدوج المتنقلة.. حتماً إنه من شارب . الموازن التخطيطي ذو ١٠ موجات تردد يمكنك من ضبط التناغم لملاءمة ذوقك الخاص بكل دقة ، بالإضافة إلى نقل الأصوات المسجلة الفائقة السرعة وطاقة موسيقية جبارة يبلغ أقصى مداها ٥٢ واط لتملأ أرجاء الغرفة وأي مكان متسع خارج المنزل بطاقة صوتية عالية. صوت ستريو كامل وغني بفضل نظام مكبرات الصوت ذات الاتجاهين المرفقة والقابلة للفصل . شارب اضافت أيضاً إلى هذا الجهاز مؤقت مبرمج يمكنكم من التسجيل وأنتم خارج المنزل ... وكذلك وحدة تحديد موقع البرنامج اوتوماتيكيا (APLD) والنظام الاوتوماتيكي للتوقف المؤقت (APPS) . هذه المميزات الرائعة اجتمعت في جهاز GF-800Z(D)/Z(S) الجديد الذي يجعل شارب الرائد في أنظمة الكاسيت المزدوج القابلة للحمل ، سباقاً في التقنية المتقدمة .

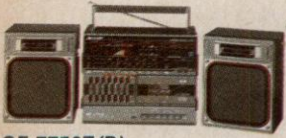

GF-7750Z(D)

GF-800Z(D)/Z(S) ستوفر أيضاً جهاز الذي يحتوي على موازن تخطيطي ذو ٥ موجات تردد وطاقة موسيقية يبلغ مداها الأقصى ٤٠ واط ، ونظام ارجاع اوتوماتيكي ومكبرات صوت ذات اتجاهين قابلة للفصل .

لمزيد من المعلومات يرجى بالاتصال بوكيل شارب المحلي .

العربية السعودية : حسين ع . سكلوع ص . ب ٧١٣ ، جدة ٢١٤٢١ تلفون : ٦٤٧٩٦٧٠ ، ٦٤٧٦٦٢٥

الكويت : شركة الاجهزة الفنية المحدودة ص . ب ٥٦٤٨ ، الصفاة تلفون : ٤١٣٦٧١/٤١٢٦٧٩

الامارات : كوسموس ص . ب ٦ ، دبي تلفون : دبي ٤٣٥٩١٨ ، ابو ظبي ٣٣٥٥٥٦ ، العين ٦٥٦١٢٢ ، شارقة ٣٧٧٩٦١

البحرين : متجر روبن ص . ب ٢٣٣ ، البحرين تلفون : ٢٥٤٧٩٥/٢٥٨٣٥٨/٢٤٠١١٥

عمان : شركة عمان للالكترونيات العصرية ص . ب ٧٠٨٨ ، مطرح تلفون : ٧٠٤٤٩٤ دارسيت ، ٧٠٦٠٠٤/٧٠٢٥٥٥ روى

قطر : شركة المفتاح التجارية ص . ب ٨٧٥ ، الدوحة تلفون : ٤١٣٦٨٧/٤١٣٠٧٦

لبنان : شركة التجارة العامة ش . م . ل . ص . ب ٤٩٥٥-١١ ، بيروت تلفون : ٤٨١٤٦٤ ، ٤٨٢٨٧٧ ، ٤٩٠٥٩٤

شارب
SHARP
شركة شارب ، اليابان

بين السطور

لم يكن منه بد

تعرض النقد اللبناني خلال الاشهر الاخيرة لسلسلة من الضغوط افقدت الليرة الكثير من قيمتها.

وانعكس هذا الامر تدهوراً في القوة الشرائية للعملة من جهة، وارتفاعاً في الاسعار من جهة اخرى.

وطبيعي ان يتأثر انتاج المطبوعات، على اختلافها، بارتفاع الاسعار ولاسيما اسعار الورق التي تضاعفت خلال اقل من سنة.

وقد سعت ادارة المجلة، خلال تلك الفترة، الى تقليص حجم النفقات الى الحدود الدنيا التي كادت تلامس المستوى التحريري والطباعي لـ«المختار». وهنا وجدت الادارة نفسها مضطرة، من أجل المحافظة على هذا المستوى، الى تحميل القارىء الجزء الاصغر من الاعباء برفع سعر النسخة (في لبنان وسوريا) الى ١٠ ليرات ابتداء من هذا العدد(★)

ان «المختار» التي تعرف مدى حرص قرائها على مستوى مجلتهم تأمل في ان تجد لديهم تفهماً لهذا التدبير الذي لم يكن منه بد.

«المختار»

(★) في بيروت، تباع النسخة من الطبعة الامريكية بـ٢٤ ليرة.

إذا كنت تظن أن ضعف الذاكرة
وشرود الذهن يفوِّتان
عليك فرص التعلُّم، فإليك
هذه الطرائق العملية
لتحسين الوضع

مَفاتيح صَغيرة لمعرفة أكبرْ

دعيت إحدى صديقاتي الى مأدبة عشاء حيث سمعت رجلين تعرفهما يتكلمان عن كتاب حول البرنامج الفضائي الخاص بكوكب عطارد. وبينما راح تد يسرد التفاصيل التقنية التي استمدها من الكتاب، اكتفى دان بإبداء بعض الآراء الشخصية. وقال لاحقا لصديقتي: "الواقع أن تد استخرج من هذا الكتاب معلومات تفوق تلك التي استخرجتها أنا. أوليس هذا دليلا على تفوقه في الذكاء؟"

وحارت صديقتي، وهي مربية، جواباً. فهي كانت تعرف أن الرجلين يتمتعان بمستوى علمي وحاصل ذكاء مماثلين. غير أنها عثرت على الجواب الضائع بعد كلامها مع الاثنين: لقد كان تد يفوق دان معرفة بطريقة التعلُّم. وهو تدرّب على الاستيعاب باللجوء الى طرائق بسيطة.

وكان المربون، حتى وقت قريب، يعتقدون أن مقدرة المرء على التعلم جامدة وغير قابلة للتبدل. الا أن كبار علماء النفس والمربين تحدوا هذه النظرية في العقدين الأخيرين. ويقول جاك لوكهيد مدير برنامج اكتساب المعرفة في جامعة مساتشوستس في أمهرست: "لدينا براهين متزايدة على أن الذكاء البشري قابل للنمو. ونحن نعرف أن في استطاعة الناس تحسين مقدرتهم

على التعلم اذا هم عوّلوا على المهارات الصحيحة."

وهذه المهارات ضرورية، وفي إمكان كل منا إتقانها عبر التمرين. وهنا ست طرائق موثوق بها لتقوية قدرتك على التعلم، مستمدة من كبار الخبراء في هذا الحقل.

١. أنظر الى الصورة الكبيرة أولا.

عندما تقرأ مادة جديدة وغير مألوفة، لا تغرق حواسك فيها مباشرة. وفي الامكان زيادة فهمك واستيعابك اذا نظرت الى تلك المادة نظرة إجمالية بادىء الأمر. ويجدر أن تمر سريعاً على العناوين الفرعية وكلام الرسوم وأي تلخيص مرافق. واذا كنت تطالع تقريرا أو مقالا، فاقرأ الجملة الاولى من كل مقطع. أما اذا كنت تطالع كتابا، فانظر أولا الى قائمة المحتويات والمقدمة.

هذه النظرة الاجمالية ترسخ في ذهنك ما أنت مزمع على قراءته.

٢. تمهَّل قليلا وحاور نفسك.

لئن تكن القراءة السريعة حسنة في حال المادة السهلة، فالمادة الصعبة أو المعقدة تحتاج الى قراءة بطيئة. وفي كتاب جامعي نقع على ثلاثة فوارق رئيسية بين طرائق التعلم الجيدة والسيئة:

■ المتعلمون الأكفياء يلجأون الى القراءة الصوتية للمادة التي يتعلمونها، إما نطقاً وإما قلبياً. وهم يتمهلون ويصغون الى وقع كل كلمة خلال القراءة.

■ المتعلمون الأكفياء يعيدون قراءة كل مقطع مشوش في أذهانهم حتى يتم لهم فهمه. أما المتعلمون الذين لا كفاية لهم فيتابعون القراءة وإن لم يحصل لهم الفهم من المرة الاولى.

■ المتعلمون الأكفياء ينشغلون بالمعلومات الجديدة التي يتسنى لهم الاطلاع عليها، بمعنى أنهم يفكرون في ما قرأوه وينظرون إليه نقديا قبل أن يقبلوه أو يرفضوه.

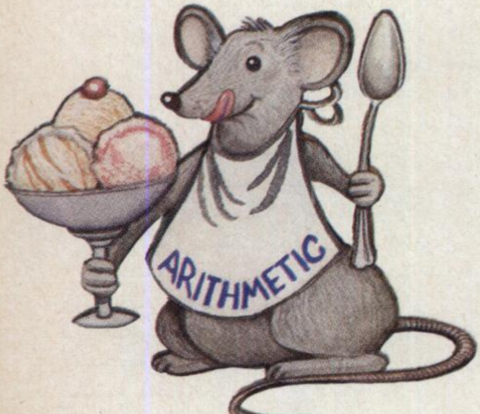

٣. تدرَّب على الوسائل التي تقوي الذاكرة.

جميع الوسائل التي تنتمي الى فن تقوية الذاكرة تقوم على ترتيب المعلومات الكبيرة ضمن مفاتيح لغوية صغيرة. فإذا كان علينا تذكر أسماء الأجرام التي تنتمي الى النظام الشمسي أو أسماء مجموعة من البلدان أو رؤساء الدول وما الى ذلك، أمكننا تأليف جملة بسيطة من الحروف الاولى لكل مجموعة

التتمة في الصفحة ٨

Illustration: Denis Orloff

اشترك في يانصيب كندا العالمي الشهير

مليون دولار نقداً*

قد تكون من نصيبك

جوائز فورية تصل الى ١٠،٠٠٠ دولار!

■ ١١٦ سحباً في السنة! ■ جوائز مقدارها ٣٠ مليون دولار كل شهر!

٣٦٠ مليون دولار يربحها المشتركون سنوياً في ثلاثة سحوبات كندية رئيسية. وفي كل شهر يربح المشتركون اربع جوائز بقيمة مليون دولار. لقد اصبح اكثر من ٥٠٠ من حاملي أوراقنا السعيدي الحظ من أصحاب الملايين خلال السنوات الخمس الماضية. والآن بات في امكانك الاشتراك في سحوبات اليانصيب الكندي، وهي السحوبات التي تعتبر صاحبة الرقم القياسي في المبالغ التي تدفعها للرابحين في العالم. اشترك لمدة سنة واحدة ويصبح لك الحق في الاشتراك في ١١٦ سحب. ففي كل شهر، ولمدة ١٢ شهراً متتالية، تتسلم البطاقات المشروحة في ما يأتي:

الـ ٦٠٠ دولار، قيمة اشتراكك، تخولك في كل شهر ولمدة ١٢ شهراً الاشتراك في عدد مدهش من سحوبات يبلغ مجموعها ١١٦ سحب:

- بطاقة يانصيب "سوبر".
- بطاقتان اقليميتان (بروفنجال).
- خمس بطاقات "وسترن - اكسبرس".
- بطاقات جوائز فورية تصل قيمتها الى ١٠،٠٠٠ دولار، وهي تبقى في حوزتك للاشتراك في السحوبات السنوية.

تصلك بطاقاتك في كل شهر ضمن مغلف مختوم... وهي تختم حال طباعتها بواسطة نظام الكمبيوتر الخاص بيانصيب الحكومة الكندية. والبطاقات لا تحمل اسماء او عناوين. والارباح لا تخضع للضرائب.

فبطاقات اليانصيب الكندية هذه هي فريدة في نوعها، اذ ان جميع السحوبات تجرى على البطاقات المبيعة فعلاً، وليس على ارقام كمبيوترية قد تكون بينها أرقام بطاقات غير مبيعة.

نسبة حظك في الربح هذه السنة هي واحد من أربعة!

اليانصيب الكندي يقدم احتمالات غريبة مستحبة. فخلال الـ١٢ شهراً المقبلة تكون لديك:

- ٤٨ فرصة لربح مليون دولار.
- ١٢٠ فرصة لربح نصف مليون دولار.
- ٤٨٠ فرصة لربح ١٠٠،٠٠٠ دولار.
- ٤٨٠ فرصة لربح ٥٠،٠٠٠ دولار.
- ١٥٢٤ فرصة لربح ١٠،٠٠٠ دولار.
- آلاف الفرص لربح ٥٠ دولاراً حتى ٥،٠٠٠ دولار.

زائداً، جوائز فورية تصل الى ١٠،٠٠٠ دولار بالاضافة الى السحوبات المنتظمة.

وبخلاف سحوبات اليانصيب الاخرى، من المضمون اشتراك رابحي الجوائز الفورية وبصورة متتابعة في جميع السحوبات الشهرية.

كيف تعرف انك ربحت؟

في كل شهر تتسلم نشرة رسمية تتضمن الارقام الرابحة خلال الاسابيع الاربعة الاخيرة. وما تربحه لا يخضع لاي ضريبة. وفي امكانك تقديم ورقة اليانصيب الرابحة الى المصرف او اي عنوان تختاره. وتتم معاملة القبض بالكتمان. ويبقى اسمك غير معروف. وتبقى جميع البطاقات الرابحة صالحة للاشتراك في السحوبات لمدة سنة واحدة.

★ يجرى دفع المبالغ التي تربحها بالعملة الكندية الثابتة واربابحك تكون معفاة من الضريبة وترسل مكتومة الى المصرف او اي عنوان تختاره

تسلم ارباحك المعفاة من الضرائب بسرية تامة

اشترك فيه الآن واستمتع بالاثارة طوال العام!

لا يمكنك ان تربح من دون بطاقة. اشترك اذن الان. ولن يكلفك الاشتراك لمدة سنة اكثر من ٦٠٠ دولار امريكي. وهذه القيمة تشمل جميع رسوم الخدمات بما فيها اجور البريد وغلافات البطاقات وقوائم الارقام الرابحة المصادق عليها. ولكي تحصل على فرصة العمر للربح الوفير. املأ القسيمة وارسلها مرفقة بشيك (بالدولارات الامريكية فقط)

الشيك مدفوع لامر **International Lottery Distributors**

ارسل الشيك والقسيمة الى

Capital Distribution Services 1009
220 Portage Avenue
Winnipeg. Manitoba R3C OA5 CANADA
TELEX 07-55-871 PHONE 204-947-6743

او ادفع بواسطة بطاقة **AMERICAN EXPRESS**

املأ القسيمة. وارفق شيكا مدفوعا لامر **International Lottery Distributors**

ارسل الشيك والقسيمة الى **Capital Distribution Services 1009**
220 Portage Avenue
Winnipeg, Manitoba R3C OA5 CANADA

- ٦٠٠ دولار لمدة ١٢ شهرا للاشتراك في برنامج السحب الكندي
- ٣٥٠ دولارا اشتراكا تجريبيا لمدة ٦ أشهر

الرجاء الكتابة بوضوح او على الآلة الكاتبة

الاسم الكامل ______________________
____
الشارع ______________________
____
ص.ب ________ المدينة ________
هاتف ________ تلكس ________

او ادفع بواسطة بطاقة

American Express
☐ **Card N°** ______________________

Expiration
Month ________ **Year** ________

Signature ______________________

ARRD 05 85

CAPITAL DISTRIBUTION SERVICES:
OFFICIAL LICENSEE OF CANADIAN GOVERNMENT LOTTERIES.

من الأسماء. ويمكن الاستذكار أيضا باعتماد الصورة التي تثيرها في أذهاننا عبارة أو جملة أو واقعة ما.

وكان المربون في الماضي ينبذون هذه الوسائل لاعتبارها حيلا تافهة. الا أن النظرة إليها تبدلت اليوم، إذ باتت تعد وسائل فعالة لتعزيز الذاكرة. وقد تبين أنها تضاعف كمية المادة المطلوب حفظها مرتين أو ثلاثا. وفي رأي وليم تشيس أستاذ علم النفس في جامعة كارنيغي - ميلون في بيتسبورغ من أعمال ولاية بنسلفانيا الامريكية، أن "الذاكرة الجيدة هي المفتاح لعملية التعلم واكتساب المعارف. وكلنا يستطيع الحصول على هذا المفتاح من طريق التمرين."

والأبحاث في هذا المجال كشفت نوعين من الذاكرة يتمتع بهما كل شخص: الذاكرة القصيرة الأمد والذاكرة الطويلة الأمد.

الذاكرة القصيرة الأمد تدوم من ثلاثين ثانية الى ستين ثانية. ومن هذا القبيل أننا نفتش في دليل الهاتف عن رقم نحتاج اليه، ونطلبه ثم ننساه.

أما الذاكرة الطويلة الأمد فيمكن أن تدوم مدى العمر. ويقول فرنسيس بيليزا مؤلف كتاب "حسِّن قدرتك على الحفظ"، ان سر اكتساب الذاكرة الجيدة يكمن في تدربنا على تحويل المعلومات النافعة من الذاكرة القصيرة الأمد الى الذاكرة الطويلة الأمد، كذلك على طريقة استرجاع هذه المعلومات لدى الحاجة إليها.

وربما كانت وسائل الاستذكار هي هذا المفتاح. ويجدر ألا ننسى أن الذهن والذاكرة كالعضلات، أي انهما يتقويان مع الاستعمال.

٤. وزّع المعلومات على أبوابها المناسبة.

في دراسات أجريت في جامعة ستانفورد (كاليفورنيا)، سئل عدد من الطلاب حفظ ١١٢ كلمة. وكانت الكلمات أسماء حيوانات وأنواع ملابس ووسائل نقل ومهنا. وقسم الباحثون الطلاب فريقين، ذكرت الأصناف الأربعة أمام أحدهما وحجبت عن الآخر. وكانت النتيجة أن أفراد الفريق الأول فاقوا أفراد الفريق الثاني في استرجاع الكلمات المطلوبة بمقدار ضعفين أو ثلاثة أضعاف.

ويقول توماس تراباسو أستاذ التربية وعلم السلوك في جامعة شيكاغو: "ان محاولة حفظ المعلومات الجديدة عسيرة جداً اذا نظرنا الى هذه المعلومات كتلة واحدة. لكنها تسهل اذا نحن صنّفناها في أبواب منطقية."

٥. ركِّز انتباهك.

حين تواجه مادة جديدة تريد اتقانها اسأل نفسك: "ما الذي أود تعلمه من قراءة هذه المادة، وكيف تفيدني المعرفة التي أستمدها منها؟"

ويقول رصل سكالبون وهو عالم نفس ومدير في شركة "ا.ت. كيرني" العالمية للاستشارات الادارية: "اذا أدركنا فائدة المادة التي نتعلمها، ضعفت مقاومتنا للدرس وقويت قدرتنا على التعلم."

ويقترح سكالبون أربع وسائل أخرى لتحسين قدرتنا على التركيز والانصباب:

■ حدد وقتا وموضعا للدرس. اسحب شريط الهاتف. اغلق الباب. ان تنظيم الجو الذي تتعلم فيه يساعد في حصول التعلم.

■ جانب كل ما يشتت أفكارك خلال التعلم. ولا تتورع عن وضع عبارة "الرجاء عدم الازعاج" على بابك. ولا تنس أن لك حقا في وقتك.

■ جرّب مجموعة من وسائل التعلم، مثل التعبير عما تقرأه برسم بياني وتدوين الملاحظات والتلخيص والاستعانة بشريط تسجيل. فهذه كلها طرائق للدرس يمكن أن تقوي التركيز. ولا تحجم عن اعتماد أي طريق للتعلم ترتاح إليها.

■ راقب تقدمك، واعلم أن الانشغال ليس على الدوام مرادفا للنجاح. ويجدر أن تتوقف بين وقت وآخر وتسأل نفسك: "أتراني أخدم في هذه اللحظة هدفي، ألا وهو اكتساب المعارف؟" وإذا كان الجواب "نعم" فتابع العمل. أما اذا كان "لا" فاسأل نفسك عن السبب. وإن وجدت ذلك في ضغط العمل أو الارهاق، فامنح نفسك استراحة من غير أن يلازمك حس بالذنب.

٦. اكتشف أسلوب التعلم الخاص بك.

يروي المربيان ريتا وكين ضن قصة الأولاد الثلاثة الذين تلقى كل منهم دراجة هوائية هدية عيد الميلاد. وتعين على الوالدين تجميع القطع في بيوتهم. وقرأ والد تيم التعليمات بعناية قبل مباشرة العمل. ووضع والد ماري قطع الدراجة على الارض وطلب من زوجته قراءة الارشادات الخاصة بالتركيب. أما والدة جورج فاستهلت العمل مباشرة اعتماداً على بداهتها، ولم تراجع التعليمات الا وقت الضرورة. ومع المساء كانت الدراجات الثلاث جميعاً رُكبت، ولكن بناء على مبادىء مختلفة.

وتقول ريتا ضن أستاذة التربية في جامعة القديس يوحنا في مدينة نيويورك: "لقد عمل كل والد انطلاقاً من أسلوبه الشخصي." ويقول زوجها كين أستاذ التربية في كلية كوينز في مدينة نيويورك: "ان طرائق مواجهتنا الامور الجديدة تختلف باختلاف الافراد. فلكل منا أسلوبه المفضّل في اكتساب المعارف الجديدة."

ويجدر بك أن تسألِ الآن: "ما هو أسلوبي أنا في التعلم؟" ومن أجل اكتشاف هذا الاسلوب حاول أن تتحرى طريقتك في تجميع القطع المتفرقة التي تنتمي الى شيء واحد. كما يجدر أن تسأل نفسك عما اذا كان تركيزك في الصباح أقوى منه مساء، وعما اذا كانت الضجة تزعجك أو تعينك على الانتباه. وهكذا يمكنك إعداد قائمة بجميع العناصر الايجابية والسلبية التي تستطيع استجماعها حول طريقتك الفضلى في اكتساب المعارف. وإذذاك يصبح في امكانك تسخير تلك القائمة لتأمين جو التعلّم الذي يلائمك.

ومهما يكن أسلوبك الشخصي في التعلّم، فالمهم أن في امكانك تعزيز طاقتك على الاستيعاب والاكتساب. وهذا من شأنه أن يجعل حياتك أغنى وأكثر عطاء.

■ **باتريشيا سكالكا**

جهاز الستريو/ كاسيت النقال للمغامرات المثيرة
M-GT7: صوت ديناميكي وهيكل متين
الأوقات الحلوة، ورفيق قوي. يتميز الجهاز M-GT7 بالمتانة وبصوت مثير ينفخ فيك الحماس، وقد روعي في تصميمه تحمّل الغبار والرذاذ. وبذلك يوفّر لك التمتع بالموسيقى من الراديو ستريو ٤ موجات ومسجل الكاسيت في أي مكان تريد. يعتمد الجهاز M-GT7 لوحات مطاطية تمتص الارتجاج والصدمات ومكبّرات صوت مُحْكَمة الإغلاق لمنع تسرّب الغبار والماء مما يؤمّن الموسيقى باستمرار في الوقت والمكان الذي تريده. أدخل عنصرًا جديدًا مثيرًا إلى عالمك. تعرّف على سانيو M-GT7.
سانيو SANYO
SP85

تمارين تقوّي العلاقات الزوجيّة

المشاكل والخلافات تبرز حتى في أفضل علاقات الزواج. ويحتمل أن تكون الأمور التي تزعجك هي التي تقلق زوجك ايضاً. ويهدف هذا المشروع الى مساعدتك في التعرف الى المشكلات والتحاور على نحو أفضل وايجاد حلول تؤمن لكما رضاً ذاتياً وشعوراً بالارتياح الى علاقتكما الزوجية

في البداية يتوجب على الزوجين، كل على حدة، الاجابة عن الاسئلة الآتية في ستة مجالات:

١. **الصحة:** هل تعاني متاعب صحية؟ هل تنام جيداً؟ هل تشكو من السمنة؟ هل تحب شكل جسمك؟ هل تقلق على صحة زوجك؟

٢. **الجنس والعواطف:** هل تحظى بدعم عاطفي من زوجك؟ هل يمكنك التحدث عن حاجاتك الجنسية؟ هل تستطيع التعبير عن غضبك وخيبتك؟

٣. **الاصدقاء والاقارب:** هل تشعر أنك مقبول لدى عائلة زوجك؟ هل ترى الاقارب بكثرة ام في ما ندر؟ هل لكل منكما اصدقاؤه الخلص؟ هل تنسجمان كزوجين مع الآخرين؟ هل لديك وقت كاف لنفسك؟

Condensed from «30 Days to a Better Marriage,» by Patricia Cooney Nida, Ph.D., and Kevin Cooney, copyright © 1984 by Cloverdale Press, Inc. published by Bantam Books, Inc., New York, N.Y. This material also appeared in Family Circle (March 27, '84)

٤. **الأعمال المنزلية:** هل تكره العمل المنزلي؟ هل تشارك زوجك فيه؟ هل مقاييسك في الترتيب واقعية؟

٥. **المالية:** هل تعرف كم من المال لديك وأين هو؟ هل توافق على طريقة زوجك في صرف المال؟ هل تشعر أنك في حاجة الى موافقة زوجك لصرف المال؟ هل ناقشت مع زوجك مستقبلكما المالي؟

٦. **المعتقدات:** هل يستسيغ زوجك معتقداتك؟ هل تشعر انك مجبر على الموافقة على معتقداته هو؟

بعد كتابة الاجوبة عن جميع الاسئلة حاول تعيين النقاط التي تبدو غير محلولة، سواء بالنسبة اليك شخصياً أو بالنسبة الى زواجك. وضع قائمة بهذه النقاط تحت كل فئة.

الآن قارن ما كتبت بما كتبه زوجك. واختارا معاً نقطة واحدة من كل فئة تريدان حلها اولا. ثم اختارا يوماً لكل نقطة. مثلا، يمكنكما التحدث يوم الاثنين في مشكلة مادية والثلثاء في مشكلة صحية وهكذا. التزما هذا البرنامج طوال الاسابيع الاربعة واستريحا أيام الآحاد.

أشرك الآخر في مشاعرك. لا تحاول حل النقاط أثناء مناقشتها، بل لا تحاول التكهن من منكما المخطىء ومن المصيب. اكتف بالافصاح عن مشاعرك. خصصا وقتاً معيناً كل يوم تكونان وحيدين وحرّين تماماً من المشاغل. حاولا أن تكونا دقيقين وصادقين مقدّار الامكان، وأن تحدّدا الأمور بوضوح. فبدل أن تقولي: "أنت لا تساعدني أبدا في جلي الصحون،" ربما رأيت أن التصريح الأدق هو: "يغيظني أنك تجلي الصحون مرة واحدة فقط في الاسبوع." ويستحسن بدء الكلام بعبارات مثل: "في ودي أن..." او "أشعر بحاجة الى المزيد من..." أو "اني افتقد العمل..." أو "يروقني الوضع عندما تتولى أنت..."

يمكنك اعتبار جلستك ناجحة اذا واجهت مع شريكك خلافاً حاداً واحداً على الأقل في وجهتي نظركما. ولكن تجنب الجدل ولا تلجأ الى تصريحات من نوع: "أنت أخطأت عندما..." أو "لو أنك لم تفعل كذا وكذا..." أو "يجدر بك حقا أن..." ولا تستخدم التهكم كوسيلة تعبير عن مشاعر الغضب.

أصغ الى ما يقوله الشريك ولا تدع أفكارك تسرح الى ما ستقوله أنت لاحقاً، بل أعر انتباهك أفكاره وحاول تلمس الانفعالات الكامنة وراءها. فاذا قال لك زوجك أنه قلق على عمله، لا تردي بالقول انه يبالغ في قلقه، بل اصغي الى مخاوفه. واذا قالت لك زوجتك انها تشعر بالغضب عندما تعود متأخراً الى المنزل، قاوم رغبتك في الرد عليها انه لا يحق لها أن تشعر بالغضب. فان "ضرورة" احساسها بالغضب مسألة منفصلة تماماً، وكونها غاضبة هو ما يهم.

أثناء النقاش تناولا أوجه زواجكما القوية التي تعتبرانها تحصيلا حاصلا. ففي اقرارها والتحدث عنها وعن طريقة توسيع نطاقها فائدة أكيدة. ولكن في

المقابل حاولا عدم معالجة الكثير من المسائل الجدية في أسبوع واحد. فحل المشاكل الصغرى يساعد في معالجة المسائل الكبرى بفاعلية أكبر.

نصائح مفيدة: لا تجلسا متقابلين الى طاولة، بل جنباً الى جنب. أنظر الى وجه الآخر أثناء تكلمه وانتظر دورك في الكلام ولا تقاطعه. كرّر بصوت عال جميع النقاط التي أثارها للتأكد من أنك سمعتها بدقة. لا تغيّر الموضوع. ناقش موضوعاً تلو آخر. لا تسد النصح ولا تخش معالجة موضوع خطير ينبغي التحدث عنه بصراحة وانفتاح.

في نهاية الاسبوع الاول لا بد من الوصول الى فهم واضح لشعوركما في ما يختص بالنقاط الست. فمجرد التحدث عنها يشكل تقدما بارزاً على طريق الحل.

أطلقا الافكار والاقتراحات والحلول من دون تحفظ. الهدف هنا هو الخروج بحلول للمشكلات التي نوقشت خلال الاسبوع الاول. حافظا على البرنامج الذي حددتماه للاسبوع الاول. فاذا ناقشتما يوم الاثنين مشاعركما ازاء مشكلة مالية، تحدثا في الاثنين التالي عن حلول لتلك المشكلة.

في بادىء الامر لا تشغل بالك كيف تكون عملياً. كن خلّاقاً. تمتّع. أطلق العنان لمخيلتك، فلكل حل قيمته مهما بدا سخيفاً. مثلا، اذا كنتما تشعران أنكما لا تمضيان معاً وقتاً كافياً، فلكما أن تحلما بترك عمليكما والانتقال الى منطقة ريفية. فذلك يلهمكما الذهاب في رحلات خلال عطل نهاية الاسبوع بدلا من زيارة الاصدقاء أو الأقارب.

فكر في المسألة من وجهة نظر شريكك، فربما سرك أن تكتشف أن ما يريده منك ليس بالصعوبة التي تظن. كانت احدى السيدات ترغب في حياة اجتماعية أكثر اثارة، مما أقلق زوجها الذي كان يحب القبوع في البيت. وذات يوم وصفت له نهاية الاسبوع المثالية في نظرها. فتبدّدت مخاوفه اذ اكتشف ان مدى حلمها لا يتعدى سماع محاضرة وزيارة متحف، وهما أمران يحبهما.

إجمع الوقائع. حان الوقت الآن لتحديد الأفكار القابلة للتطبيق والمقترحة خلال الاسبوع الثاني. لذلك انت في حاجة الى جمع المعلومات لانجاح حلولك. فاذا كنتما تريدان أن تخفّفا وزنيكما، ابحثا عن برنامج حمية وتمارين تستطيعان اتباعه. واذا كنتما تريدان بناء غرفة اضافية في منزلكما، اتصلا بمتعهدين محليين لتقدير التكاليف.

في المساء تبادلا المعلومات التي جمعها كل منكما وحدّدا المشكلات التي تعترض كل حل من الحلول: كلفته، من يفعل ماذا، متى يمكنكما توقع النتائج.

والحلول تستلزم تسويات. فاذا وافق زوجك على التخلص من كدسة الصحف القديمة في القبو، عديه في المقابل بعدم نقل مضارب الغولف من خزانة البهو بعد الآن. واذا وافقت زوجتك على عدم طبل اذنيك تذمراً من شغفك بمباريات كرة

القدم، عدها في المقابل بتكرار دعوتها الى العشاء خارج المنزل.

تذكّر أن هناك أربع نتائج للخلافات: الزوجة تفوز والزوج يخسر، الزوج يفوز والزوجة تخسر، الطلاق، التسوية.

وعندما يستقرّ رأيك على أفكار عملية متيسرة وتروقكما معاً، استعد للعمل.

التنفيذ. بعد التوصل الى تسويات، اعمل على تنفيذ الاتفاقات. باشر برنامج الحمية والتمرين، اتصل بصديقك الذي لم تره منذ سنوات، افتح حساب التوفير، افعل ذلك الآن.

ولا مفرّ من تراخي نظامك في بعض الايام. فاذا كنت عاجزاً عن المثابرة، فعلى الأقل احفظ خطوط الاتصال مفتوحة وخصص وقتاً للتحدث مع الشريك لايجاد طريقة للعودة الى الخط المرسوم.

أما اذا كان أحدكما، أو كلاكما، يتحاشى مشروعاً معيناً، فمعنى ذلك أن المراحل السابقة لم تستوف كفاية. عودا الى البداية.

واذا حققت جميع أهدافك، راجع ملاحظاتك المدونة في بداية الاسبوع الأول. ما هي المشكلات الآخرى التي أنت على استعداد لمعالجتها؟ ان هذا البرنامج الذي يمتد اربعة اسابيع هو عملية يمكن تكرارها. وبذلك ستجد أن زواجك أصبح أمتن وأسعد وأكثر ارضاء للطرفين.

■ **باتريسيا كوني نيدا وكيفن كوني**

في اول الطريق

ذهب زوجان حديثا العهد الى محل مجاور وفي يد الزوجة لائحة بالأشياء التي تحتاج إليها. وكلما تناولت شيئاً من أحد الرفوف، كان الزوج يتناول شيئاً آخر من خارج اللائحة. وأخيراً عيل صبر الزوجة وقالت: "هل أتيت لكي تبتاع معي أم ضدي؟"

ر.ج.

الظاهر والخفي

تناول رب عمل الطعام في منزل أحد عماله. وقدر ما رآه من ترتيب وسخاء وقال: "يسرني أن يكون مستوى معيشتك مرتفعاً على هذا النحو."

– إذا شئت يا سيدي أن تعرف حقيقة هذا المستوى، فعليك أن تزورني من غير دعوة.

هـ.هـ.

الملكُ الأعورُ

د اخل متحف مانشستر في بريطانيا يسترعي انتباهنا رأس مخيف يمثل محارباً عاش في الماضي البعيد، وهو يجذب زائري المتحف ويصدهم في الوقت نفسه. ولم يكن صاحب هذا الوجه القبيح الذي تبدو عليه آثار الضرب والجروح محاربا مجهولا فقد أثبتت نتيجة بعض الاعمال العلمية المبتكرة أن هذا الشكل المصنوع من الشمع يمثل رأس فيليب الثاني ملك مقدونيا الذي حكم اليونان ووحدها قبل ٢٣٠٠ عام. ولا شك في أن هذا العمل هو أحد الاكتشافات العظمى في علم الآثار.

بدأت قصة هذا الوجه المخيف في صيف ٣٣٦ قبل الميلاد خلال احتفال بزواج ملكي أقيم في بلاط مقدونيا الواقعة في اقصى شمال اليونان والتي كانت أقوى الممالك اليونانية آنذاك. وكان كبار الضيوف أتوا من أنحاء اليونان في المراكب أو على ظهور الخيل كي يشاركوا في الاحتفال. وقرر أهل مقدونيا أن يثبتوا لجيرانهم الجنوبيين أن حضارتهم ليست وقفا على العنف والحرب، فاشتمل الاحتفال على مأدبات سخية وألعاب رياضية وجوائز للشعراء وتخلله إلقاء قطع أدبية تلاها ممثلون من أثينا. ووسط هذا الاحتفال الفخم ظهر فيليب الثاني، أقوى رجل في أوروبا آنذاك.

Photo: Terry Smith/ People Weekly. © 1984 Time Inc.

والمعروف أن الملك فيليب كان دائما يقود جيشه بنفسه. فاستطاع التغلب على الدول اليونانية جميعا وبدأ يشن حملة على بلاد فارس.

وكان فيليب زوّج ابنته خلال ذلك الاحتفال بملك ايبيروس التي كانت أقرب الممالك اليونانية الى مقدونيا. وفي فجر اليوم التالي للاحتفال اصطحب فيليب ابنه الاسكندر (الذي كان في العشرين من عمره) الى مسرح يتضمن تماثيل اغريقية دأب أهل المملكة على تكريمها. وكان بين هذه التماثيل واحد للملك فيليب نفسه.

ولم يكد فيليب يدخل المسرح حتى طعنه أحد حراسه بخنجر. وبعد ثوان فارق الحياة. وقيل ان الجاني قتل بعد الجريمة مباشرة.

ولكن من كان وراء هذه الجريمة؟ الحق أن الشك دار حول أولمبياس إحدى زوجات فيليب ووالدة الاسكندر. ومن الواضح أنه كانت لديها أسباب تدفعها الى الغيرة. فالملك فيليب تزوج ست نساء سواها، وقد رزقت زوجته الأخيرة حديثا طفلا ذكرا قد ينافس الاسكندر يوما في خلافة أبيه.

وأسرع الاسكندر الى ارتقاء العرش (والمعلوم أن شهرته طغت على شهرة أبيه في ما بعد). ودفن فيليب مع سلاحه وكنوزه وسدل الستار على هذا الامر ثلاثة وعشرين قرنا.

حجار قبور – في اليونان قرية صغيرة مخضوضرة تدعى فرجينا ويبلغ عدد سكانها ١٢٠٠ نسمة. وهي تقع جنوب غرب مدينة سالونيكا وتبعد عنها مسافة ٦٥ كيلومترا. وظل من الشائع زمنا طويلا أن المقرّ القديم للسلالة المقدونية – الذي يعرف باسم ايجه في التاريخ القديم – يبعد عشرات الكيلومترات عن مكان يدعى اديسا. غير أن أحد علماء الآثار الفرنسيين كشف في العام ١٨٦٠ جزءا من قصر مقدوني كبير جدا خلال عملية حفر قرب فرجينا.

وفي الثلاثينات كان منوليس أندرونيكوس طالبا في الثامنة عشرة من عمره يدرس الآثار المقدونية ويعمل في فريق حفريات لكشف بقية ذلك القصر. وهو أولى اهتمامه أيضا السهول المحيطة بقرية فرجينا والحافلة بمواقع القبور التي تعود الى العصر الحديدي القديم أي الى ما بين العامين ١٠٠٠ و٧٠٠ قبل الميلاد. ورأى أندرونيكوس أن أحد هذه المواقع يقع وسط القرية وهو أعلى كثيرا من سواه إذ يمتد مسافة ١١٠ أمتار ويبلغ ارتفاعه ١٢ مترا ونصف متر. وتساءل أندرونيكوس الشاب عما إذا كان هذا الركام العظيم يحوي شيئا مختلفا عما تحويه ركامات العصر الحديدي الاخرى.

ولم يتمكن أندرونيكوس من العودة الى فرجينا في وقت قريب بسبب الحرب العالمية الاولى والحرب الاهلية في اليونان. إلا أنه عاد اليها عام ١٩٥٢ حاملا شهادة الدكتوراه من جامعة سالونيكا. وعمل في تركيب قطع رخامية تناثرت حين عمد الجنود الى حفر خنادق في فرجينا، وتبين له أن هذه الاجزاء المتناثرة كانت في الاصل حجرين من حجار القبور يرجعان الى القرن الرابع قبل

الميلاد. وفي السنوات التالية وجد مزيدا من القطع الرخامية التي ترجع الى القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد. وهذا يعني أنها أقدم من قطع العصر الحديدي التي تملأ المقبرة وأنها تعود الى عهد كانت مقدونيا في أوجها أي الى زمن فيليب والاسكندر. وكانت القبور التي ترقى الى ذلك العهد سرقت، ولكن ألا يعقل أن يكون أحدها تحت ذلك الركام؟

قبر ملك – بقي أندرونيكوس أكثر من عشرين عاما منهمكا في الكتابة وإلقاء المحاضرات والاشراف على أعمال حفر أكثر إلحاحا، فلم يتح له الانصراف الى تلك المسألة. وفي هذه الاثناء أثبت أحد الباحثين البريطانيين، في معرض كلامه على المغالطات التاريخية، أن فرجينا ليست سوى ايجه القديمة. وعندما بدأ أندرونيكوس أخيرا عمله الجدي في كشف ركام فرجينا كان يصبو الى نبش أحد القبور الملكية.

وبدأت عملية التنقيب عام ١٩٧٧ وأزيل الركام حتى بلغ الحفر مستوى سطح الارض ثم تجاوزه عمقا. وفي ٣٥ يوما تمكن الفريق العامل من إزاحة ٤٠ ألف طن من التراب من دون بروز أي شيء يسترعي الانتباه. وما كاد اليأس أن يدب في اندرونيكوس ويدفعه الى اعلان انتهاء أعمال الحفر حتى ظهر في الحفرة طرفا حجر مستقيمان. وما لبث اندرونيكوس أن شاهد واجهة قبر طويلة يزينها رسم لصيد الاسود الذي كان هواية الاسرة المالكة في مقدونيا. وبدا أن أبواب القبر لم تفتح قط.

وفي ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) دخل أندرونيكوس (الذي بلغ الثامنة والخمسين) القبر كما يدخل اللصوص، فرأى ما أذهله. كان القبر يحتوي على غرفة مربعة وباب رخامي مقفل وناووس في حال ممتازة وكنز يملأ المكان ويومض عبر الغبار. ولم يصدق أندرونيكوس عينيه، وقرر التزام السكينة. وفي الايام التالية تابع ورفاقه العمل بهدوء فعمدوا الى تسجيل الملاحظات والتصوير والتمحيص. وبدا واضحا من كثرة الذهب والفضة وبراعة صنعتهما ومن المحتويات العاجية المنقوشة أن هذا القبر هو قبر ملك. أما الاسلحة البرونزية فدلت على أن هذا الملك كان من محبي الحرب.

وعندما فتح أعضاء الفريق الناووس الرخامي الابيض فغروا افواههم دهشة إذ شاهدوا فيه صندوقا ذهبيا للجواهر زيّن غطاؤه برسم يمثل شروق الشمس ويرمز الى السلالة المقدونية. وكان الصندوق يحوي عظاما محروقة واكليلا من اوراق السنديان المذهبة وثمرات من البلوط. وكان الصندوق من الذهب الخالص ويزن محتواه نحو ١١ كيلوغراما.

ولكن من كان صاحب القبر؟

حملة تشكيك – الواقع أن صناعة الفخار والعمل اليدوي يمكن أن يساعدا في معرفة هذا الامر. فمن الواضح أن القبر أقفل بين العقدين السادس والتاسع في القرن الرابع قبل الميلاد. والملك الوحيد الذي دفن في مقدونيا تلك الفترة هو فيليب الثاني.

غير أن هذا مجرد استنتاج وليس

برهانا، إذ لم يكن في القبر أي نقش يشير الى أنه قبر فيليب. وما لبث أندرونيكوس أن عثر وسط الغبار على خمسة رؤوس صغيرة من العاج تمثل ثلاثة رجال وامرأتين ويبلغ ارتفاع كل منها سنتيمترين ونصف سنتيمتر. وجزم أندرونيكوس أن اثنين من الرجال الثلاثة هما فيليب والاسكندر، ورأى أن الوجوه الثلاثة الباقية ربما كان تمثل أولمبياس ووالدي فيليب. والاسكندر دفن في مصر، لذلك قدّر أندرونيكوس أن القبر هو للملك فيليب وليس لأحد سواه.

وفي جامعة سالونيكا حيث كان أندرونيكوس يشغل منصب أستاذ آنذاك أعلن اكتشافه المثير فقال: "استنادا الى البيّنات التي وجدت حتى الآن، أظن أن من حقي القول إن هذا القبر هو قبر الملك فيليب الثاني."

وعلى رغم أن أندرونيكوس كان على يقين من أنه عثر على قبر فيليب الثاني فهو لم يكن يملك بعد دليلا قاطعا على ذلك. ولم يمض وقت قصير حتى راح زملاؤه من علماء الآثار يجادلونه في هذا الزعم. وذهب بعض هؤلاء الى أن القبر قد لا يكون ملكيا في حين ذهب آخرون الى أن شكل غطاء القبر يدل على أنه يرجع الى ما بعد العام ٣٣٦ قبل الميلاد. وقال بعضهم إن هذا القبر يخص الملك فيليب الثالث الذي خلف الاسكندر والذي كان ضعيفا غير محبّ للحرب.

وكان أندرونيكوس يرد على الاعتراضات من دون أن ينقطع عن الحفر. وفي العام ١٩٨٢ كشف عن المسرح الذي اغتيل فيه فيليب. غير أن هذا أيضا لم يسعفه في التأكد من حقيقة العظام التي وجدت في الصندوق الذهبي. والحق أن الدليل الذي كان أندرونيكوس يسعى اليه جاءه من مصدر غير متوقع وبعيد عن فرجينا.

جمعية أطباء - في السبعينات كان رجل بريطاني يدعى ريتشارد نيف، وهو مساعد مدير قسم التشكيل الطبي في جامعة مانشستر، يعيد تركيب ثلاث مومياءات مصرية. واستعمل ريتشارد قوالب من الجص والطين ليظهر أشكال الوجوه عندما كان أصحابها أحياء، مبينا كيف أن شكل عظام الجمجمة يحدد المظهر الخارجي للفرد. ويكتمل هذا المظهر باضافة اللحم والعضلات الى الجمجمة.

وبدأت الشرطة تستعين بهذا الرجل لاعادة تركيب الوجوه في الجثث المجهولة الملامح. وأتت أشكال الوجوه مطابقة للواقع بعد مقارنتها بصور أشخاص مفقودين.

وفي حديث مع صديقه جون براغ، أحد علماء الآثار في جامعة مانشستر، قال نيف: "لا مانع لديّ من أن أجرب مقدرتي في بعض الجماجم اليونانية." وعندما التقى براغ زميله أندرونيكوس في اجتماع لعلماء الآثار عقد في أثينا أخبره بما فعله نيف، فأعطاه أندرونيكوس بقايا الجمجمة التي يظن أنها تخص فيليب الثاني.

وفي العام ١٩٨١ ذهب نيف الى سالونيكا حيث وضعت عظام القبر في متحف الآثار. وأخذ يعمل بصبر على سبك

ما بقي من عظام الوجه في قوالب من الجص، من دون أن يغرب عن باله أن بين يديه قطعة من التاريخ القديم لا تعوض.

وحاول نيف بعد رجوعه الى مانشستر أن يركب الاجزاء التي في حوزته فوجد فيها بعض تشوه، خصوصا قرب موقع العين اليمنى في الجمجمة. فاستشار الدكتور جوناثان موسغريف الذي يعمل في قسم التشريح في جامعة بريستول والذي يعتبر أكثر البريطانيين خبرة في شؤون إحراق الجثث عند اليونانيين القدماء. فشرح له موسغريف أن إحراق الجثة يتسبب في تقليص العظام بنسبة عشرة في المئة، لكنه لا يفسر التشوه كله. وعرض نيف عمله على اثنين من الاطباء المتخصصين بالجراحة التقويمية ليتأكد مما إذا كان اعاد تركيب الجمجمة على النحو الصحيح. فأكد له الطبيبان أن التركيب لا خلل فيه وفسرا التشويه بأنه نتيجة إصابة صاحب الجمجمة بعطب حول عينه اليمنى. ولا بد من أن يكون هذا ناجما عن رمية من عل.

الملك الأعور - أخبر نيف عالم الآثار براغ بما حصل، فعمد هذا الى نصوص قديمة بينها كتاب تاريخ ألف في القرن الاول قبل الميلاد. فتأكد له أن فيليب الثاني "فقد عينه اليمنى عقب إصابتها بسهم... خلال حصار ميثون" عام ٣٥٤.

وتابع نيف عمله لابراز ملامح الجمجمة. ولم يمض بعض الوقت حتى ظهر الى الوجود رأس ملك أعور صنع من الجص أولا ثم من الشمع ولوّن بلون الجلد وزرع شعر في وجهه. والواقع أن هذا الوجه الذي أعيد تركيبه لا يشبه البتة ما نعرفه من مظهر فيليب الثالث. وهو مطابق للوحات وتماثيل يظن أنها تصور فيليب الثاني.

وفي العام ١٩٨٣ أتى براغ ونيف الى أثينا لحضور مؤتمر دولي لعلماء الآثار، وجلبا معهما الصور الفوتوغرافية الاولى للوجه الذي أعيد تركيبه. وفي المؤتمر أعلن أحد علماء الآثار الايطاليين أن أندرونيكوس لا يمكن أن يكون عثر على قبر فيليب الثاني، فاعتلى أندرونيكوس المنبر وقال: "لقد حصلت من فوري على دليل قاطع بأن القبر هو للملك فيليب الثاني." ثم عرّف الحاضرين برفيقيه براغ ونيف اللذين قدّما بحثهما مدعوما بمجموعة من الشرائح المصورة (سلايد) التي تظهر مراحل إعادة تركيب الرأس.

والحق أنه مرت لحظات مثيرة في تاريخ علم الآثار، إلا أن أيا منها لم يكن مساويا لتلك التي أعلن فيها كشف حقيقة تاريخية بواسطة عظام قديمة ووجه أعيد تركيبه.

واستقال منوليس أندرونيكوس من جامعة سالونيكا ليكرس وقته للآثار التي عثر عليها في فرجينا، وهو لا يزال يعثر على المزيد منها. ويقول: "بعد تقديم أدلتي جميعا والرأس الذي أعاد ريتشارد نيف تركيبه، لم يعد لديّ ما أقوله للشكاكين." ثم يضحك ضحكة خافتة ويضيف: "إن هناك أمرا لا يزال يقلقني، وهو أن أكتشف قبرا آخر غير مسروق يحتوي على عظام ملك أعور موضوعة في صندوق ذهبي. ففي هذه الحال سأواجه مشكلة حقيقية."

■ **موريس شادبولت**

كان الطحان الشاب معلقاً بين الحياة والموت ولا من يعينه. لكنه قال لنفسه: "لا بد من المحافظة على هدوئي وصفاء ذهني"

الطاحونة الحمراء

مأساة واقعية

كان روني شلتون في الثالثة والعشرين وقد حصل على ما سمّاه "وظيفة مثالية" حين أوكلت اليه ادارة طاحونة توماهوك. وهذه من طواحين القمح التجارية القليلة التي تعمل بالطاقة المائية في الولايات المتحدة. وهي عبارة عن بناء قديم ضخم في اقصى جنوب ولاية فرجينيا. ولا تزال تلبي طلبات المزارعين كما فعلت قبل قرنٍ من الزمن، فتحوّل عجلتها الكبيرة طاقةَ الماء في جدول توماهوك قوة طاحنة تسحق الذرة والقمح وتحوّلهما دقيقاً أو علفاً للماشية.

وبعد عمله في مزرعة ثم في مصنع، تدرب شلتون على الطحن في طاحونة توماهوك. وهو صغير البنية وذو صوت محبّب، وطالما افتخر بأنه واحد من قلة يستطيع الفرد فيها تشغيل آلات الطاحونة وحده. وبنى صداقات حميمة مع المزارعين المحليين. وقدّر جو الحرية والاستقلال المحيط بعمله. فإذا قلّ العمل، أمضى الوقت مع زوجته ديبي وابنتهما الصغيرة. ويقول شلتون: "لم أحلم على الاطلاق أن يكون لي منزل جديد وسيارة جديدة أو وظيفة أخرى. وكل ما تاقت اليه نفسي أن تكون لديّ عائلة."

وفي وقت متقدم من عصر السابع عشر من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨١، فيما ديبي على وشك أن تضع مولودها الثاني، كان روني شلتون وحده في الطاحونة. وفجأةً واجه خيبة أحلامه وربما نهاية حياته.

وسط المتاهة - خلال عملها تصدر الطاحونة ضرباً منتظماً يستطيع الطحّان تعيين مصدره لخبرته في هذا الحقل. ففي امكانه، اذا تبدّل الصوت، أن يعرف مصدر الخلل مهما يكن بسيطاً. وتناهى الى أذني روني الخبيرتين صرير آتٍ من فوق، من موضع ما في البناء المكهّف ذي الطبقات الأربع. ومن غير أن يضيع ثانية واحدة في التفكير، حمل علبة زيت وتسلّق السلم الطويلة حتى الطبقة الثالثة. وشقّ طريقه في متاهة الأحزمة والعجلات.

وللوصول الى محمل الارتكاز تعيّن عليه اجتياز درجة متوسطة والاتكاء على عمود ادارة يتحرك بسرعة ويبلغ قطره خمسة

Illustration: Robert Hunt

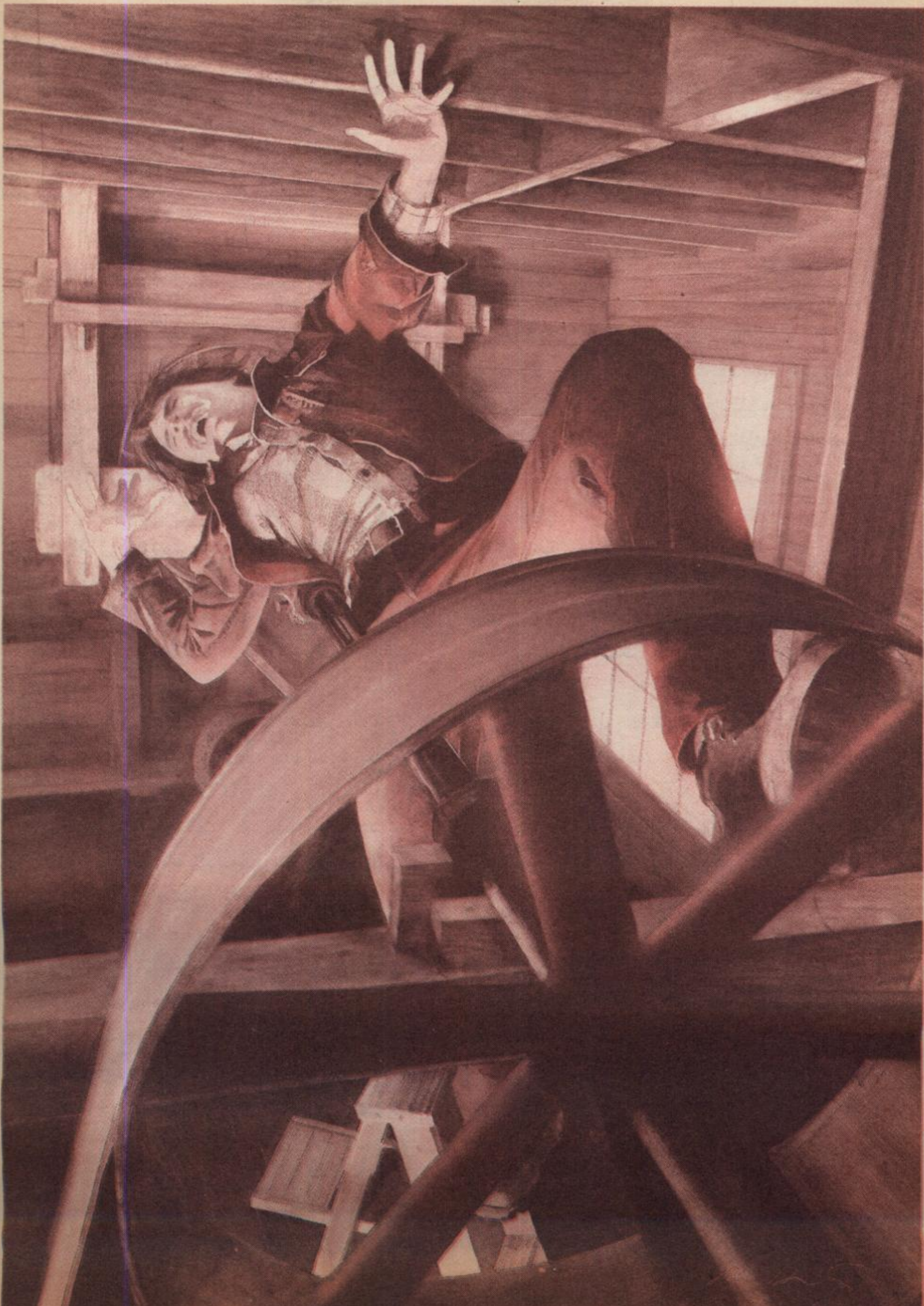

سنتيمترات ويرتفع مترين ونصف متر عن الأرض. وفي محاذاة السلّم على الأرض فتحة مستطيلة يمكن أن يسقط المرء عبرها بسهولة الى قاع الجدول على عمق ١٤ متراً.

وبينما روني يدنو من محمل الارتكاز علق قميصه القطني بمسمارين ملولبين ناتئين من قارنة في عمود الادارة. وفجأة أحس شدّاً قوياً وسمع ضرباً. وانزلقت السلم. ومدّ روني يديه علّه يتمسك بشيء، لكنه لم يجد شيئاً. وكان المسماران الملولبان لفّا قميصه وسترته حول عمود الادارة قبل أن يسحباه هو الى هناك.

وكان العمود يدور بلا توقف ١١٥ دورة في الدقيقة. وصار روني يدور معه على زاوية قائمة. وتمزقت ثيابه من غير ان يستطيع التملص. واخذ رأسه يضرب عارضة من خشب السنديان ترتفع ٤٥ سنتيمتراً عن العمود. ثم انبسطت ساقاه وقدماه واصطدمت مرة بعد مرة بقضيب حديد ناتىء من عارضة خشبية أخرى. وبعد حينٍ علقت قدماه بالقرب من الدولاب الحديد المبرمق في مؤخر العمود حيث يقوم محمل الارتكاز الذي صعد من أجل تزييته.

واخيراً تمزقت جميع ثياب روني وأعتق من قبضة العمود. لكنه لم يقع على الفور لأن رجليه التفّتا كالعجين حول العمود. وحاول التملص من غير جدوى.

وبقي معلّقاً هناك ورأسه الدامي مواجه للفتحة المؤدية الى قاع الجدول. وراح يصرخ طالباً النجدة، الا أن ضجيج الآلات كان أقوى من صيحات استغاثته.

وبصفاء ذهن مذهل اخذ روني يفكر في طريقة للخروج من الورطة. وقال لنفسه: "اذا لم أخلّص رجليّ، فسأظلّ أنزف في موضعي هذا حتى آخر نقطة دم لديّ. ولا بد من أن أبقى هادئاً وأُعمِل ذهني. وأنا أعرف أن الله تعالى سيخرجني من هذا المكان، ولكن عليّ أن أؤدي الدور الخاصّ بي." وربما كان التركيز الشديد سبباً لالهائه عن الألم المبرّح.

وأخذ يهزّ جسده جيئة وذهوباً بحركات منتظمة. وأخيراً استجمع القوة الكافية للنهوض وقبض على عمود الادارة. ولوى ذراعه اليسرى على العمود متجاهلا سخونته. وبذراعه اليمنى حرّر ساقيه.

الا أنه ظل ممسكاً بالعمود وهو يفكر كيف له أن ينزل الى الأرض من غير أن يهوي في الحفرة. وأخيراً قذف نفسه بقوة الى أسفل واستقرّ على بعد ٣٠ سنتيمتراً من الحفرة.

وللمرة الاولى منذ بدء عذابه أمكنه أن يتعرف الى جسامة جروحه. وكان عارياً الا من حذائه وجوربيه. ووجد أن ساقه اليسرى تكاد تنفصل عن موضعها تحت الركبة، ورأى الدم يفيض من الجرح. وأدرك أن عليه وقف النزف. لكن ثيابه التي كان في امكانه استخدامها لذلك الغرض تدلّت من عمود الادارة على ارتفاع مترين ونصف متر فوقه. ومن حسن حظه أن قطعة من قميصه الداخلي ظلت عالقة حول عنقه. وانتزع تلك المزقة وربط بها الجرح. ولما حاول النهوض على قدميه خانته رجله اليمنى ووقع أرضاً.

الخيار الوحيد – أتى الخوف على روني وقال لنفسه: "ينبغي عليّ أن أفعل شيئاً

من غير أن أستسلم للذعر. فهذا يفقدني الوعي ويفوت علي فرص النجاة."

والحركة الوحيدة التي قوي عليها كانت الى الوراء. وزحف على ردفه باستخدام ذراعيه، لكنه يئس حين رأى الدرجات التسع التي تفصله عن الطبقة السفلى. الا أنه وضع جسمه على رأس السلم وانحدر خلفياً ثلاثة أمتار ونصف متر قبل أن يستقر على الأرضية الخشبية.

وعاوده الأمل. فهو على رغم جروحه النازفة يبعد متراً او نحوه من رصيف التحميل في الخارج، واندفع بكل ما أمكنه من قوة عبر الباب وأخذ يصرخ ويصلي.

وكانت الطريق التي لا تمر عليها السيارات الا نادراً، على بعد ٣٠ متراً. ومن المستبعد مجيء زبون في ذلك الوقت من العصر. وعرف روني أن زوجته خرجت للتبضع وأنها لن تلاحظ تأخره. وأقرب مسكن مأهول في الجوار كان منزل جون ثورنتون على تلة تبعد ٤٠٠ متر وسط الأشجار. ولكن مع هدير الطاحونة لم يتوقع روني أن يسمعه أحد هناك.

فجأة تذكر روني آلة الهاتف التي ركبت حديثاً في الطاحونة. وقد أرادها المالك للطوارىء، ووجد روني فيها فرصته الوحيدة. ولكن من أجل الوصول إليها ينبغي الذهاب الى الباب الأمامي. وعاد يسحب جسده حتى بلغ المكان. وما ان أصبح في الداخل حتى واجه مأزقاً جديداً. فالآلة معلقة بالجدار على ارتفاع متر ونصف متر، ومن المستحيل بلوغها.

واذ حاول النهوض، أرغمه ارتجاج الآلات على السقوط أرضاً وقد أتى عليه الارهاق.

وذهبت أفكاره الى ديبي. وقال لنفسه: "من ترى سيعتني بها وبالطفلين اذا لم أستطع الصمود؟"

ولم يبق أمام روني سوى خيار واحد. وأجهد نفسه للخروج. وجلس على التراب وقد بات صوته أضعف مما كان، وراح يصرخ مستنجداً. وكانت حرارة الجو بين ٦ و٨ درجات مئوية والريح تلسع جسده العاري. وأخذت قوته تتلاشى، لكنه ما انفك يصيح والآلات المجنونة تصيح معه.

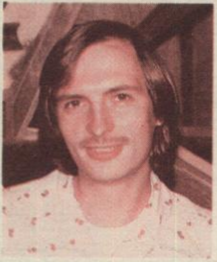

روني شلتون.

ويقول روني: "لا بد من أن نسمة هواء حملت صوتي الى المنزل في أعلى التلة."

في عداد المعجزات - يقول جون ثورنتون: "في البداية ظننت الصوت آتياً من صياد أرانب ينادي كلابه. لذلك لم اكترث له. لكني لم ألبث أن سمعت اسمي. ونظرت نحو الطاحونة، غير أني لم اتبين شيئاً من خلل الأشجار. وفجأة أدركت أنه صوت روني يطلب النجدة مرة بعد أخرى."

وأسرع ثورنتون الى شاحنته وانطلق بها الى الطاحونة. ويضيف: "لم أصدق ما رأته عيناي. فقد وجدت روني جالساً على التراب وهو عار من الثياب وقد رفع ساقه بيده. وكانت الساق شبه مبتورة تحت الركبة، ولا يصلها بموضعها الا بعض اللحم والجلد."

وعمد ثورنتون، وهو قوي البنية، الى احتضان روني بين ذراعيه وحمله الى

Photo: Henry Hurt

شاحنته حيث مدده برفق على المقعد. وغطى جسده بمئزر قديم وأسرع عبر الطرق المتعرجة الى مقر الاسعاف في تشاتام على بعد ١٨ كيلومتراً. ومن هناك نقلته سيارة الى غرفة الطوارىء في أقرب مستشفى في دانفيل التي تبعد ٣٢ كيلومتراً. وكانت ديبي شلتون رأت سيارة الاسعاف وهي في مرأب المتجر، ولكن لم يخيل إليها قط أن زوجها في الداخل.

وعلى الفور استدعي الجراح التقويمي الدكتور روبرت مسغريف لفحص روني. وهو يتذكر انطباعه آنذاك: "الامر الذي أدهشني هو هدوء أعصابه. لم أجده مذعوراً كما كنت أتوقع. وهو حافظ على رباطة جأشه طوال فترة العلاج. وهذا أكبر عامل في إنقاذه."

وعمل الدكتور مسغريف كل ما في وسعه لضبط حال روني، ثم أحاله على مستشفى جامعة ديوك في ولاية كارولينا الشمالية. وهناك حاول فريق من أطباء الجراحة المجهرية تثبيت رجله اليسرى. ولما عجزوا عن ذلك عالجوا بقية الجروح، وهي كثيرة جداً، فضلا عن رجله اليمنى المسحوقة ووركه اليسرى المكسورة وعدد من الأضلاع المكسورة والمرضوضة. حتى ركبته اليسرى التي بترت الساق من تحتها تعرضت للكسر. والحق أن روني قال لأفراد عائلته منذ البداية انه مصمم على بذل كل جهده في سبيل الشفاء والعودة الى عمله في الطاحونة.

وبعد مرور عشرة أيام على الحادث ولدت ديبي بنتاً في مستشفى دانفيل التذكاري الذي حمل اليه روني أولا. وبعد أسبوعين حملت ابنتها الصغيرة المفعمة بالصحة كي يراها أبوها.

ويقول روني: "لن أنسى تلك اللحظة ما حييت. فهي كانت أكثر تجارب حياتي إثارة. وكنت أعرف آنذاك اني سأتعافى وأعود الى البيت قبل عيد الميلاد."

وصح حدسه.

واليوم يعرف روني شلتون أن نجاته كانت في عداد المعجزات. لكنه يفكر ملياً في رواية جون ثورنتون وقوله انه سمع اسمه آتياً من ناحية الطاحونة. ويظن روني أنه لم يناد روني، وكل ما فعله أنه ذكر اسم الله تعالى.

ويضيف روني بهدوء ان تلك الخبرة المرعبة لم تبدل نظرته الى الحياة. وهو اليوم يقف على رجله اليسرى الاصطناعية ويفخر بأنه استأنف الدور الذي طالما أحبه: فهو الطحان الوحيد في طاحونة توماهوك.

■ **هنري هيرت**

بين السعادة والتذمر

لماذا يخشى أناس كثيرون الاقرار بأنهم سعداء؟ أما لاحظت معظمهم يجيب عن سؤال "كيف حالك؟" بعبارة: "لا يمكنني التذمُّر؟"

و.ل.ف.

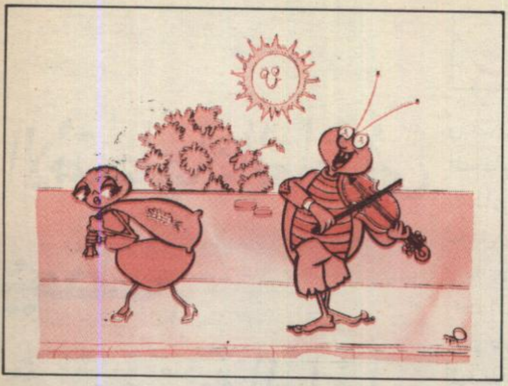

حديقة أفكار

- المرء يتحمل المِحن لأنها أمور طارئة تأتيه من الخارج. لكن العذاب الحقيقي هو ما يصيب المرء من جراء أخطائه.

أوسكار وايلد، شاعر ايرلندي

- مهما بلغ تعلُّقنا بمن نحبّ، فهناك أوقات نرتاح كثيراً لغيابهم.

آن شو

- الكمال يتحقق ليس عندما لا يبقى شيء نضيفه الينا، بل عندما لا يبقى شيء يؤخذ منا.

انطوان دو سان - اكزوبري

- الذي يوجه الاهانة هو كمن يخطّ حروفاً على الرمل. أما من يتلقاها فهو كمن يتسلم تمثالا نُحت من صخر.

ج.غ.

- غالباً ما تتسلل السعادة عبر باب لم تدرِ انك تركته مفتوحاً.

جون باريمور، ممثل أمريكي

- لقد انتابني كابوس مزعج، اذ رأيت في المنام أن الحقائق كلها أصبحت معروفة.

ج.ف.

- الحياة حصان، اما أن تنطلق به وأما أن ينطلق بك. غ.م.

- ان اللقاء بين شخصين يشبه التفاعل بين مادتين كيميائيتين، حيث تتبدل كل مادة من أجل حصول التفاعل.

كارل يونغ، عالم نفس سويسري

الاضطهاد العاطفي يحطّمُ شخصيّة الطفل

بينما كنت خارجة ذات صباح من حجرة الألعاب الرياضية سمعت أماً توبّخ طفلتها لأنها رفضت تغطيس وجهها في احد دروس السباحة. وفيما كانت الطفلة التي لم تتجاوز الثالثة من عمرها تنشج كانت الأم تقول لها: "هذا الامر يتكرر كل اسبوع. وأنا ووالدك نشعر دائماً بالخجل بسببك، واحياناً لا يمكنني أن أصدق انك ابنتي."

وعلى رغم حنقي الشديد مما أصاب الطفلة لزمت السكوت، اذ قلت في نفسي إن الأم ستطلب مني عدم التدخل في شأن لا يعنيني. غير أنه لم يخامرني أي شك في أن ما شهدته لا يقل ضرراً في وجوه كثيرة عن الضرب المبرّح، إذ هو يلحق الأذى بشعور الطفل.

وفي هذا الصدد تقول الدكتورة اليزابيت واتكنز المسؤولة عن وحدة العناية بالأطفال في مركز سانت لوك الطبي في مستشفى روزفلت بمدينة نيويورك: "ليس لجرح الاحساس آثار ظاهرة، لذلك نحن لا نملك إحصاءات عن عدد ضحاياه من الأطفال. غير أنه لا يخفى على من يطيل معاشرة الأطفال أن المشكلة واسعة الانتشار."

لا أحد يعرف عددهم الحقيقي. غير أن أولئك الأطفال المحرومين من الحنان والاهتمام يتوجعون أكثر من الأطفال الذين يضربون

تدمير الطفل – يقول بايرون اجيلاند أستاذ علم النفس في جامعة مينيسوتا في مينيابوليس الذي أشرف على دراسات شاملة حول الأبوة والنمو في مرحلة الطفولة المبكرة، إن آثار إيذاء شعور الطفل لا تقل ضرراً البتة عن تلك التي يولدها إيذاؤه الجسدي. بل إن الابحاث التي أنجزها اجيلاند وزملاؤه

تذهب إلى أن الاطفال الذين يتأذون في مشاعرهم يعانون في طور نموهم اضطرابات عقلية ونفسية تفوق تلك التي يعانيها الأطفال الذين يتعرضون للأذى الجسدي.

والسبب، في رأي المتخصصين بنمو الأطفال، هو أن إيذاء الشعور يدمر كرامة الطفل على نحو "منظَّم".

فالأم التي سمعتها تخاطب ابنتها استخدمت الفاظاً تنمّ عن شعورها بالحزن: "الأمر يتكرر كل أسبوع. وأنا ووالدك نشعر دائما بالخجل بسببك. لا يمكنني أن أصدق أنك ابنتي حقاً." فهذه الملاحظات لم تكن فقط ملاحظات أم مرهقة مرّ عليها يوم رديء، بل كانت ملاحظات امرأة تعودت مهاجمة طفلتها.

والواقع أن الذين يؤذون مشاعر أطفالهم لا يدفعهم الى ذلك سوء تصرف أولئك الاطفال، بل تدفعهم اليه مشكلاتهم النفسية الخاصة. والجامع بين هؤلاء الآباء والأمهات انهم لم يلقوا في صغرهم الحب والتربية الصحيحين سواء أكانوا ينتمون الى أسر غنية أم فقيرة.

ومعظم هؤلاء عاجزون عن أن يدركوا أنّ سلوك الطفل لا علاقة له أحياناً بما فعله والداه أو بما اخفقا في فعله. يشعر احد الوالدين مثلا ان طفله يبكي لأنه "سيىء" او "ليضايقه" وليس لأنه جائع او خائف.

ويذهب الدكتور جاي ليفر، وهو طبيب نفساني في نيويورك ومحرر سابق لصحيفة جمعية الطب النفسي للمراهقين، الى ان هناك أسباباً أربعة لإيذاء شعور الآخرين هي الحرمان والإقصاء وانتقاص القدر والسيطرة.

الحرمان والإقصاء - عندما كُسرت ذراع سالي ذات الأعوام الخمسة من جراء حادث في الملعب، لم تنتبه معلمتها في الحضانة إلى الأمر إلا حين وجدتها تبكي صامتة في إحدى الزوايا. وفي المستشفى حيث التقت المعلمة والدة سالي لم تلجأ الطفلة الى أمها طلباً للراحة، بل ذهبت مع إحدى الممرضات وبدا أنها لم تنتبه الى أن أمها تجاهلت دعوة الممرضة لمرافقتهما. وذكرت المعلمة "ان الأم راحت تبحث عن القهوة بدلا من أن تحوط طفلتها بذراعيها." وأضافت: "لقد عرفت الآن لماذا لم تخبرني سالي أنها أصيبت بأذى، فهي تعودت أن يتجاهلها الآخرون."

والمعروف ان الوالدين اللذين لا يراعيان حاجات الطفل النفسية يندر أن نراهما يحتضنان طفلا باكياً أو يبديان اهتمامهما بنمو الطفل. وينجم عن ذلك إخفاق أطفالهما في تنمية ما يسميه علماء النفس الارتباط الوثيق بالوالدين. فالطفل الذي ينشأ بينه وبين والديه مثل هذا الارتباط يعلم أنه سيجد لديهما الطمأنينة عندما يحتاج اليها، كما يعلم أنه سيجدها عند الراشدين الآخرين الذين يولونه اهتمامهم. ويقول عالم النفس اجيلاند في هذا الشأن: "إن الطفل الذي يتعرض للأذى الجسدي يتحاشى اللجوء الى الآخرين خشية أن يكون الضرب نصيبه منهم، في حين يتحاشاهم الطفل الذي يتعرض شعوره للأذى خوفاً من أن يكون الرفض نصيبه منهم."

ويضيف اجيلاند: "فكّروا في رد فعل والدين طبيعيين عندما يخطو طفلهما

 © 1984 by Susan Jacoby. Condensed from Glamour (October '84), New York, N.Y. Poto: Phoebe Dunn

خطوته الأولى التي يريان فيها مدعاة للاحتفال وسبباً للإطراء والفرح. إلا ان هذا الحدث نفسه يكون مصيره التجاهل في بيت لا تؤخذ فيه حاجات الطفل النفسية في الاعتبار. فإذا اتفق أن لاحظ الوالدان الأمر، فإنه سيكون سبباً في ازعاجهما لأن الطفل الذي يمشي يتطلب مزيداً من الرعاية والانتباه."

انتقاص القدر - في بعض الأسر "يوحّد الوالدان جهودهما" للانتقاص من قدر الطفل، ويستخدمان لهذه الغاية سيلا من الكلمات القاسية التي تقلل شأن إنجازاته وتغالي في إبراز كل عيب من عيوبه. وفي أسر أخرى نلحظ القسوة في أحد الوالدين في حين يكون الآخر صامتاً.

والحق أن استعمال ألفاظ على غرار "دائماً" و"أبداً"، مما يعني ان الطفل يخفق إخفاقاً مستمراً في تحقيق توقعات والديه، قد يكون معياراً للتمييز بين قسوة أحد الوالدين الثابتة وتلك التي تظهر أحياناً بسبب الغضب أو الخيبة.

سارة شابة في السادسة والعشرين تعمل في برمجة الدماغ الالكتروني وتقول إنها لم تجد قط متعة في علاقاتها بالرجال. ذلك بأن أباها كان يدأب على إذلالها. وتسترجع الفتاة الماضي بصوت متهدج وتقول: "كان يحفظ أنشودة يرددها عشرات المرات يومياً: بثور وسمنة، بثور وسمنة، ليس هناك ابداً صبي يقبل بذلك. وأنا حتى الآن يستحيل عليّ تصديق أي إطراء أسمعه من رجل."

ومن ضروب الأذى العاطفي الاكثر شيوعاً في أسر الطبقة الوسطى ذات الطموح النزوع الى تشويه أي انجاز يفتقر الى الكمال، كأن يعاقب الطفل إذا نال علامة جيدة بدلا من نيله علامة ممتازة. وتلاحظ جيري باول مديرة "برنامج الطفل والوالدين" في مستشفى سان فرنسيسكو العمومي، أن الوالدين اللذين يتوخيان الكمال قد تكون لديهما توقعات لا تمت الى المنطق بصلة. مثال ذلك "أنهما يجهلان جهلا تاماً متى يصبح في مقدور الطفل أن يتدرب على استعمال المرحاض أو متى يتوقع منهما أن يطلبا اليه التزام الهدوء." وتضيف جيري: "من هنا يغدو السلوك الطبيعي نقصاً بالنسبة الى الطفل وإخفاقاً بالنسبة الى الوالدين."

وقد شاهدت مثالا على هذا النمط من السلوك خلال رحلة طويلة بالطائرة. جلست قرب زوجين شابين معهما طفل في السنة الاولى من عمره. ويبدو ان المضيفة لم تفلح في تسخين زجاجة الحليب في الوقت الملائم فجعل الطفل يبكي. وذهبت الأم الى المضيفة لتسألها عن الزجاجة في حين رفض الأب أن يتولى هذا الأمر بنفسه أو أن يحمل الطفل حتى تعود أمه، وقال (ويبدو أنه كان غافلا عن تذمر الركاب الراشدين من التأخر في تقديم عشائهم): "إن ذلك الطفل لا يستطيع أن يصبر على شيء خمس ثوان. وإذا كنت تظنين أني سأزعج المضيفة لأن ذلك الطفل فاسد وحقير فأنت مجنونة. إنه حقاً طفل غير طبيعي."

السيطرة - عندما بدأ تومي (اربعة أعوام) يتعافى من آثار جراحة استئصال

أسئلة للآباء والأمهات

- **هل أنا أحنق على طفلي باستمرار؟**
- **هل أرى في طفلي مزايا تذكرني بأشخاص أكرههم في العائلة؟**
- **هل أقابل بين طفلي وأطفال الآخرين، أو بينه وبين اخوتي، بغير انصاف؟**
- **هل أتغاضى حين يمدح أحدهم طفلي؟**
- **هل أخجل بطفلي أحياناً كثيرة؟**

اذا كان جوابك "نعم" فأنت في حاجة الى مساعدة اختصاصي.

اللوزتين، لاحظت الممرضات أنه منطو على نفسه على نحو غير مألوف إذ كان يرفض أن يكلّم أحداً.

وحين اقترح الطبيب على أم تومي أن تدرس سلوكه مع أحد علماء النفس في المستشفى استبد بها الغضب وقالت: "لقد طلبت منه ألا يكلّم أحداً البتة، لا صغاراً ولا كباراً. ولا أريد أن أفسد تربيته الآن." وعلم الطبيب في ما بعد أن الأم كانت أخبرت تومي أنه سيموت إذا هو تحدث إلى أشخاص غرباء.

ويرى علماء النفس وأطباء الأطفال أن اللجوء الى تهديدات مماثلة لخنق نزوع الطفل الى الاطلاع هو نمط شائع في ضروب الأذى العاطفي. وفي ذلك يقول الدكتور واتكنز: "نحن نتكلم هنا على السيطرة التي يحاول بها أحد الوالدين التحكم في كل ما يفعله الطفل. فبدلا من أن يضع حاجزاً حقيقياً، كأن يقيم سياجاً ليمنع الطفل من الجري في الشوارع، فإنه يبني جدراناً وهمية ويخبر الطفل بحدوث أمور مروعة إذا عنَّ له يوماً ان يخالف إرادته."

ويلاحظ الدكتور ليفر أن جميع الآباء والأمهات يحاولون السيطرة على أطفالهم في نواح معينة، وذلك بوضع مقاييس وقيم لسلوكهم ومحاولة غرسها في نفوسهم. ويقول: "لكنّ هناك فرقاً كبيراً بين السيطرة من خلال التربية والقدوة والسيطرة من خلال القسوة الضارية التي يتوسل بها الوالد ترويع الطفل كي يجعله راضخاً لمشيئته."

الصمت المؤذي - يرى بعض الشباب الذين عانوا الاضطهاد العاطفي في طفولتهم أن تجربتهم تلك ينبغي أن تحدوهم على أن يكونوا آباء وأمهات صالحين. على أن مشكلات كثيرين من الجيل الثاني من ممارسي الاضطهاد العاطفي لا تتجلى الا بعد ان ينجبوا هم أولاداً.

ويذهب الخبراء الى أن خير أمل للوصول الى الغاية المنشودة في هذه الحالات هو اعتماد العلاج القائم على تعاون أفراد الأسرة جميعاً. ويقول الدكتور ليفر: "إذا كان الطفل يعاني الاضطهاد العاطفي فلا يمكن النجاح في حل المشكلة انفرادياً. فعندما يتنبه أحد

الوالدين الى وجود مشكلة ما فان هذا يتيح الفرصة لمعرفة النحو الذي تنحوه الأسرة في سلوكها. ويمكن في هذه الحال إشراك أفراد الأسرة الآخرين في العلاج."

ويقول الخبراء إن أسباب الاضطهاد العاطفي للطفل ليست وقفاً كلها على والديه. ويمكن رد بعضها إلى إحجام الآخرين، ومن بينهم الأصدقاء والأقرباء، عن جبه هذين الوالدين. ويلحظ عالم النفس باول "ان كثيرين من الاطفال الذين يعانون بعض ألوان الاضطهاد العاطفي يظنون أنهم يستحقون هذا الاضطهاد. وسكوت الراشدين الآخرين ولامبالاتهم يساعدان في إقناع الطفل أنه حقاً شرير أو جبان أو لا قيمة له."

ولقد سألت جميع المتخصصين الذين حادثتهم في هذا الشأن هل أصبت في التزامي الصمت عندما سمعت الأم تنعت طفلتها بالجبن، فأجمعوا على أنه كان ينبغي أن أقول شيئاً على غرار: "كل إنسان يخاف اموراً معينة، وليس هذا عيباً يدعو الى الخجل."

وسألت إحدى عالمات النفس هل يحتمل ان يؤدي تدخل شخص آخر إلى إمعان الأم في قسوتها على الطفل فأجابت: "هذا ممكن، لكن الطفل سيعلم أن هناك أشخاصاً آخرين لا يشاركون أمه في رأيها. وهذا مهم لأننا ندرك أن الاطفال يتحملون الظلم أحياناً إذا وجدوا من يشعرهم بقيمتهم وأهميتهم على رغم ما يقوله آباؤهم وأمهاتهم."

لذلك علينا أن نتدخل في شؤون لا تعنينا مباشرة عندما تكون حياة أحد الأطفال في خطر من النواحي العاطفية والعقلية والجسدية.

■ سوزان جاكوبي

أذنا الجدة

ارتأت إحدى العائلات أن تدعو فرقة موسيقية كجزء من الاحتفال بزفاف ابنها. وخلال السهرة شاءت جدة العريس أن تفتح حديثاً مع امرأة تجلس الى جانبها. غير أنها لم تستطع ذلك لارتفاع صوت الموسيقى. وحين وقع نظرها على أحد أعضاء الفرقة دعته إليها وصرخت بأعلى صوتها: "ألا يمكنكم أن تفعلوا شيئاً بالنسبة الى الصوت؟"

فابتسم الشاب معتذراً: "آسف يا سيدتي، فالصوت الذي تسمعينه هو أقوى ما يمكن أن تحدثه آلاتنا."

ا.غ.

التشويش الجهوري

كل خطيب يتمنى أن يكون له صوت جهوري كأصوات النظارة الذين يشوّشون عليه.

ك.هـ.

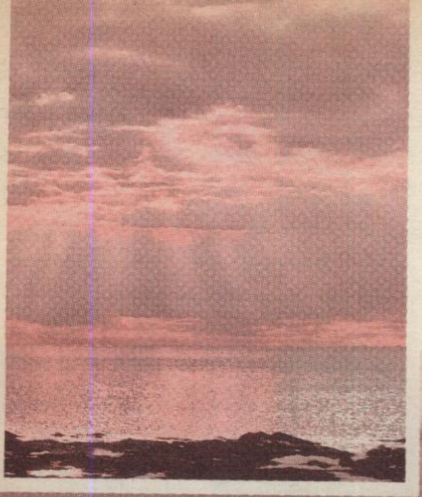

إغراء البحر استحوذ علي. وبناته الأمواج تنطق لفتين

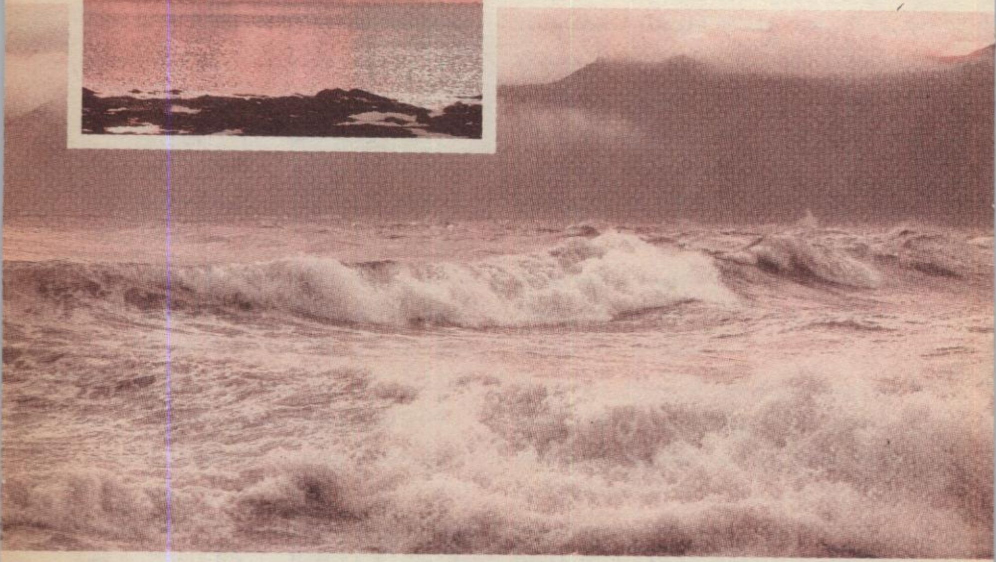

لعبة البحر

هوذا البحر أمامك يسترخي هادئا ودودا مناديا. تسير اليه على رمال الشاطىء. ومع اقترابك يرتفع صوت أمواجه الرقيق أعلى وأعلى. انه صوت ترامي المياه على الرمال في هتاف ترحاب.

تتناهى اليك ضحكات أمواجه الصغيرة

© 1983 by N.C. Menon. Condensed from Hindustan Times (August 14, 1983). New Delhi. Illustrations: Four By Five. Inc.

وهي تطارد بعضها بعضا وتتدافع وترتمي. وتلوح لك ابتساماتها في الزبد الفوّار.

يتلقاك البحر ويحتضنك بدفئه ويزيح عنك متاعب حياة المدينة. يسمح لك بأن تداعب أمواجه، بل انه يرسلها اليك لتلاعبك. ها هي تدفعك برفق وتجذبك اليها وترشك ماء حتى يتلذذ كيانك في صميمه ببهجة الحياة.

ثم تدرك أن الشمس تصدّرت قبة السماء فتعود الى البيت على غير رغبة منك، ويتراءى لك أن أمواج البحر تناديك: "عد الينا ثانية... اننا نحبك."

اغراء البحر كامن في قرارة نفسك وأنت تسمع نداءه البعيد. وما ان يهبط الظلام حتى تيمّم شطر الشاطىء من جديد. ولكن ألا تلاحظ أن نداء البحر هذه المرة أعلى نبرة من ذي قبل؟ بل أكثر خشونة؟ تسارع خطاك والبحر يزمجر هدارا.

أنت الآن لا ترى أمواجه الرقيقة تومىء اليك بمحبة، فهي كبيرة الآن، وهي تتدافع اليك لتتحطم أمام قدميك. أي قوة مسختها! الامواج الرقيقة في الصباح باتت كبيرة هرمة عاتية. انها تندفع في كل اتجاه وتتصارع وترمي بعضها بعضا بالمقذعات.

يرسل اليك البحر امواجه لكي تحاول ثانية اغواءك بعطايا تنثرها فضة من الزبد على قدميك. تندفع اليك ثم تتراجع ببطء ومكر. لكنك تسير متجولا على الشاطىء وقد استحوذ عليك شعور بالأسى.

وتغيب الشمس ويبزغ القمر البارد متسلقا قبة السماء. ويخلع البحر كل عذار ويندفع اليك بأمواجه العاتية، فتهدر في وجهك وتحين منها ابتسامات تلتمع بألق شرير كأنها تقول لك: "رويدك، سنصل اليك في المرة المقبلة."

وتبتعد عن الشاطىء ووراءك البحر يهدر في خيبته ناقما على ضياع فريسة. وحين تتمدّد على فراشك لتنام تسمع ذلك الهدير. أم تراه هتاف الابتهاج باقتناص فريسة أخرى غافلة؟

ويأتي الصباح، وهاك البحر مرة أخرى... ودودا كما كان، وطفلاته الامواج تبتسم لك وهي تتلاعب فوق صدره. أيعقل أن تكون هذه الامواج الوديعة هي عينها ذلك المارد المتوحش الذي كانته في الليلة السابقة؟ أم تراها الطبيعة تظهر لك وجهيها الحافظ والمدّمر؟

■ **ن.س. مينون**

رئيس تحرير صحيفة "هندوستان تايمس" الهندية

"انتر فلورا"

بعد أيام من افتتاحي محلا لبيع الأزهار جاءتني سيدة وطلبت إكليلا لمأتم. ومن أجل سمعة محلي الجديد حرصت على العناية الفائقة بالاكليل وأنجزته في الوقت المحدد. ولما عادت المرأة عبرت عن إعجابها بما رأت، وقالت: "أرجوك ان ترسله برقياً الى هذا العنوان." وأعطتني عنواناً في بلد آخر!

ج.هـ.

لست بدينة، لكنك لست ممشوقة القوام.
اليك هذه الخطة الناجحة التي تجنبك أخطار الحمية السريعة

يتعين عليك أن تخفضي وزنك كيلوغرامين فقط، وهي تلك الكمّية العنيدة من الدهن التي تطوّق خصرك وتزيد فخذيك انتفاخاً. لا يرى احد، ولا أنت نفسك، أنك بدينة حقاً. وربما كان هذا هو السبب في صعوبة امتناعك عن تناول الحلوى اللذيذة.

اول ما عليك أن تصارعيه حين تباشرين الحمية هو التنازع الحائر: ترى هل كون المرء أصغر حجما بقليل يستحق ذلك التصميم على اتباع خطة لخفض الوزن؟

ان قرار الالتزام عائد اليك. ودونك خطة تتيح لك انقاص كيلوغرامين من وزنك، لكنها تمكنك ايضاً من صدّ عودتهما اليك. انها تتألف من خمسة

© 1984 by Ann Allen. Condensed from Woman's Day (October 23, '84), New York, N.Y.
Illustration: Elwood Smith

مبادىء عليك أن تتبعيها بقية حياتك.

حاذري الحميات السريعة

الحميات السريعة التي تعد بتجريدك من الدهن الفائض في جسمك تبدو بسيطة. انها تنظم الوجبات والاطعمة والمشروبات على مدى أسبوع أو اثنين، وكل ما عليك أن تضيفيه يقتصر على تنظيم قصير الأجل. وهكذا ينخفض وزنك حقا. فلماذا يدأب عدد متزايد من الاطباء واختصاصيي التغذية واللياقة الجسدية على التحذير من هذه الحميات؟

تثبت الدراسات أن نحو ٩٥ في المئة من متبعي هذه الحميات السريعة يستعيدون وزنهم السابق لاحقا. ويؤكد ذلك الدكتور هاورد شابيرو من نيويورك الخبير في شؤون خفض الوزن: "حالما تتوقف عن اتباع الحمية تعود الى ما درجت عليه من أساليب الأكل، وسرعان ما تسترد الوزن الذي فقدته."

والأسوأ من ذلك أن الكثير من هذه الحميات السريعة ليس صحيا. وفي رأي سارة شورت أستاذة علم التغذية في جامعة سيراكوز في نيويورك، "من العسير أن تحصل على كل المغذّيات التي تحتاج اليها اذا تناولت أقل من ١٢٠٠ وحدة حرارية يوميا في المتوسط." وهذا هو الحد الاعلى في الوجبات المعدّة لمعظم الحميات. والذين يتبعون الحميات السريعة يحرمون أنفسهم الحديد والكلسيوم نتيجة خفض ما يتناولونه من اللحوم ومشتقات الحليب على نحو صارم، أو الامتناع عنها كليا.

فاذا تعيّن عليك التزام الحمية، ابحثي عن خطة متوازنة وحاذري الخطط التي تعتمد أنواعا قليلة من الاطعمة أو فئة واحدة منها.

انقصي الدهن وليس السوائل

سواء أكنت راغبة في انقاص وزنك كيلوغرامين أم ٢٠ كيلوغراما، فالحقائق الاساسية لا تتبدّل. ولكي تخسري نصف كيلوغرام من وزنك يتعين على جسمك أن يبذل جهدا لا يمكنه بذله في يوم أو يومين، وهو احراق ٣٥٠٠ وحدة حرارية أكثر مما يستهلك. فكيف تعد معظم الحميات – ويبدو أنها تحقّق وعودها فعلا – بانقاص وزنك كيلوغرامين في الاسبوع الاول؟ الجواب هو فقدان الماء من الجسم.

حين تباشرين اتباع حمية ذات وحدات حرارية منخفضة، يفرز الجسم مقادير متزايدة من الماء بسبب التغيّر في عمليّات الأيض (★) وفي وقت قصير يعود مستوى الماء الى معدله الطبيعي، ويخبرك ميزانك أن وزنك ازداد. والواقع أنك لم تفقدي هذا الوزن قط. ويقول الدكتور شابيرو: "الأمر المهم الذي يجب أن تتذكره هو أن الماء غير الدهن. ولذا يجدر بك أن تحذر التبدلات السريعة في الوزن."

التمارين الرياضية

قد يكون النشاط الرياضي أهم عامل منفرد في التحكّم بالوزن. فاذا اضطررت الى خفض وزنك كيلوغرامين، فان مباشرة

(★) العمليات الكيميائية داخل الخلايا لتأمين الطاقة الضرورية للجسم

عشر نصائح لإنقاص الوزن الزائد

١. لا تتسوقي السلع الغذائية وانت جائعة. ضعي لائحة بما تحتاجين اليه والتزميها.
٢. لا تأكلي أي شيء بعد الغداء.
٣. تناولي الحلوى في نهاية الاسبوع فقط، انها طريقة للحد من مشكلة الشهية من دون أن تحرمي نفسك كليا.
٤. أبعدي عن مطبخك المآكل المغرية التي لا تناسبك، واختزني الخضر والثمار والكعك الهش ذات الوحدات الحرارية القليلة وعصير البندورة (الطماطم) واللبن والجبن المقشود.
٥. عوّدي نفسك شرب الماء. تناولي ما بين ٦و٨ أكواب يوميا. القهوة والشاي قد يسببان لك عصبية الكافيين. المرطبات العادية تحوي سكرا، والمشروبات الغازية تحوي مادة الصوديوم.
٦. في الطهو استعيضي بالتوابل والأعشاب عن الملح.
٧. قللي من تناول السكر. استخدمي بدائله في القهوة والشاي. في الطهو اعتمدي القرفة وجوزة الطيب والليمون الحامض وعصير الفاكهة.
٨. اوزني نفسك مرة كل أسبوع، فالتبدّلات العادية اليومية في الوزن قد تسبب لك خيبة.
٩. كافئي نفسك على جهودك - وليس على النتائج - بأي شيء غير الطعام.
١٠. ابدأي التمارين الآن.

برنامج رياضي منتظم قد تعني استغناءك عن الاقلال من الطعام. واليك السبب:

● بعض خبراء التغذية يعتقدون أن الجسم مهيأ للحفاظ على وزن معيّن، لذلك هو يقاوم أي انقاص الى ما دون هذا المستوى. افترضي أن المستوى المحدّد لجسمك هو ٦٥ كيلوغراما، وأنت تتّبعين حمية لخفضه الى ٦٣، فان جسمك يحاول أن يدافع عن هذين الكيلوغرامين من طريق ابطاء أيضه بحيث تصبحين في حاجة الى وحدات حرارية اقل لتبقي على الوزن نفسه.

احدى الطرق التي تخدعين بها جسمك لكي يسارع عملية التأيّض، ولخفض المستوى المحدد لوزنك، هي ممارسة التمارين الرياضية. وتظهر الابحاث ان معدلات التأيض تبقى مرتفعة على مدى ١٥ ساعة عقب رياضة جسدية نشطة.

● التمرين الرياضي ينمّي العضلات، وهذه تحرق وحدات حرارية أكثر مما يحرقه الدهن حتى خلال فترات الراحة. لذلك فان زيادة نسبة العضلات الى الدهن في الجسم تعني أنك تستطيعين تناول كمية أكبر من الطعام من دون أن يزداد وزنك. أما اذا التزمت الحمية من دون الرياضة، فانك تخسرين من العضلات والدهن معا. وعبر دمج الرياضة بالحمية

تجعلين ٩٥ في المئة من الوزن الذي تفقدينه دهنا صرفا.

• التمرين يخفّف الشهية بتنشيط الكبد لاطلاق كمية أوفر من السكر. ان انخفاض مستوى السكر في الدم هو الذي يثير الاحساس بالجوع، أما ارتفاع مستواه في الدم فينبىء الدماغ بأنك لست محتاجة الى الأكل.

• التمرين المنتظم يجعل جسمك أقل احساسا بالارهاق الذي يمكن أن يدفعك الى تناول مقادير مفرطة من الطعام. كما أن التمرين يحث على فرز الاندورفينات، وهي المواد الكيميائية المهدّئة في الجسم التي تمنحك شعورا بالراحة وتتيح لك أن تنعمي بالنوم.

ان تأدية تمارين رياضية لمدة نصف ساعة ثلاث مرات في الاسبوع هي الحد الادنى اللازم للياقة البدنية ولخفض الوزن أو المحافظة على مستواه. والتمارين المنشطة كالمشي والركض والسباحة وقيادة الدراجة الهوائية هي الأفعل في احراق الوحدات الحرارية. اذا، تخلصي من فائض الوحدات الحرارية التي تتناولينها في الطعام بزيادة مستوى نشاطك لبضعة ايام.

تناولي ثلاث وجبات يومياً

ان تنظيم مواعيد تناولك الطعام قد يكون في أهمية المآكل التي تستهلكينها. والهضم يرفع مستوى الأيض موقتا بحيث تحرق وحدات حرارية أكثر من العادة لبضع ساعات بعد تناول الطعام. لذلك فان تقسيم كمية الطعام الذي تتناولينه على ثلاث وجبات أو أكثر يوميا يوفر لك هامشا أوسع للتحكم في وزنك.

وفي وسعك زيادة هذا التأثير "الحراري" بمضاعفة التمرين. تنزهي سيرا على القدمين لمدة ١٥ دقيقة بعد كل وجبة.

بدّلي عاداتك السيئة

عبر ادخال تعديلات طفيفة على عاداتك اليومية يمكنك أن تنزعي عن جسمك بعض الوزن الذي تجمّع عليه مع الأيام:

اقرأي بيان العناصر على علب الاطعمة واقرأي الكتب التي تبحث في شؤون التغذية. ان للمحتوى الغذائي الجيّد أهمية تعادل أهمية الوحدات الحرارية. اشتري دليلا يبين المحتويات الغذائية في الاطعمة. عوّدي نفسك المغذّيات الغنية بالمعادن والفيتامينات، وجانبي المواد التي تحتوي على مستويات عالية من الدهن والملح. يقول الدكتور شابيرو: "قارنوا الاصناف المعروضة، ان الاسماء التجارية المختلفة للسلعة الواحدة قد تحوي مستويات متباينة من الوحدات الحرارية والدهن والصوديوم."

صغّري حجم الحصص واعتمدي بدائل جذابة وفكري بعيدا. ألا يمكن أن يكون قرص عجّة مصنوع من بيضة واحدة مع مطيّبات نباتية، مشبعا تماما كقرص مصنوع من ثلاث بيضات ومطيّب بالجبن واللحم؟ استعيضي بكوب من الحليب المقشود عن كوب الحليب الكامل الدسم، تستغني عن ٧٠ وحدة حرارية وأكثر يوميا، أي أكثر من ٢٥ ألف وحدة حرارية

سنويا، اي نحو ثلاثة كيلوغرامات. هذه التضحيات البسيطة تتراكم، فتخفض وزنك بالطريقة نفسها التي اكتسبته بها، أي ببطء، لكنك تخفضينه فعلا.

تجنبي المواد الغنية بالوحدات الحرارية

قد يبدو من الناحية النفسية أن هذا الاسلوب أسهل من التزام الحمية. ويقول الدكتور شابيرو: "لكل شخص نقطة ضعف خاصة. فالطعام الذي يألفه المرء قد يسبب له بعض المشاكل." وهو ينصحك بأن تدرجي في لائحة ست نقاط ضعف تمدّك بأعلى نسبة من الوحدات الحرارية، ثم حاولي أن تتجنبيها لبعض الوقت. وفي هذه الاثناء أضيفي الى طعامك ستة أنواع صحية أو ذات محتوى منخفض من الوحدات الحرارية. يقول شابيرو: "اختر الاطعمة التي تحبّها، ولا تدرج الجبن الأبيض في لائحتك اذا كنت تمجّه."

قد تكونين جاهلة المحتوى الحراري في بعض الاطعمة التي تتناولينها. فالسمن النباتي مثلا يحتوي على نحو ١٠٠ وحدة حرارية في ملء ملعقة طعام، تماما كالزبدة. أما الزيوت ففي كل ملعقة منها نحو ١٢٠ وحدة حرارية. لذلك عليك التقليل من الزيت والخل في السلطة. حتى السلطة الخفيفة قد تصبح ذات محتوى عال من الوحدات الحرارية اذا أضفت اليها الجبن الكامل الدسم (محتواه ١٠٠ وحدة في كل ٢٨ غراما) والحمص (نحو ١٣٠ وحدة في كل نصف فنجان) والزبيب (٨٥ وحدة في كل ٢٨ غراما) وقطع اللحم المقدّد (١٤٠ وحدة في كل ٢٨ غراما).

تذكّري أن هذه خطة لمدى الحياة. لا تدعي اليأس يغلبك اذا أصبت بنكسات عابرة. ما عليك الا أن تأخذي على نفسك عهدا باتباع الخطة بأقصى عناية ممكنة لمدة شهر أو نحوه. وسرعان ما تجدين أن عاداتك الغذائية تبدّلت الى الأفضل وأن الكمية الفائضة التي اختفت من جسمك ستظل نائية عنك بجهد قليل.

وقد لا تحتاجين الى الحمية بعد ذلك."

■ آن آلن

الغناء شأن روحي؟

قال مغني الاوبرا الفنلدني مارتي تالفيلا:

الغناء بالنسبة الى المغني الأصيل هو كالصلاة للانسان التقيّ. وفي حين لا أدعي التقوى، إلا أني أدركها نظريا لأنها، كالغناء، شأن روحيّ. وإذ أحاول الغناء أحاول، في الوقت نفسه، الوصول الى أعلى ما أستطيع. فالأساسي في الفن هو الارتفاع بالروح الى أعلى درجاتها.

صحيفة "نيويورك تايمس"

مَن لَمْ يُشاهِدْ الجِسْرَ على نهرْ كواي؟

Culver Pictures

Columbia Pictures

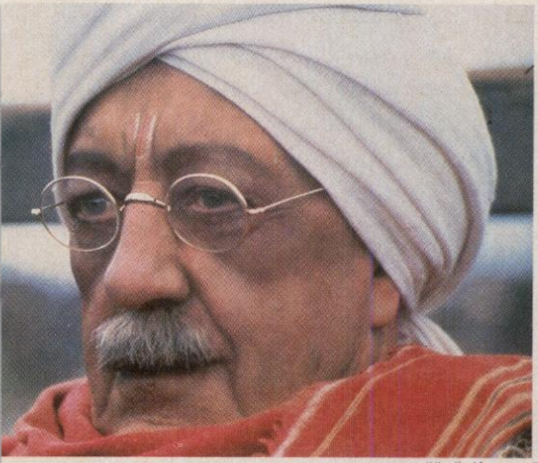

الى اليمين: في دور الليدي أغاثا في "القلوب الرقيقة والأكاليل". الى اليسار: في دور الاستاذ غودبول في "معبر الى الهند".

فاغين العجوز في "أوليفر تويست".

Culver Pictures

Culver Pictures

هربرت بوكيت في "الآمال الكبيرة".

السير اليك غينيس، الممثل البريطاني ذو الشهرة العالمية، لا يكتفي بتمثيل الدور، بل يتقمص شخصية صاحبه

في العام ١٩٨٤ كان السير أليك غينيس في الهند يدرس عن كثب حركات البراهمة. وكان غينيس يستعد لتمثيل دور الاستاذ البراهمي غودبول في الفيلم الذي يخرجه ديفيد لين عن رواية ا.م. فورستر "معبر الى الهند". قال غينيس: "لا يمكن أن أقدم على أي خطوة قبل أن أعرف كيف يمشي الشخص المقصود."

واستهلّ غينيس عمله بتقليد حركات البراهمة في المشي. ورويدا رويدا طرأ تبدل على شخصيته. وحمل علامة البراهمة على جبينه وأرخى شاربين أبيضين ووضع على عينيه نظارتين باطار معدني ولبس مئزرا طويلا واعتمر

بن أوبي - وان كينوبي في "حرب النجوم".
Memory Shop

في دور الأمير فيصل في "لورنس العرب".
Movie Still Archives

عمامة. وهكذا غدا أليك غينيس الرجل الهندي في الرواية.

هذا النوع من المحاكاة جعل غينيس البالغ الحادية والسبعين من كبار الممثلين في العالم. واشتراكه في "معبر الى الهند" يسجل عامه الخمسين في التمثيل. وهي فترة غنية ظهر خلالها في ٤٤ فيلما سينمائيا و٦٧ مسرحية على الخشبة وتسع مسرحيات على الشاشة الصغيرة. ولو صفّت رسومه في الادوار التي مثلها لملأت متحفا عالميا كبيرا، يتخلله قسم يمثل ما وراء العالم الظاهر، إذ ان غينيس مثل دور "بن أوبي - وان كينوبي" في فيلم جورج لوكاس الملحمي "حرب النجوم".

وكان الناقد البريطاني كينيث تاينان لاحظ، قبل ثلاثين عاما، أن مظهر أليك غينيس غير متميز عن مظاهر غالبية الناس. وأضاف: "لو عُممت أوصافه على رجال المفارز الجنائية للقبض عليه، لكسر رقم الموقوفين المشتبه بهم أكبر رقم قياسي."

الا أن غينيس استطاع تسخير قسماته غير المتميزة ليلبسها ما شاء من وجوه. فنظارتاه الشبيهتان بعيني البوم وقبعته المستديرة السوداء تجعل منه الجاسوس العالمي جورج سمايلي في فيلم جون لوكاريه. ولحيته الرمادية المستدقة مع قلنسوته الضيقة تضفيان عليه شخصية شايلوك اليهودي في مسرحية شكسبير "تاجر البندقية". وهو مثل أدوار هاملت والأمير فيصل وجوناثان سويفت وبنجامين دزراييلي واللورد نلسون وأدولف هتلر ويوليوس قيصر وسيغموند فرويد، فضلا عن دوري جنرال روسي ورجل اعمال ياباني. كما مثل دور شبح مارلي ودوري امرأتين.

اكتشاف المسرح - عاش أليك غينيس الحقيقي حياة تختلف كثيرا عن حياة ابطاله. وهو وُلد في لندن. وبعد طلاق أبويه أمضى طفولة متوحدة مع أمه من غرفة الى غرفة حتى أرسلته أخيرا الى المدرسة.

ولم يحقق الفتى نجاحا في دروسه ولا في الرياضة. الا أنه كان في السابعة حين اكتشف المسرح ووجد لديه موهبة المحاكاة التي طوّرها عبر السنين فبلغ بها أعلى ذروة في فنّ التشخيص. وحصل اكتشافه المسرح خلال عطلة صيفية حين أخذته أمه الى أحد مسارح لندن لمشاهدة الممثلة الكوميدية الشعبية نيلي والاس. وهو يقول عن حبه من النظرة الاولى: "غادرتُ المسرح في شبه دوار وأنا أحاول أن أمشي مثلها وأصدر أصواتا خشنة تحاكي صوتها وأنظر الى المارّة نظرات مرعبة."

وغدت المدرسة منذ ذلك الحين وسيلة لممارسة هوايته. وفي احدى المسرحيات المدرسية عُهد اليه في دور ثانوي هو دور رسول يتعين عليه أن يسرع الخطى على الخشبة. وقبل ان يحين تقديم المسرحية ركض مرارا حول ملعب المدرسة ثم دخل المسرح ليمنح فعل الركض بعدا واقعيا.

وفي العام ١٩٣٤ باشر غينيس التمثيل المهني، وكان في العشرين من عمره. وفي احدى مسرحياته الاولى أدى ثلاثة أدوار في أوقات مختلفة، وهي دور

حمال صيني وقرصان فرنسي وبحار بريطاني. وهكذا أظهر موهبته في تلبّس الادوار المختلفة. وفي تلك السنة أدّى دور أوزريك، الشاب الذي ينتمي الى حاشية هاملت في مسرحية شكسبير التي أدى دور البطولة فيها الممثل المرموق جون غيلغوود. وتلقى غينيس التهاني على تمثيله. وطوال نصف القرن اللاحق لم يُصرف من أي وظيفة الا بناء على إرادته.

في تلك الايام كان غينيس يجوب الشوارع بحثا عن مارّ يجد فيه شبها لصاحب دور عليه أن يؤدّيه. وكان يتبع الشخص من مكان الى آخر مقلدا مشيته وحركة ذراعيه ورأسه في المشي. واذا دخل الرجل مقهى، كان غينيس يتأمل تعابير وجهه ويطبعها في ذاكرته. وقد وصف الناقد التلفزيوني الامريكي جون أوكونر هذه الموهبة لاحقا بقوله: "في استطاعة أليك غينيس أن يعبر بحركة خفيفة من شفتيه أكثر مما يفعل معظم الممثلين وهم يصرخون من مكان مرتفع."

ووجد غينيس لديه القدرة على تقليد أيّ كان. وأهم ما في الأمر أن تقليده طريقة كلام الآخر أو مشيته نابع من تلبُّسه شخصيته. وفي مقال نشرته مجلة "تايم" أنه "يكتشف شخصية الآخر عبر تقليده أفعاله."

تعدد الأدوار - سعة النطاق المدهشة التي تميز بها غينيس ظهرت منذ البداية. وفي العام ١٩٣٥ مثل دور ذئب في مسرحية قُدمت في لندن عن فلك نوح. وكانت معه فتاة هادئة ذات شعر أحمر اسمها ميرولا سلامان مثلت دور نمر. وبعد ثلاث سنوات تزوّجها غينيس وأنجبا ولدا وحيدا هو ماتيو الذي وُلد عام ١٩٤٠ ويعمل في حقل التمثيل أيضا.

ومع بداية الحرب العالمية الثانية كان غينيس بنى لنفسه شهرة في عالم التمثيل المسرحي يحسده عليها الآخرون. ثم انضم الى البحرية الملكية وابتعد عن المسرح طوال سنتين. ولما عاد من خدمته العسكرية شاء المخرج السينمائي ديفيد لين أن يختبر قدرته على تمثيل دور الفتى هـربرت بوكيت، وهو أعز صديق لبطل رواية "الآمال الكبيرة" التي ألفها تشارلز ديكنز. الا أن غينيس كان في الحادية والثلاثين آنذاك، ولا يجوز فنيا أن يؤدي دور فتى يصغره كثيرا، لكنه استطاع تلبس شخصية بوكيت، الأمر الذي حدا المخرج على إسناد الدور إليه.

وعندما ارتأى لين إخراج رواية أخرى من أعمال ديكنز هي "أوليفر تويست"، عبر غينيس عن رغبته في تأدية دور فاغين العجوز. غير أن لين أجابه ان ذلك مستحيل نظرا الى صغر سنه. وأصرّ غينيس على موقفه حتى قبل لين بوضع رأيه موضع الاختبار. وفي حجرة الماكياج بدل غينيس سحنته حتى بدا أشبه بذلك الرجل الذي يخطف الاطفال ويحولهم لصوصا. وما ان رآه لين حتى قال: "لا حاجة الى المزيد من الحجج. لقد أصبح فاغين بالذات."

وبعد ذلك مثل غينيس في فيلم "القلوب الرقيقة والاكاليل" الذي منحه شهرة عالمية. وفي ذلك الفيلم أدى دنيس برايس دور الوارث الثامن للقب دوق بريطاني، أقدم على قتل الورثة

موظف المصرف المختلس هولاند في "عصابة تلة الخزامى".

السبعةِ المتقدّمين عليه كيما تنعقد له الدوقية. وأدّى غينيس تلك الأدوار السبعة جميعا، وبينها رجل الدين والمصرفي والجنرال والمصوّر الفوتوغرافي والأميرال. و"مات" ثماني مرّات خلال ١٠٦ دقائق.

ووجد العالم في غينيس ظاهرة نادرة. فهو أدى الأدوار الهزلية والجدية والتشخيصية ببراعة. وغدت أدواره الكوميدية حديث الخمسينات، وبينها دور موظف المصرف المتهور الذي سلب مصرفه في فيلم "عصابة تلة الخزامى" (١٩٥١)، ودور "الرجل ذو البذلة البيضاء" (١٩٥١) الذي ابتكر بذلة لا تتمزق ولا تتكسر ولا تبلى، ودور القبطان البحري المتزوج امرأتين في فيلم "فردوس الربان" (١٩٥٣)، ودور الخبيث الخائب ذي السن الناتئة في فيلم "قتلة السيدات" (١٩٥٥).

وغينيس الذي مُنح لقب "فارس" (سير) عام ١٩٥٩، مدين بنجاحه لموهبته في التشخيص وملكته لانتقاء الأدوار الملائمة. وهو يقول: "هذه الملكة الفطرية لم تخذلني البتة. ولم يأت الاخفاق الا نتيجة التفكير الطويل ورسم الخطط."

والواقع أن غينيس أصاب أحد أعظم حظوظه في النجاح حين وضع ثقته في مخرج شاب اسمه جورج لوكاس. وهو يقول: "لا أزال أجهل الدافع الذي حداني على التمثيل في "حرب النجوم". فعندما قرأت النص ووجدت أنه ينتمي الى أدب الخيال العلمي، قلت لنفسي ان ذلك لن يجدي. وبعد ذلك قرأت بضع صفحات من الحوار المروّع. الا أن حسا داخليا دفعني الى قبول الدور."

المال والشهرة – في اليوم التالي تم اللقاء بين غينيس ولوكاس. ووجد غينيس في المخرج الشاب تفسيرا للحس الذي جعله يقرّر قبول الدور. وهو

يقول: "راقني هدوء جورج وقوة شخصيته وتركيزه التام على الفيلم."

وعرض عليه لوكاس "مبلغا ضئيلا" في مقابل التمثيل في "حرب النجوم". لكنه وعده بنسبة ٢،٥ في المئة من أرباحه الخاصة. وقد جمعت الافلام الثلاثة التي شوهد فيها غينيس او سمع وهو يؤدي دور "بن أوبي - وان كينوبي" - وهي "حرب النجوم" و"الامبراطورية تثأر" و"عودة جيدي" - مبلغ ٥٠٠ مليون دولار في الولايات المتحدة وكندا فقط.

وفضلا عن ظهوره في ثلاثة من الأفلام العشرة الاولى التي حققت أضخم الارباح حتى اليوم، مثل غينيس في فيلمين نال عليهما جائزة "اوسكار" لأفضل ممثل فيما مُنح ديفيد لين جائزتي الاخراج. والفيلمان المذكوران هما: "الجسر على نهر كواي" (١٩٥٧) و"لورانس العرب" (١٩٦٢). والواقع ان غينيس لم يشأ تمثيل دور الكولونيل نيكولسون في الفيلم الاول، وانه رفضه غير مرة. ونيكولسون هذا ضابط بريطاني أسره اليابانيون، ولم يدرك أن مساعدة العدو في اقامة جسر أفضل من ذاك الذي يستطيعون اقامته وحدهم تعني التعاون مع العدو ضد الحلفاء.

ويقول غينيس انه لم يصدق أن نيكولسون كان من العمه والعمى بحيث لم يدرك ما يجري حوله. ويقول أيضا انه وجده مفتقرا الى روح الدعابة والمرح. الا

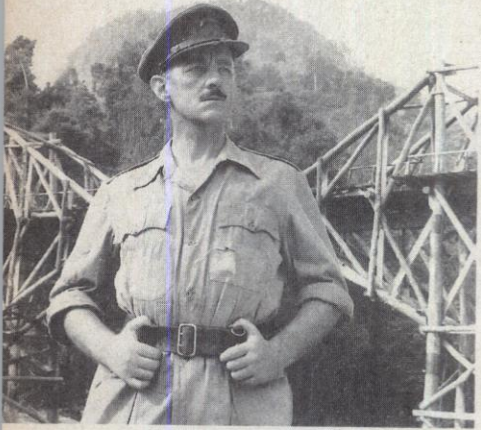

في دور الاستاذ غودبول في "معبر الى الهند"، وفي دور الليدي أغاتا في "القلوب الرقيقة والأكاليل".

أنه استطاع تعديل شخصية نيكولسون ليضفي عليها مسحة إنسانية.

واليوم يرتضي غينيس الذهاب الى حيث يقوده حدسه. وأينما ذهب سبقته شهرته. وحين كان في الهند لتمثيل "معبر الى الهند" دخل أحد المطاعم برفقة ديفيد لين. وحيته الاوركسترا بعزف لحن عسكري من فيلم "الجسر على نهر كواي". وكيف لأحد ألا يعرف أن السير اليك غينيس دخل الغرفة؟ ولئن ظلّ الوجه عاديا وغير متميز بعد هذه السنوات كلها، الا أن موهبة صاحبه معروفة ومعترف بها في العالم أجمع.

■ جون كلهين

من حسنات الحضور في الموعد المحدد أنك تكسب بعض الوقت الخاص لنفسك.

ا. ب.

أصداء من عالم الطب

مكافحة جدري الماء

جدري الماء أو الحُماق هو من أمراض الأطفال القليلة التي لم يُبتكر لها علاج نهائي بعد. الا أن لقاحاً اختبارياً تمَّ ابتكاره حديثاً أظهر جدواه في حال ألف طفل حُقنوا به. والحُماق داء خفيف يصيب ملايين الاطفال سنوياً في جميع بلدان العالم. لكنه في حالات نادرة قد يؤدي الى التهاب الدماغ. كما أنه يقوّي حدّة المرض لدى المصابين بسرطان الدم وسواه من انواع السرطان، تبعاً لضعف المناعة لديهم. والأخطر من ذلك أن العامل الذي يسبب الحُماق قد يبقى كامناً في الجسم ولا يظهر إلا لاحقاً، وتنشأ عنه عندئذ القوباء المنطقية وهي داء أليم في الجهاز العصبي. واللقاح الجديد الذي نشر الباحثون المعنيون مقالا عنه في مجلة «نيو انغلند» الطبية، عبارة عن ضرب ضعيف من فيروس الحُماق تم تطويره في اليابان. وتولى الدكتور روبرت ويبل من مستشفى الاطفال في فيلادلفيا مع آخرين حقن ٤٦٨ طفلا صحيا به، فيما أعطيت مجموعة مقارنة من ٤٤٦ طفلا لقاحاً وهمياً. وفي الاشهر التسعة اللاحقة تبين أن أحداً من أفراد المجموعة الاولى لم يُصب بالحُماق، بينما أصيب به ٣٩ طفلا من المجموعة الاخرى. ولم يكشف اللقاح عن أي أعراض جانبية تُذكر. لكن الاختبارات لا تزال جارية عليه قبل التوصية باستعماله.

صحيفة «واشنطن بوست»

كبش القرنفل والاسنان

درجت العادة منذ القدم على استعمال زيت كبش القرنفل لمعالجة آلام الاسنان. وهذا الدواء يُباع في الصيدليات من غير وصفة طبيب. وقد تبين للجنة أوكلت إليها إدارة الغذاء والدواء الامريكية اختبار هذا العلاج أنّ جدواه أكيدة. ويقول الدكتور لويس غنغاروزا رئيس اللجنة واستاذ بيولوجيا الفم وأدويته في كلية جورجيا الطبية: «إن زيت كبش القرنفل علاج شائع وسليم وفعال لآلام الاسنان. وهناك نسبة عالية من الناس تجد فيه الراحة الفورية.» لكن هذه المادة التي تهيج اللثة واللسان قليلا، يجب وضعها بواسطة كتلة قطن صغيرة في التجويف المصاب مباشرة، وعندما يكون الألم مستمراً وقوياً. ويتعين على المريض استشارة طبيب الاسنان في أقرب وقت، حتى وإن زال الألم.

مجلة «ايلكس»

المرأة والتدخين

لا عذر اليوم في معظم أنحاء العالم لمن لا يعرف أن التدخين ضارّ. ولكن ما هو مقدار ضرره بالنسبة الى النساء؟
ليس مستبعداً أن يكون التدخين مسؤولا عن ثلثي النوبات القلبية الاولى التي تعانيها النساء الامريكيات تحت السن الخمسين. هذا ما أظهرته دراسة أجريت في جامعة بوسطن.
وفي الوقت نفسه أظهر تقرير حديث أعدّته مراكز مراقبة الامراض في أطلنطا (ولاية جورجيا) حول الوفيات بالسرطان في تكساس للعام ١٩٨٢، أنّ سرطان الرئة لدى النساء ليس أقلّ تسبباً للوفاة من سرطان الصدر. وقد تضاعفت الوفيات الناجمة عن سرطان الرئة في السنوات الخمس عشرة الأخيرة. ويمكن عزو هذه الزيادة الى ارتفاع نسبة التدخين بين النساء الأمريكيات الذي بدأ في الثلاثينات واستمر حتى نهاية السبعينات.

نشرة جامعة هارفرد الصحية

الخوف وارتفاع الضغط

ليس جديداً على الاطباء أن بعض المرضى يرتفع ضغطهم من جرّاء شدّ آلة قياس الضغط على أذرعهم وما يخلفه ذلك من قلق لديهم. الا ان احدا لا يعرف عاقبة هذا الأمر حتى تناوله الدارسون اخيراً في جامعة ميلانو الايطالية. وفي التقرير الذي نشرته مجلة «لانسيت» الطبية البريطانية حول الموضوع، جاء أن الدكتور جيوسيب مانسيا وزملاءه تولوا غرز ابرة في أحد الشرايين من أجل قياس ضغط المريض على مدار الساعة. وتبين أن زيارة الطبيب رافقها ارتفاع في الضغط لدى معظم المتطوعين الثمانية والاربعين الذين شملتهم الدراسة، وهم ذكور واناث تراوح أعمارهم بين السابعة عشرة والسابعة والستين. وكان الارتفاع من القوة بحيث حتم نقل كثير من المرضى الى الجناح الخاص بالضغط المرتفع، علماً أن ضغط هؤلاء طبيعي ولم يرتفع الا وقتياً خلال فترة قصيرة امتدت من أربع دقائق الى عشر دقائق. واستخلص باحثو جامعة ميلانو أن على الطبيب التأكد حسناً من ضغط مريضه قبل اتخاذ قرار بنقله الى العناية الخاصة.

مجلة «عمل المستشفى»

المسكن الخبيث

يحاول بعضهم إقناع الكونغرس الامريكي برفع الحظر عن استعمال الهيروين بالنسبة الى مرضى السرطان الذين يعانون الآلام المبرحة في آخر مرحلة من المرض. ويتذرّع هؤلاء بأن احد مستشفيات لندن يعتمد الهيروين فعلا. الا ان الدكتور توماس والش من مستشفى القديس كريستوفر حذر، في رسالة الى مجلة «نيو انغلند» الطبية، من أن لجوء زملائه الى استخدام الهيروين حالياً لا يشكل برهاناً قاطعاً على جدواه. وتجدر الاشارة الى أن المستشفى نفسه حدّ كثيراً من استخدام الهيروين بعد العام ١٩٧٧، حين أظهرت دراسة على مجموعتين من المرضى أعطيت احداهما الهيروين والاخرى المورفين الاقل خطراً، أن الهيروين ليس بالعلاج الاجدى لتسكين الالم. وجاءت دراسة مركز سلون كيتيرينغ التذكاري لمعالجة السرطان في مدينة نيويورك عام ١٩٨١ لتؤكد نتائج الدراسة السابقة.

صحيفة «نيويورك تايمس»

ايطاليا ذات الوجهين

ظاهرياً، تبدو ايطاليا خليطاً من الأخطاء السياسية والاقتصادية المزمنة. لكن وراء الظاهر أمة حية مبدعة

هي الحكومة الرابعة والأربعون في دولة "ديزاستريا" (الكارثة) خلال السنوات التسع والثلاثين الاخيرة، وهي على حافة الانهيار. فالخزينة تعاني عجزاً عظيماً. والتضخم بلغ أوجه ومؤسسات الدولة فاسدة. وأخبار الصباح اليومية تبدأ بقائمة طويلة من الاضرابات. وهذا كله يعني أن المصير الوشيك هو الخراب أو الثورة.

لكن دولة "بروسبيريتانيا" (الازدهار) السعيدة تعيش أفضل أيامها. فصادراتها تشكل نسبة ٤ في المئة من التجارة العالمية. وعملتها مستقرة ومدخراتها الاحتياطية بالدولار زادت أكثر

من ٥٠٠ في المئة خلال السنين العشر الأخيرة. وشعبها ينشد المتعة في مأكله ومشربه وطريقة حياته، والكثير من أفراده يملكون بيوتاً مخصصة للاجازات السنوية.

وما على سكان ديزاستريا، اذا شاؤوا رفع شأنهم، الا النزوح الى بروسبيريتانيا. لكنهم فعلا هناك. وما هاتان "الدولتان" سوى مظهرين مختلفين جذريا لبلد واحد هو إيطاليا. وعلى رغم المشكلات التي تحفّ بحياتهم العامة، استطاع الايطاليون الصمود والتقدم في حياتهم الخاصة. وقلما تمكن شعب من الاستمتاع بالعيش اذا أحاطته صعوبات جمة كتلك التي يجد الايطاليون أنفسهم وسطها. فكيف تراهم يستطيعون هذا فيما تحترق روما تحت أبصارهم؟

لقد حملت هذا السؤال المحير الى أمينتوري فانفاني الذي شغل منصب رئيس وزراء ايطاليا خمس مرات كما شغل رئاسة مجلس الشيوخ مرتين. فأجابني وهو يبتسم:

"الايطاليون جميعا تعلموا من أمهاتهم أن يغنّوا أمام الشدائد. وليس من أمهاتنا فحسب استمددنا هذه الحكمة، بل من تاريخنا أيضا. فالقرون الحافلة بالاجتياح والظلم والقهر علمتنا ألا نبدد وقتنا على المقاومة الشكلية، بل أن نبتكر وسائل دفاع محلية لن تلبث الضيقات حتى تسقط في مكامنها."

وهذا السياسي العريق ابن السابعة والسبعين يجسد التفاؤل الذي يصف به مواطنيه. ويضيف: "كل ايطالي يثق تماما بمقدرته الخاصة على البقاء. لكن الوسيلة الوحيدة التي لا يستغني عنها لتحقيق هذا الغرض هي الحرية الشخصية للعمل."

الرسمي والشعبي – هكذا أخذ الفهم طريقه اليّ: هناك "ايطاليتان" لا ايطاليا واحدة. ايطاليا الرسمية بطيئة وخاملة وغير مرنة وشبه مفلسة. وإيطاليا البشرية نشيطة وسريعة ومزدهرة. أجل، هناك ايطاليا الدوائر وأيطاليا الشعب. الأولى تجسدها الحكومة وطوابير الناس أمام المصارف وأكداس الاوراق التي تملأ بلا منفعة. أما ايطاليا الاخرى فهي الضواحي التي ترتفع مبانيها من غير ترخيص رسمي، والمدن التي تنتج ملايين الأحذية والقفازات سنوياً فيما يجهل زائرها أنها تغص بالمصانع.

لنأخذ مثل الاخوة بينيتون من بونزانو فنيتو، وهم: لوشيانو وجوليانا وجيلبرتو وكارلو. في أواخر الخمسينات كان لوشيانو موظفا صغيرا في محل للمنسوجات، وعملت جوليانا في حياكة كنزات الصوف. وما لبثا أن أسّسا مع أخويهما مصنعا مختصا بملابس الصوف كُتب له النجاح الباهر. وميزة هذا المصنع جمعه بين الاسلوب الانكليزي البسيط والأسعار الزهيدة والألوان الزاهية.

واقتصر العمل بادىء الأمر على جمع القِطع الجاهزة من الأجراء الذين يعملون في منازلهم وتوزيعها على التجار. ولكن سرعان ما وسع الاخوة بينيتون أعمالهم وأسّسوا فروعا لشركتهم في مناطق كثيرة. وهناك اليوم ٦٥٠٠ عامل خارجي

Photo: Gary Mirando. Construction: Walter Einsel

يشغلون هذه الفروع، في حين لا يزيد عدد موظفي بينيتون المسجلين على ١٧٠٠.

ومن أجل تجنب الوسطاء زاد الاخوة بينيتون فروعهم حتى بلغت نحو ثلاثة آلاف في ٢٢ بلدا. وفي مدينة نيويورك وحدها سبعة فروع في شارع واحد.

وسرّ نجاح هؤلاء الاخوة أنهم يتكيّفون لحاجات السوق. فهم مثلا يشترون الصوف الطبيعي ولا يصبغونه بالألوان المختلفة الا قبل أيام من شحنه. فالمهم تلبية طلبات الزبائن، وإن يكن ذلك يعني مضاعفة الجهود في الايام القليلة التي تسبق الشحن. وهذه المرونة ضاعفت المبيعات خمس مرات خلال السنوات الخمس الأخيرة، حتى بلغت ٣٣٠ مليون دولار عام ١٩٨٤.

العائلة - الواقع أن المرونة هي سر نجاح الشعب الايطالي العامل في الأرياف والمدن على السواء.

ان العائلة هي رأس المال الذي ترتكز عليه ايطاليا الشعب. انها مصدر الحياة والعمل الايطاليين. فهناك آل بويتوني الذين ينتجون المعجنات في بيروجيا وآل فندي الذين يصنعون السلع الجلدية الفاخرة في روما.

أما أكبر عائلة في البلاد فهي الكنيسة الكاثوليكية التي انصرف عدد كبير من اكليريكييها الى شؤون الصناعة والتجارة. ومن هؤلاء الأب كورادو كتاني، ذلك الكاهن المرح البالغ الرابعة والستين والذي يدير جوقة الترتيل في كاتدرائية اوربانيا المستمرة من القرن الخامس عشر. وهو، في الوقت نفسه، يدير مصنعا لسراويل الكاوبوي، يبلغ دخله السنوي ٢٤٠ ألف دولار. ويحمل هذا المصنع اسم "كريس"، تكريما لشفيع اوربانيا القديس كريستوفورو.

وكان الأب كورادو استهلّ العمل عام ١٩٥٩ بخمسة عشر موظفا وعدد من آلات الخياطة المنزلية، بهدف مكافحة أزمة البطالة الشديدة التي عانتها البلدة. وهو يفخر اليوم بوجوده على رأس مؤسسة تضم ٨٥ عاملا وتستطيع، بتجهيزها العصري، انتاج سروال من "الجينز" كل ١٣ دقيقة. وهذا يضاهي أكبر مصانع البلاد.

ربما كانت نابولي، حاضرة ايطاليا الجنوبية، خير مثل على قوة غريزة البقاء لدى الشعب الايطالي وعلى فن التكيف للظروف، ويقول الرسام موريتسيو فالنزي الذي رأس بلدية نابولي طويلا: "اقتصاد هذه المدينة يقوم على السوق السوداء." فالكثير مما تنتجه نابولي وتصدّره لا يظهر على القوائم الضريبية. وهذا لا يجعل من تلك المدينة الجنوبية المعروفة نسيج وحدها في البلاد، اذ ان ٣٥ في المئة من طاقة ايطاليا العاملة تمارس عملها في السوق السوداء.

وفي منطقة ستيلا على تلال نابولي نحو مئتي مصنع للأحذية لا يخضع انتاجها للضرائب. وفي تلك المصانع عشرات العمال الذين ينتجون ٨٠٠ زوج من الأحذية يوميا. ولا شيء من هذه الأحذية يبقى في المستودعات، اذ انها جميعا تُصنع بناء على طلب تجار التجزئة (المفرّق).

ويقول دومنيكو فينيزيو الذي ينتج

مشغله المكون من غرفة واحدة ٢٥٠ زوج أحذية أسبوعيا: "التهرب من الضرائب هو الطريقة الوحيدة التي تمكننا من البقاء في المهنة. واذا أخضعنا كل شيء للقانون، فانّ ذلك يرغمنا على اضافة ٥٠ في المئة الى رواتب عمالنا وبالتالي الى ما يدفعه الزبائن. لذلك آثرنا اعتماد خطة المهرّبين التي تخدم مصلحة جميع الأطراف المعنية."

والواقع أن اقتصاد السوق السوداء هو أكثر أسرار ايطاليا علانية، وان مسؤولي الحكومة ينظرون إليه بعين الواقع والشهامة. وقد قال لي فالنزي: "اذا كانت أي حكومة من الغباء بحيث تحاول إلغاء هذا النوع من الحرية، فهي إنما تجرّ الخراب الاقتصادي على البلاد."

ومن الدعائم الأخرى للاقتصاد غير المشروع العمل الاضافي الذي يسعى اليه الكثير من الايطاليين. فهناك الحاجب في معهد الموسيقى الذي يسرع الى منزله في الثانية عصرا ليباشر عمله في محل الازهار العائلي، وهناك موظف المصرف الذي يعمل بعد الدوام معاونا في حافلة. وقد أظهرت دراسة رسمية أن ٥٤ في المئة من موظفي الدولة يزاولون مهنة اضافية. واعترف ٣٣ في المئة من الموظفين، على نحو صريح ومرح، بأنهم يبيعون السلع في مكاتبهم الحكومية كلما سنحت الفرصة.

الممنوع والممكن – يبدو أن هذا النوع من الاقتصاد يعمل كما تعمل ايطاليا. ويقول فانفاني الذي كان استاذا للاقتصاد قبل تسلمه رئاسة الوزراء: "هذا الاقتصاد غير المشروع هو بمثابة ثورة على بيروقراطية الدوائر."

ولا يخفي الايطاليون اعتزازهم وهم يقولون عن بلدهم: "كل شيء ههنا ممنوع، لكن كل شيء ممكن. أجل، فالنظام وُجد ليأتي من يقاومه، والطوابير لمن يتخطاها، والقوانين لمن يخالفها... هذه أمة من أناس يحبون ارتجال المواقف."

ويقول فيتوريو ميرلوني رئيس اتحاد صناعيي ايطاليا الذي تسلم مهمته حديثا: "حتى المؤسسة ذات الادارة المثلى محكوم عليها أن تعمل في جو خارجي تخيم عليه الفوضى وانعدام الكفاية. فنظام المواصلات لا يعمل حسنا، والمدن في فوضى دائمة، والمرء ينتظر دهرا قبل أن يستطيع الاتصال بالعالم الخارجي هاتفيا."

وسألت هذا الصناعي، الذي جال العالم واطلع عن كثب على الدقة الالمانية والجدارة الامريكية وارتفاع الانتاج الياباني، عن البلد الذي يفضل العمل فيه. فأزاح ستار شقته الواقعة في أحد أعلى المباني ليظهر احمرار الشفق الروماني، وأجاب: "ايطاليا، بلا تردد."

وتذكرت ذلك المعلم الذي عاش في عصر النهضة، وفي ايطاليا التي كانت منبعا للنهضة. انه غاليليو الذي حاول رجال السلطة إرغامه على التخلي عن نظريته حول دوران الأرض. فما كان منه الا أن قال باصرار: "انها تدور، تدور، تدور."

وهكذا تدور ايطاليا على رغم كل شيء.

■ **جيف ديفيدسون**

تأمّلات ناشزة

تأملات حكيمة ناشزة لكاتب صحافي مرموق

ثمة نوعان من الرجال: أولئك الذين يعتمرون قبعة وأولئك الذين لا يعتمرون قبعة.

الذين لا يعتمرون القبعات هم عادة من الشباب المفعمين بالنشاط والتهور والذين تلتمع في عيونهم بارقة اللامبالاة. هؤلاء هم عادة من ذوي الجرأة والمجازفة.

ومن الناحية الاخرى، فالذين يعتمرون قبعات هم، ويا للأسف، المتزمتون الذين لا يعجبهم شيء.

قد تذكرون أن الرئيس الامريكي الراحل جون كينيدي لم يُر مرة معتمراً قبعة، وربما لم يفعل ذلك قط في حياته. وعلى نقيضه كان الرئيس الأسبق هربرت

Condensed from «Like I Was Sayin'...,» copyright © 1981, 1982 by Mike Royko, reprinted by permission of the Sterling Lord Agency Inc., New York. Illustrations: Roy McKie

هوفر يعتمر قبعة دائماً. والناس يتذكرون كينيدي كشاب جريء ويصدفون عن هوفر باعتباره كهلا خرفاً.

وبالطبع فأنا لا أعتمر قبعة لأني ما زلت ذا طبيعة شابة ومغامرة. أنا أفضل أن يصاب رأسي بالخدر على أن ينسبني الناس الى هربرت هوفر.

وانها لحقيقة كذلك أن معظم القبعات التي يعتمرها الرجال غريبة المنظر. وبعضنا يفضل ألا يضع على رأسه شيئاً مضحكاً، خصوصاً أولئك الذين تبدو رؤوسهم مضحكة حتى من دون قبعة.

والمشكلة الاخرى في القبعات العادية التي يعتمرها الرجال، اضافة الى منظرها المضحك، أن الريح تطيّرها دائماً.

ومن أجل تحاشي الزراية في الركض وسط الشارع وراء قبعة تحملها الريح، وهو عمل خال من الرصانة، عليك أن تسير وأنت ممسك طرف القبعة بأحدى يديك.

بيد أن هذا يرغمك على رفع ذراعك الى أعلى، وهكذا تعرض منطقة أبطك للريح القارسة. وأنا لا أرى فائدة في ابقاء قمة رأسي دافئة على حساب أبطي. (لكي تختبر الازعاج في كلتا الحالين أجر التجربة الآتية: ضع مكعباً من الجليد على قمة رأسك واضغط آخر تحت أبطك.)

بعض الرجال يتغلبون على مشكلة الريح بشد قبعاتهم فوق رؤوسهم أقصى ما يستطيعون. ولكن حين يرفعون القبعات بعدئذ في البيت يكتشفون أخدوداً عميقاً يطوق رؤوسهم وكأنها ضغطت بين فكي ملزمة. وفي النهاية ينتفخ الجزء الاعلى من الرأس حتى ليبدو كأنه رأس أحد المخلوقات الغريبة التي نراها في الصور المتحركة. وأنه لثمن باهظ يدفعه المرء ليحتفظ بقليل من دفء جسده.

والرجال الذين يسيرون حاسري الرؤوس يعطون انطباعا بأنهم لا يهابون البرد، فيتبخترون غير مبالين ورؤوسهم مكشوفة. آه، قد تكتشف أحياناً أن شحمة أذنك أسودت من الصقيع، لكن ذلك هو الثمن الذي ينبغي ان تدفعه للظهور مظهر الجريء.

الأقساط الجامعية

منذ عشر سنين لم أنقطع عن كتابة تلك الحوالات الشهرية لتسديد رسوم التعليم الجامعي. وككثيرين من الآباء كنت أتساءل احياناً: ترى، هل ما يحصّله ابني من ثقافة يوازي الثمن الذي أدفعه. وقد جاءني الجواب قبل أيام عندما عاد ابني الجامعي مع فريق من اترابه في العطلة الفصلية.

وكانوا ذهبوا الى مدينة نيو أورلينز في ولاية لويزيانا ليمضوا بضعة أيام في الحي الفرنسي هناك ويأكلوا حساء القريدس (الاربيان) ويستمعوا الى الموسيقيين ينفخون في أبواق الجاز.

وعندما عاد ابني الى البيت روى لي الحادثة الآتية:

كان سائراً في شارع بوربون حين تقدم منه ولد يافع وسأله هل يرغب في تلميع حذائه.

وأشار ابني الى حذائه الرياضي الممزق - وهو النوع من الاحذية الذي يفضله شباب اليوم - وقال: "لا أظنك قادراً على تلميع هذا الحذاء."

فأجابه الفتى: "على رسلك يا سيدي." ثم جثا على ركبتيه وأخذ يتفرّس في الحذاء وكأنه شرلوك هولمز يبحث عن دليل جنائي. ثم استقام وقال: "انك لعلى حق يا سيدي. لا أستطيع تلميع هذا الحذاء القديم، لكني أراهنك بخمسة دولارات على أني اقول لك أين انتعلته."

وهز ابني الجامعي رأسه وقال: "لا أحسبك قادراً على ذلك، الا اذا كنت حزرت من أي مدينة جئت نظرا الى لهجتي في الكلام."

قال الفتى: "حسنا يا سيدي، بل أقول لك في أي شارع فعلت ذلك."

وهنا صاح ابني الجامعي: "ذلك مستحيل!"

فرد الصبي: وفي صوته نبرة ازدراء: "هل تخشى المراهنة؟"

وتحمس ابني وقال: "حسناً، أراهن."

قال الولد وفي صوته نبرة ظفر: "أما أين انتعلته، فالجواب أنك انتعلته حول قدميك. وأما الشارع فأنه شارع بوربون الذي أنت فيه الآن." ثم مد يده الى ابني قائلا: "أنت مدين لي بخمسة دولارات."

ونظر ابني الى رفاقه الجامعيين فقالوا له: "انه على حق، وقد خسرت الرهان." وهكذا دفع ابني خمسة دولارات الى ذلك الولد.

فلنعد الآن الى موضوع تلك الاقساط الجامعية التي دأبت على دفعها طوال تلك السنوات. اني أطالب باستردادها.

أصابع القدمين

بعض الناس يعانون مشاكل في ظهورهم. أما أنا فمشكلتي في قدميّ. لذلك لم أدهش في نهاية الأسبوع الماضي حين وجدت نفسي أصرخ فجأة وأثب على قدم واحدة فوق أرض المطبخ. كنت أعد وجبة من المعكرونة. ولكن بدلا من أن أسكب الماء الحار في بالوعة المطبخ أخطأت التصويب وصببته على قدمي الحافية.

وفي طريقي الى المستشفى أخذت أراقب قدمي بلا شفقة وهي تتبدل ألوانا. والواقع أني أمقت قدميّ، اذ لا أذكر الا أنهما كانتا مصدر ازعاج لي على الدوام.

معظم الأقدام ليست جميلة المنظر،

ولكن في مجال القبح كانت قدماي صنفاً مميزاً.

فأصابع قدميّ أطول من أصابع أيدي كثير من الناس. واذا بسطتها فأنا أضطر الى انتعال حذاء يبلغ طوله ضعفي طول الحذاء العادي. غير أنها تلتوي الى اسفل وتنضوي تحت القدم في ثلاث لفات بحيث تبدو قدمي أشبه بقبضة يد منها بقدم.

ثم هناك أخمص القدم المقوّس. وثمة نوعان من أخماص الأقدام أصلا: أخمص القدم العادي المقوّس الى أعلى الذي

يعطي القدم مرونة لتحمل ثقل الجسم، والأخمص القليل التقوّس أو الخالي منه.

أما أنا فأخمص قدمي مقوّس الى أسفل حتى ليبدو مثل قائمة كرسي هزاز. وهذا يجعل عسيراً عليّ أن أقف منتصباً من دون أن أترنح الى الامام والى الوراء. وكثيراً ما أوقعني هذا في سوء تفاهم مع الناس.

وفي أثناء تأديتي الخدمة العسكرية كنا نقف في وضع التأهب. ثم تهب الريح. فأتمايل الى الامام والى الوراء وذراعاي ملتصقتان بجانبيّ. وأعيت حالي الضابط المسؤول عني، وأخيراً خطر له أن يحوّلني الى فرقة العزف في القاعدة العسكرية حيث استخدموني كجهاز رقّاص لضبط الايقاع.

وقضيت ذات مرة اجازة على شاطىء البحر حيث كنت في المساء أسير على الرمل حافياً. وذات صباح رأيت حشداً من الرجال يتفحصون آثار قدمي في الرمل. كان هؤلاء من رجال الشرطة وحديقة الحيوان المحلية ودائرة المحافظة على المخلوقات المهددة بالانقراض. وهزّ أحدهم رأسه قائلا: "لا أعرف أي نوع من المخلوقات هذا، ولكن من الأفضل أن نوقف بعض الرجال المسلحين هنا للمراقبة طوال الليل."

ولم أعد أغضب حين يدوس أحدهم قدمي، بل أكتفي بالقول: "لا تعتذر، فقدمي تستحق ذلك. واذا شئت أن تدوس الأخرى فلا بأس، انها ليست أحسن حالا من هذه."

ولم أكن لأذهب الى المستشفى حين حرقت قدمي لو لم يتعين عليّ أن أقضي بقية حياتي معها.

وحين حضر الطبيب الى غرفة الطوارىء سألني عما حدث فقلت: "صببت ماء حاراً على قدمي."

وهز الطبيب رأسه وهو ينظر الى قدمي وقال: "انها تبدو حقاً في حال سيئة."

قلت: "ولكن أيها الطبيب، انها القدم الأخرى التي حرقتها وليست هذه التي تنظر اليها."

■ مايك رويكو

حمّاصة عنصرية

دخلت امرأة سوداء محلا لبيع الادوات الكهربائية وفي يدها آلة لتحميص الخبز شاءت ارجاعها لأنها غير صالحة. فسألتها موظفة بيضاء هناك عن نوع العطل في الآلة فقالت: "عندما ترتفع قطعة الخبز يكون أحد وجهيها بلونك والآخر بلوني."

وللحال حصلت على حمّاصة جديدة.

ج.ر.

قالت للسجين الفار: "لا مكان للعنف في هذا البيت. اخفض سلاحك!"

المؤمن لا يهابُ الموت

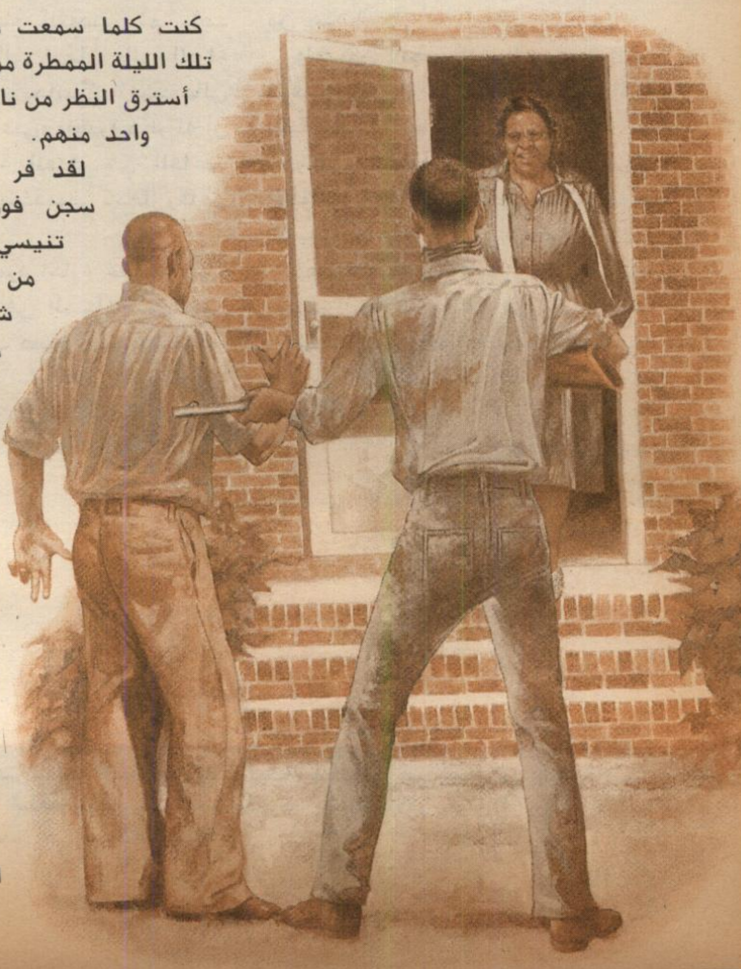

كنت كلما سمعت صوتاً في الخارج تلك الليلة الممطرة من فبراير (شباط) أسترق النظر من نافذة المطبخ. لعله واحد منهم.

لقد فر خمسة رجال من سجن فورت بيلو (ولاية تنيسي) الذي يبعد اقل من ٤٠ كيلومتراً عن شمال بيتنا. وهم مسلحون ويائسون وخطرون، وتتدرج جرائمهم من السرقة الى الاغتصاب والقتل. وحسبت الشرطة أن عدداً منهم اختبأ في المنخفضات جنوب غرب الولاية بين مايسون وبرادن، أي في منطقة سكننا.

تحركت أوراق الشجر ثانية. لا،

انها ريح الشتاء،أو لعله سنجاب أو اثنان.
وسألت زوجي: "ماذا نفعل اذا جاء هؤلاء الرجال الى هنا؟" فأجاب: "نفعل كما يأمروننا يا حبيبتي."

لم ترقني فكرة وجود أناس يتجولون خارج منزلي. وسألت زوجي: "ناتان، أسدل ستار الحمام." نحن لم نفعل ذلك قط من قبل، فهو لم يكن ضروريا لبعدنا عن الأماكن الآهلة. لكن الأمر كان مختلفاً تلك الليلة.

ولم يكن السبب عدم شعوري بالامان، فهذا الشعور لا يفارقني في بيتنا أبداً، لأنه بيت ايمان. ونحن ربينا أولادنا الأربعة فيه من دون صعوبات.

"لا تدعني اقتلك" - ترسخ ايماني العميق وأنا أربى في بيت جدي دمبسي. وأذكر أنه كان يردّد على مسمعي: "اذا آمنت بالله فسيرعاك. أنظري الي. لقد ربيت ثمانية عشر ولداً ولم أضطر يوماً الى دفع أي كفالة أو غرامة عن أي منهم لاقترافه عملا مشيناً." كان جدي مؤمناً، وهو علمني الايمان القوي.

فرحت لرؤية الشمس صباح اليوم التالي. كانت الليلة قارسة البرد. واذ تطلعت من نافذة المطبخ كان الجليد لا يزال يغطي الارض.

ناديت زوجي: "ناتان، ضع القطة في الخارج. كم بيضة تريد؟" وتابعت "الدردشة" فأنا دائماً من يتكلم في هذه العائلة. وكان ناتان يهمهم من حين الى آخر: "آه، هه."

لم نكد نفرغ من الاكل حتى رنّ جرس الهاتف. تلك كانت صديقتي رنزي فيلدز تستوضحنا ما اذا سمعنا نبأ السجناء الفارين. وتكلمنا في الأمر بضع دقائق ثم غطيت السماعة بيدي وناديت زوجي: "ناتان، القطة تموء. من الأفضل ادخالها." وعدت لمتابعة حديثي مع رنزي فسمعت ناتان يصيح: "حبيبتي، افتحي الباب! افتحي الباب!"

ذهلت، لان ناتان لا يرفع صوته إلاّ لسبب وجيه. ولم يسعني أن أتصور الداعي الى صياحه... إلاّ اذا...

همست: "رنزي، أطلبي الشرطة." وأقفلت الخط بسرعة.

اجتزت المطبخ على عجل وفتحت الباب. فرأيت أمامي رجلا أسود طويل القامة. كانت ثيابه ملطخة بالوحل وقد ربط جورباً وسخاً حول عنقه. وكان يحمل بندقية ينخس بها ناتان.

وزمجر الرجل: "لا تدعني أقتلك أيها العجوز." ثم دفع ناتان داخل البيت وتبعه عبر الباب. وتعثر ناتان، لكني أمسكت بذراعه ووقفنا معاً في زاوية.

ألقى الغريب نظرة حادة على المنزل وسأل بنبرة فولاذية: "هل تنتظران أحداً؟"

فأجبت: "كلا، لن يأتي أحد."

- أين الهاتف؟

أشرت اليه، فانتزع السماعة ورماها على كرسي.

- كنت خارج منزلكم طوال الليل وسمعتكما تتحدثان عني. أيها العجوز، هل تسير شاحنتك؟ سأحتاج اليها.

أجاب ناتان: "خذها. لكن محركها لا يدور أحياناً. لذا سأخرج أنا للتأكد من دورانه."

 Condensed from Guideposts Magazine (October '84). © 1984 by Guideposts Associates, Inc., Carmel, N.Y.
Illustration: Hodges Soileau

- هيّا. ولكن اياك أن تحاول أي حركة حمقاء. لا تضطرني الى اطلاق النار عليها!" ولوّح بسلاحه في اتجاهي. فخرج ناتان على مضض.

حديث ايمان - قلت: "أيها الشاب." وتقدمت بضع خطوات منه.

فصاح: "تراجعي!" وصوب الي سلاحه قائلا: "أمرتك بألا تتحركي!"

قد يتصور المرء أن الذعر أفقدني رشدي آنذاك. إلّا أنني في الواقع لم اكن خائفة، بل حانقة لان هذا الرجل اقتحم بيتنا عنوة من دون حق. لن أدعه يؤذينا.

خاطبته مجدداً: "أيها الشاب. أنا امرأة مؤمنة، ولا مكان للعنف في هذا البيت. انه بيت الله. اخفض سلاحك."

فنظر الي طويلا وهو لا يزال مصوبا بندقيته الي. وأعدت: "قلت اخفض سلاحك."

فانحنى ببطء وأسند سلاحه الى المقعد ثم تهالك فيه.

- يا سيدة، اني أتضوّر جوعاً.

- "اذاً سأحضر لك فطوراً." وكسرت بضع بيضات في المقلاة. "ما اسمك أيها الشاب؟"

- رايلي.

أخبرني أنه في السادسة والعشرين من العمر وأنه من تكساس ويقضي حكما بالسجن لمدة ٢٥ سنة بتهمة قتل.واعقب: "لكنني لم أقتل."

وضعت صحن البيض أمامه على الطاولة مع بعض اللحم والخبز المحمص وابريق الحليب. وقلت له: "حسناً، صل واشكر ربك."

نظر رايلي اليّ بغرابة. واستنتجت أنه لم يتلُ صلاة في السجن. لكننا نفعل في بيتي وبيت ناتان. فطأطأت رأسي وسألت الرب مباركة الطعام وقلت له: "تمتع بفطورك. وعندما تفرغ سأعدّ لك شرابا يلين حنجرتك."

Jane Rule Burdine

لويز دغرافنريد.

فرمقني بنظرة اندهاش متسائلا كيف عرفت أنه يعاني ألما في حنجرته. وكنت لاحظت الجورب المربوط حول عنقه، وقد علمتني جدتي أنه علاج قديم لتخفيف ألم الحنجرة في ليل بارد.

قال رايلي: "أنت تذكرينني بجدتي."

وسألته: "أين هي؟"

- ماتت.

"كانت تحبك كثيرا، أليس كذلك؟"

نظر رايلي الي وخيّل لي انه أومأ بالايجاب.

"حسنا. أنا أحبك أيضا، وأنا حيّة أرزق. والله يحبك."

لم يعترض رايلي بكلمة. وتابعت حديثي عن الايمان واستمر هو يأكل.

البندقية المسندة – بعد برهة صمت سألته: "تود أن تسلم نفسك، أليس كذلك؟"

فاعتراه خوف عظيم وقال: "يا سيدة، لو فعلت لقتلوني في دقيقة واحدة..."

أجبت بحزم: "كلا، لن يفعلوا. ليس هنا. لن يأتي عنف من أي انسان في هذا البيت."

فأطرق رايلي وأومأ بالايجاب: "ولكن قولي لواحد فقط أن يأتي. واحد فقط."

قلت: "حسنا." ونهضت لاتناول سماعة الهاتف، فرأيت عبر النافذة اربع سيارات شرطة. ورآني رايلي احدق فقفز من كرسيه ونظر من النافذة.

"آه يا سيدة، سيقتلونني، سيحدث اطلاق نار." وتهدج صوته قليلا ونظر الى بندقيته بجانب المقعد.

قلت له: "اجلس ايها الشاب. لن يقتلوك اذا توليت أنا الكلام."

وانفتح الباب بقوة ودخل ناتان: "حبيبتي، الشرطة تريدنا أن نخرج، أنا وأنت."

قلت لزوجي: "سأخرج. لكني أريدك أن تبقى هنا وتجلس بجانب الشاب." والتفتَّ الى رايلي: "لا تخف. لن يؤذيك احد."

أغمضت عيني وابتهلت الى الله بكل جوارحي، ثم خرجت. كان رجال الشرطة يتقدمون من كل الاتجاهات. فصحت بهم: "توقفوا عندكم. الشاب في الداخل، لكنه تخلى عن عنفه الآن. وهو بعيد عن سلاحه."

فقال أحد الضباط: "أطلبي منه أن يخرج ويداه خلف رأسه."

أجبتـه: "حسناً، ولكن عليكم أن تتراجعوا." وناديت: "ناتان، قل له أن يخرج واضعاً يديه خلف رأسه. وقف بجانبه تماما."

هكذا نزل ناتان ورايلي السلم. وكبل رجال الشرطة الشاب ثم دخلوا البيت لأخذ بندقيته التي بقيت مسندة الى المقعد.

لا أعرف ماذا جرى لرايلي منذ أعاده رجال الشرطة الى السجن. لكنني أصلي من اجله. وقد عادت الامور الى مجراها الطبيعي، باستثناء أني اصبحت محط أنظار اكثر مما يجدر بامرأة عجوز أن تتوقع."

■ **رواية لويز دغرافنريد وكتابة جيفري جابنغا**

موافقة مبدئية

عندما يقول المرء انه يوافق على أمر ما من حيث المبدأ، فهذا يعني أن لا نية لديه مطلقاً لوضع ذلك الامر موضع التنفيذ.

بسمارك

هَل أنتَ مُحقّق نَاجح؟

دونك ثلاث جرائم عليك أن تحلّ ألغازها. ليس بينها ما يتطلّب معرفة خاصة، وفي كل منها دليل قوي وواضح يوصل الى الحل. واذا كشفت القضايا الثلاث كلها فأنت مؤهل لأن تكون محققاً جنائياً.

الأجوبة في الصفحة ١١٢

١ . ذات يوم من أواخر العام ١٩٤١ وقف العقيد روبرت مونتغمري من ادارة الشرطة البريطانية (اسكوتلنديارد) أمام أعضاء نادي القضايا الخفية في لندن، وهم جماعة من الناس يستمتعون بالبحث في القصص البوليسية.

قال العقيد: "لم أكن لآتي طالباً مساعدتكم لو لم يكن للأمر أهمية. فقد وصل شخص غريب الى لندن قادماً من أمريكا الجنوبية. وأبلغتنا استخباراتنا أنه قد يكون عميلا نازياً. ونحن نعتقد أنه يحمل مبلغاً كبيراً من المال لكي يمول عمليات التجسس في بريطانيا.

"وبعد ساعات من مغادرته المركب هيأنا له التعرض لحادث سير أدى الى اصابته بكسر في ذراعه فنقل الى المستشفى. وفتش زجالنا ثيابه وحقيبته التي كانت تحتوي على رسائل من أصدقائه في غيانا البريطانية. ولم نكتشف شيئاً مريباً. والآن، اما أن يكون هذا الرجل بريئاً، واما انه عميل حاذق جداً.

"لقد أخذنا في الاعتبار مناورات عدة محتملة. ربما يكون أرسل الى عنوانه مبالغ من النقد البريطاني المزور، لكن عدم انتظام خدمات البريد في الحرب يجعل هذا الاحتمال مستبعداً. وربما زرع درراً ثمينة في جسده جراحياً، لكن صور الاشعة ألغت هذا الاحتمال أيضاً. وغداً صباحاً سيخرج هذا الرجل من المستشفى ويختلط بالناس. فهل لديكم اقتراحات حول طريقة اخفائه مئات الألوف من الجنيهات؟"

التفت أعضاء النادي بعضهم الى بعض وتهامسوا لفترة وجيزة ثم اهتزت رؤوسهم بالموافقة. وعندئذ نهض رئيس النادي وقال: "يا حضرة العقيد، نحن نعتقد أنك أغفلت احتمالا بديهياً."

هل لك أن تفسر هذ الاحتمال؟

٢ . "يا سيد رايلي. أنا العقيد مونتغمري من اسكوتلنديارد. يؤسفني أن أحمل اليك خبراً سيئاً. لقد وجد صهرك مقتولا."

صرخ الرجل على الطرف الآخر: "يا الهي. لكنني كنت مع ميكي الليلة الماضية. لا يمكنني أن أصدق هذا الخبر. هل أنت متأكد أنه هو؟"

أجاب العقيد: "ان تحديد الهوية ثابت يا سيد رايلي. وأود أن آتي اليك الآن وأبحث معك في شأن من قد يكون لديه حافز لقتله."

وبعد ساعة كان العقيد مونتغمري جالساً في منزل رايلي.

قال رايلي: "ليس في الامر سر، ميكي له أعداء. فشريكه في التجارة هارولد سميث اتهمه مرة باختلاس أموال من تجارتهما وحدثت بينهما مشادة عنيفة. ثم هناك صهري الآخر تشارلز جونز الذي اتهم ميكي بالتحرش بزوجته. ويؤسفني أن أقول لك ان تشارلز على علاقة بعصابات الاجرام، لكننا لم نسمع عنه شيئاً منذ أشهر. وثمة شخص آخر قد يكون قتل ميكي. وهو صهري بيلي. وسأعطيك عنوانه اذا وعدتني بألا تبوح له بأني أنا الذي أعطاك العنوان."

Condensed from Discover (November '84). © 1984 by Time Inc., New York, N.Y. Illustrations: Jon Wolstenholme

قال العقيد: "لا، شكراً يا سيد رايلي. فما قلته لي الآن يؤكد لي أنك أنت قاتل ميكي."

كيف كشف العقيد مونتغمري الأمر؟

٣. كانت ادارة "اسكوتلنديارد" تستنطق الجاسوس آلفونسو، وقال العقيد مونتغمري: "حسناً يا آلفونسو. أين خبأت الوثيقة التي سرقتها من وزارة الخارجية؟"

أجاب آلفونسو: "كنت خائفا من القبض علي. وحين رأيت أحد رجالك يتعقبني دخلت مكتبة عامة وخبأتها في كتاب. أنا أعرف أنكم ستتعبون كثيراً للعثور عليها وسط كل تلك الكتب، لكني أؤكد لك أني دسستها بين الصفحتين ١٢٣ و١٢٤ من أحد الكتب. وقد ركزت تفكيري كله على هذين الرقمين بحيث نسيت اسم الكتاب."

قال العقيد مونتغمري: "انك تكذب يا آلفونسو. قل لي أين وضعتها حقا."

كيف عرف العقيد مونتغمري أن آلفونسو كان يكذب؟

■ **مايكل ستوبن**

الاجوبة الصحيحة في الصفحة ١١٢

سحر الأسماء

كان شاعر كبير وزوجته يستقبلان أصدقاء لهما عصر أحد الأيام. وبعد تناول الشراب في الحديقة وتبادل الحديث قرروا جميعاً تناول العشاء في مطعم. ودخل الشاعر منزله ليتصل بمطعم للحجز. ولما عاد سأله أحد الضيوف: "ماذا فعلت؟" فقال: "وجدت جميع المطاعم محجوزة لهذا المساء."

واستأذنه صديقه ليحاول هو الحجز. وبعد دقائق عاد مبتسماً وهو يقول: "عظيم! لقد وجدت مكاناً لنا جميعاً في مطعم جيد."

ولما ذكر اسم المطعم قال الشاعر انه من جملة المطاعم التي اتصل بها. وسأل صديقه كيف استطاع حجز الطاولة. فأجاب: "لقد أعطيتهم اسمك، وهذا كان كافياً."

د.ف.

علامات فارقة

ذهبت امرأة الى متجر قبيل اقفاله، واذ انصرفت نسيت هناك كيساً فيه بعض مشترياتها. ولما عادت الى المتجر وجدته مقفلا. ولكن ما ان ظهرت في الباب صباح اليوم التالي حتى قال لها الموظف المسؤول ان كيسها محفوظ. الا أن فرحها تحوّل كآبة حين قرأت ما خطه أحدهم على الكيس "هذه السلع تخص المرأة القصيرة البدنية التي كانت ترتدي سترة صفراء."

د.ز.

القاتل بين إصبعيك

١ـ تحذيرٌ إلى صَبيّة

تتمخطرين برشاقة في الشارع وتتنشقين الحياة والمرح والدخان القاتل

في طريقي الى عملي هذا الصباح مررت أمام المدرسة الثانوية. وكعادتي، رأيت الشباب يفدون الى المدرسة زرافات ووحدانا. ولفتتني فتاة جذابة في الخامسة عشرة من عمرها.

كانت تنفث دخان سيجارة وهي تمشي مع أترابها ضاحكة مازحة. كانت تنبض بالحياة، تماما كزوجتي شيرلي.

Condensed from The Rustler (October 21, '81), © 1981 by The Rustler, King City, Calif. Illustration: James Alexander

اعتدت أن أدعو شيرلي "ذات العينين الباسمتين". فقد كانت ابتسامتها تملأ وجهها فيضيء ألق عينيها حياتي.

وكانت أدركت سن الرشد حين التقيتها، ووجدتها ناضجة ممشوقة القوام مفعمة بالنشاط للحياة وللعمل.

وفي الكتاب السنوي الذي أصدرته مدرستها في كونواي (ولاية نيوهامشير) ورد أن شيرلي فرنسيس انتخبت أفضل تلميذة موهوبة ومحبوبة.

كانت فتاة بكل ما في هذه الكلمة من معاني الرقة، بيد أنها أجادت أيضا لعبة كرة القاعدة (بايسبول) كأي شاب. وكانت سباحة منقذة، كما اعتادت أن تتزلج على المنحدرات الجبلية بجرأة ولامبالاة. وكانت قادرة على السهر طوال الليل والذهاب الى العمل في الصباح التالي وعيناها تتألقان نشاطاً. وكانت تتحدث في السياسة وتناقش الافكار والفلسفات.

علمتها ركوب الخيل فأخذت تلاحقني على صهوة جوادها في أوعر المسالك. ونصبنا خيما كثيرة واصطدنا السمك والطيور. كانت تجيد الصيد وتطعم الشص بمهارة وتطهو على موقد المخيم.

وبعدما ولدت لنا أربعة أطفال تعلمت التزلج المائي. كانت أبرع مني في التزلج المنفرد، كما كانت تقود القارب البخاري حين تفرغ من غسل حفاضات أولادنا.

ولكن كلما اشترت شيرلي ما تتطلبه العائلة من بقالة كانت تشتري كذلك صندوقا من علب السجائر.

فعلى غرار تلك الفتاة التي رأيتها هذا الصباح بدأت شيرلي التدخين حين كانت في الخامسة عشرة. وكان التدخين هو النمط الرائج آنذاك، ولم يحذرها أحد من أنه مضر بصحتها. وفي أواخر الاربعينات لم تكن التحذيرات الطبية تذاع وتنشر كما اليوم. وتماما كما اعتادت شيرلي الافراط في كل ما تفعله، أفرطت في التدخين.

وهكذا قدر لي أن أراقب ذلك الجسد الرشيق المفعم صحة يهزل حتى يصبح وزنه ٣٦ كيلوغراما. وشاهدت كيف يهرم المدخن قبل الاوان. رعيتها بكل عناية حتى أبلت من مرض في القلب ومن جراحة لابدال شريان. وحين اكتشف الاطباء أوراما في عنقها أخذت أرافقها في زياراتها لتلقي المعالجة الكيميائية، فأمسك بيدها وأراقب معاناتها فيما المواد الكيميائية تفعل فعلها في جسدها. وبعد ذلك شاهدت الحروق التي احدثتها جلسات المعالجة بالاشعة.

بذلت شيرلي كل طاقتها. وكنت فخورا بكفاحها من أجل البقاء. لكني لن أنسى ما حييت كيف تحوّل ذلك السعال الصباحي الذي رافقها طوال ٤٠ سنة أحة عنيفة خانقة. وظللت أحضنها حين تنهض ليلا وتجاهد كي تتنشق الهواء، حتى أصبح احتضاني الرفيق يؤلم جسدها الذي تفشت فيه الأورام.

وأخيرا قضت وهي في الخمسين بسبب سرطان الرئة.

ليت تلك الفتاة الشابة التي رأيتها هذا الصباح تقرأ هذه الاسطر. ويا ليتها عرفت شيرلي. انها تشبهها كثيرا.

■ هاري كايسي

٢- ... وإلى جميع المُدخّنين

شرح للاخطار الكثيرة التي ينطوي عليها المسبب الأعظم للموت الذي يمكن درؤه

في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٤ أقر الكونغرس (البرلمان) الامريكي قانونا يقضي بأن يحذر صانعو السجائر الناس تحذيرا أكثر صرامة، من أخطار التدخين.

قال عضو مجلس الشيوخ أورين هاتش، وهو من الدعاة البارزين الى سن هذا القانون، ان التشريع الجديد "يمثل جهدا وطنيا للتثقيف الشعبي ويهدف الى تعزيز وعي المواطنين لما وصفته وزارة الصحة الامريكية بأنه العامل الاكبر في

نماذج التحذير الأربعة المتعاقبة:

وزارة الصحة تحذرك:

التدخين يسبب سرطان الرئة وأمراض القلب وانتفاخ الرئتين وقد يؤدي الى مضاعفات في فترة الحمل.

وزارة الصحة تحذرك:

انقطاعك عن التدخين الآن يقلل من الاخطار الشديدة التي تهدد حياتك.

وزارة الصحة تحذرك:

التدخين في فترة الحمل قد يتسبب بتشوه الجنين وبولادة قبل الأوان وبنقص وزن المولود.

وزارة الصحة تحذرك:

دخان السجائر يحوي أول أوكسيد الكربون.

 Condensed from New York Times (September 27, '84), © 1984 by The New York Times Co., New York, N.Y.

التسبب بالموت الذي يمكن درؤه، أي تدخين السجائر."

في شهر مايو (أيار) ١٩٨٤ جاء في تقرير المسؤول الاعلى في وزارة الصحة الامريكية ما يأتي: "يمكننا اليوم أن نجزم أكثر من أي وقت مضى بأن السجائر تمثل أهم خطر منفرد على الصحة في هذه البلاد، وهي السبب أكثر من أي عامل آخر معروف في الوفاة قبل الأوان."

ويقدر الموظفون الصحيون في الولايات المتحدة أن للتدخين علاقة بنحو ٣٥٠ ألف وفاة تحدث سنويا، منها ١٣٠ ألفا بسبب السرطان و١٧٠ ألفا بسبب الأمراض التاجية في القلب و٥٠ ألفا بسبب الانسداد المزمن في الرئتين. ويذكرون أن مليارات الدولارات تصرف كل سنة لمعالجة أمراض ناشئة من التدخين.

وقال عضو الكونغرس هنري واكسمان: "اذا استطعنا بهذه التحذيرات الصارمة اقناع الناس بالاقلاع عن التدخين أو بالامتناع عن مباشرته، فنكون حققنا مساهمة حقيقية في خفض نفقات الرعاية الصحية وأنقذنا كثيرين من الموت."

منذ العام ١٩٧٠ تحذر ملصقات على علب السجائر والاعلانات من أن "وزارة الصحة الامريكية جزمت بأن تدخين السجائر يهدد حياتك بالخطر." أما التشريع الجديد الذي يدعو الى استخدام عبارات تحذيرية أشد صرامة، فقد وقعه الرئيس رونالد ريغان وجعله قانونا في خريف ١٩٨٤، وسيبدأ تطبيقه في شهر أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٥.

■ ارفين مولوتسكي

هاتف الطوارىء

كانت السنة الاولى التي أمضتها ابنتنا الوحيدة في الجامعة عذاباً لها ولنا جميعاً. وهي المرة الاولى - باستثناء العطلة الصيفية - تغيب فترة طويلة عن البيت. لذلك كنا نرحب باتصالاتها الهاتفية، علماً أنها كانت تحول الفواتير علينا.

ولكن لما بلغت تلك الفواتير رقماً قياسياً وجدت من الضروري أن أنبه ابنتي الى الأمر، فقلت لها: "الأجدى أن تعمدي يا عزيزتي الى كتابة الرسائل، وتتركي الهاتف للأمور الطارئة."

وبعد يومين اتصلت بي قائلة: "اهدأي يا أمي، إنه أمر طارىء."

ب.ب.

ما أعظم تسجيل شروق الشمس على شريط فيديو لكي يتسنى لاناس أكثر أن يتذوقوه لاحقاً.

د.ل.

مُصَوِّرُو الكلاب

مجموعة صور
صديقنا الوفي

١. جاك هنري لارتيغ، "توبي"، ١٩٢٣

تلك الصلة الوثيقة بين الانسان وكلبه تمثلت في أعمال الفنانين عبر القرون. وتعرض رسوم الكلاب أدواراً اجتماعية لهذه الحيوانات لا تعد ولا تحصى. الا أن افتتان الانسان بتسجيل حركات كلبه تفتَّح حقاً مع ظهور التصوير الفوتوغرافي عام ١٨٣٩.

ومن المصادفات السعيدة أن النجاح الشعبي العارم الذي لقيه التصوير الفوتوغرافي تزامن مع بدء عهد ذهبي للكلاب كحيوانات بيتية أليفة. وفي الصور التي تعود الى العصر الفيكتوري، كثيراً ما نجد كلباً مدللا اتخذ وضعية خاصة للتصوير كواحد من أفراد العائلة. وكان التصوير يتم آنذاك على ألواح فضية.

وبعد اختراع آلة التصوير اليدوية "كوداك" عام ١٨٨٨ أضحى تصوير الكلاب متعة عائلية شائعة. لكن مصورين محترفين بارعين اتخذوا الكلاب مواضيع لصورهم.

واذ ننظر الى الكلب من خلال تاريخ التصوير الفوتوغرافي، تتعمق مفاهيمنا لتلك العلاقة المتينة الدائمة بينه وبين الانسان. وتعرض هذه الصور لحظات تعاطف جديرة بألا تنسى. وفيها كلاب أصيلة ذوات حسب ونسب وأخرى هجينة ولكن لها في القلب مكان. وكلها خلدتها عيون الفنانين وعدساتهم.

■ روث سيلفرمان

Condensed from «The Dog Observed,» copyright 1984 by Ruth Silverman, published by Alfred A. Knopf, Inc., New York, N.Y. Photos: 1,3 and 11, © 1985 by Spadem, Paris/Vaga, N.Y. 5, The Museum of Modern Art, N.Y. 6,12 and 13, Magnum photos. 7, © by The Berlinische Galerie, Bildarchiv Preussischer Kulturbesitz, Berlin. 2, © by the estate of Lisette Model/Sander Gallery, N.Y. 4, Univ. of Louisville Photographic Archives. 9, Susan Harder Gallery, N.Y. 10, Black Star. 8, Collection David Freund

٢. ليزيت موديل،
"جادة الانكليز، نيس"، ١٩٣٧

٣. جاك هنري لارتيغ،
"ابنة خالي سيمون روسيل"، ١٩٠٤

٤. لويز روسكام،
"كودي، ويومنغ"، ١٩٤٤

٥. دانا ستايشن، "ادوارد ستايشن مع فينغال أمبلسايد"، قرابة ١٩٣٠
٦. ايليوت ارويت، "نيويورك"، ١٩٧٤

٧. إريك سالومون، "كلب في القطار بين شيكاغو ونيويورك"، ١٩٣٢

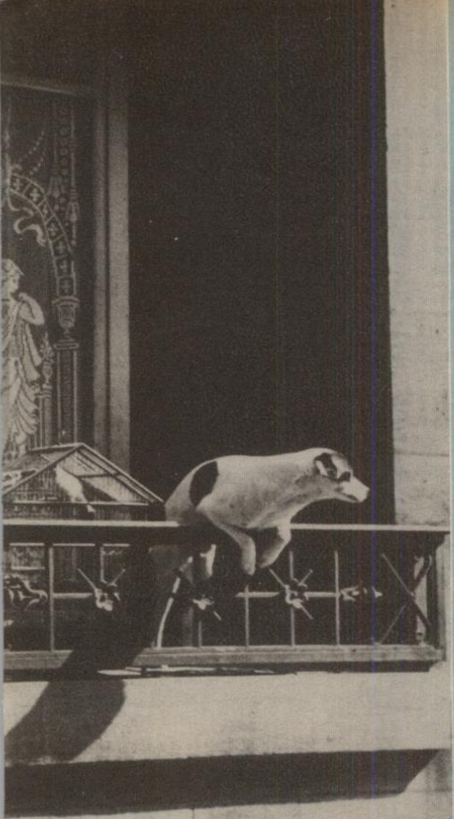

٨. مصور مجهول.
بطاقة بريدية أمريكية. قرابة ١٩١٢

٩. أندريه كيرتيز، "كلب البواب"، ١٩٢٦

١٠. مصور مجهول، "تدريب الكلاب البوليسية"، سيدني، أوستراليا، قرابة ١٩٤٨

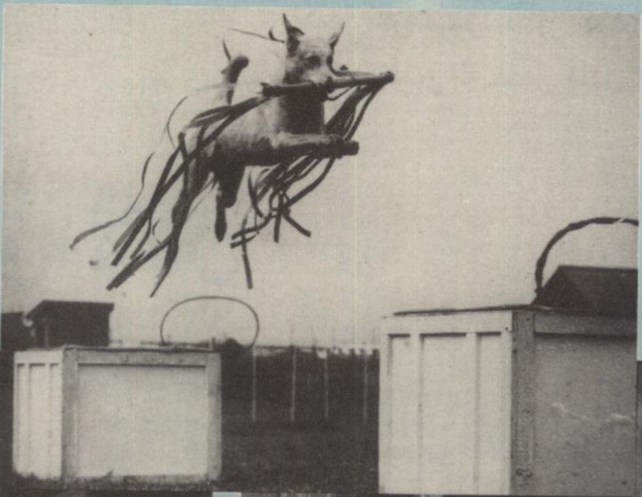

١٢. ايليوت ارويت، "ويومنغ"، ١٩٥٣

١٣. هنري كارتييه - بريسون، "خارج حانة"، ١٩٦٨/١٩٦٩

١١. جاك هنري لارتيغ، "جادة غابة بولونيا"، باريس، ١٩١١

شقّت هذه الطريق وسط الاخطار في أوعر اراضي آسيا. لكنها الآن تبشر بتطور اقتصادي لم يسبق له مثيل داخل ماليزيا

طريقُ الأمَلْ

أشرق صباح الأحد في الخامس عشر من مارس (آذار) ١٩٨١ على معسكر دائرة الاشغال العامة، قرب طريق ماليزيا الممتدة من الشرق الى الغرب والتي يوشك العمل فيها على الانتهاء. وركب الرجال شاحنة تابعة للدائرة وراح السائق يلعن الضباب الكثيف فيما محرك الديزل يجأر والشاحنة تتسلّق المنحدر الحاد. واذ بلغت الشاحنة قمة احدى التلال انفجر قرب محورها الخلفي لغم بدائي تشعله بطارية. وصرخ السائق: "مكمن!" في الوقت الذي دوّى انفجار آخر أضاء الضباب واخترقت رصاصات الزجاج الامامي.

انحرف السائق أقصى ما يستطيع وقاد شاحنته الى الجانب الآخر من التل. وتبين أن ركابه العشرة تلطّخوا بالدم لكن واحداً منهم فقط أصيب بجروح خطرة.

مثل هذه الاعتداءات من الثوار لم تكن العقبة الوحيدة التي واجهها العاملون في شق الطريق. فعند الكيلومتر الثلاثين كتلة صخرية صلدة ترتفع ١٠٦ أمتار وتقطع الطريق عرضا، وقد أطلق عليها اسم "صخرة جبل طارق". ولم يكن ممكناً لف الطريق حول هذا المرتفع الصخري، فاضطر المهندسون الى اختراق العقبة الضخمة بالتفجير. وتطلّب ذلك منهم سنتين من الجهد المضني و٣٠٠ ألف كيلوغرام من المتفجرات. وأخيراً أفلحوا في فتح طريق عبر الصخرة.

وسمت هذه الاحداث، وغيرها كثير، تاريخ الطريق الممتدة من الشرق الى الغرب في عنق شبه جزيرة ماليزيا التي استغرق شقّها ١٢ سنة عبر غابات عذراء ومرتفعات صخرية ومفازات سحيقة. وافتتحت هذه الطريق التي يبلغ طولها ١١٦ كيلومتراً في شهر يوليو (تموز) ١٩٨٢، وهي تخترق سلسلة الجبال الرئيسية التي أبقت ساحل ماليزيا الشرقي المتخلّف اقتصادياً معزولا عن الساحل الغربي المزدهر، فاختصرت المسافة بين مدينة كوتاباهارو على

الساحل الشرقي ومرفأ بينانغ الغربي بأكثر من ٦٤٠ كيلومتراً. وهكذا أضحت مصادر المعادن والخشب الوفيرة في كيلاتان قابلة للتطوير، وبات في وسع هذه الولاية الشرقية الكثيفة السكان أن تندمج في تيّار الحياة الوطنية. وقال أحد سكان كيلاتان مزهواً: "انها معجزة رائعة. لقد فتح أمامنا وأمام أولادنا مستقبل أكثر اشراقاً."

لم يكن مشروع هذه الطريق زهيد الكلفة، فقد مات عشرة رجال في أثناء العمل، ستة منهم قضوا في حوادث وأربعة قتلوا في مكمن. واذ اضطر المنفذون الى ازالة ٤٧،٥ مليون متر مكعب من التراب ونحو أربعة ملايين متر مكعب من الصخور، ارتفعت النفقات المقدرة الى ١٦٩ مليون دولار أي أكثر من ضعفي كلفة طريق مماثلة تشق في أرض أقل وعورة. وهذا الرقم لا يشمل تكاليف عمليات حفظ الامن. فمنذ ١٩٧٦ يتولى ٣٠٠٠ جندي حراسة الطريق والعاملين فيها من هجمات الثوار.

كان الثوار ينطلقون في عملياتهم من مخابىء لهم في الغابات في شمال

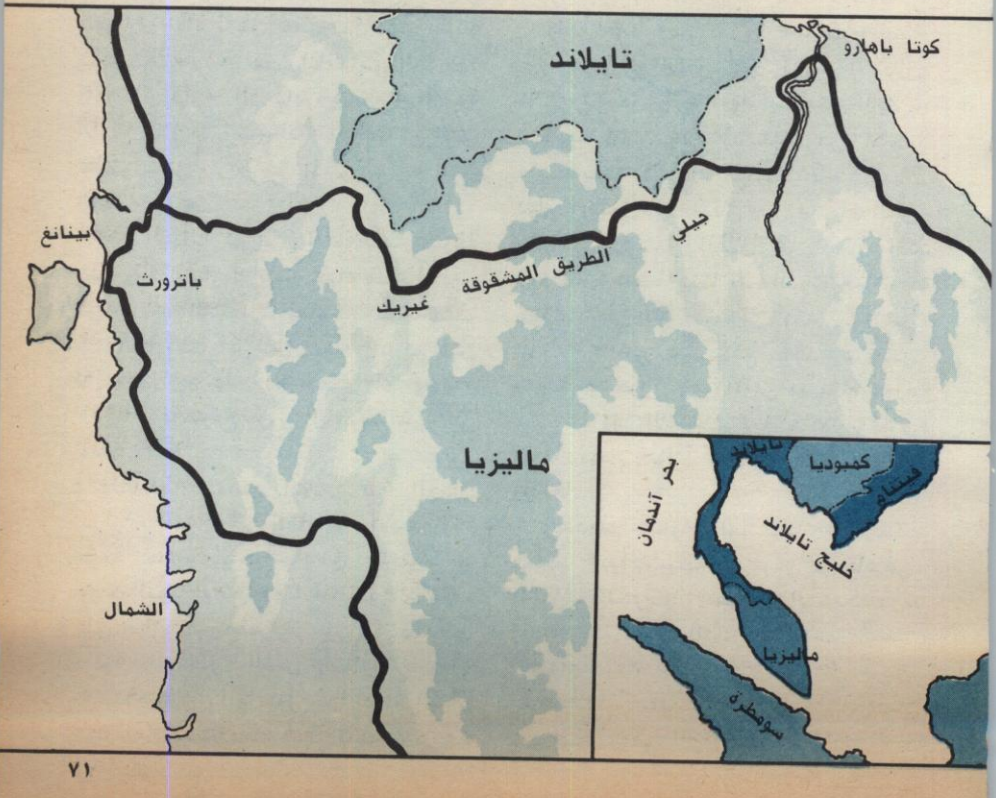

ماليزيا، وذلك منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية. ويقول داتوك سامي فيلو وزير الاشغال العامة والخدمات في ماليزيا: "معظم المهاجمين كانت لهم قواعد في جنوب تايلاند، وكانوا يتنقلون بحرية عبر الحدود. وجاءت الطريق لتقطع دروب تسلّلهم وتفتح المنطقة للاعمار والاسكان وتقفل عليهم السبيل الى أمان تايلاند. ولا غرو أن انشاء هذه الطريق لم يعجبهم."

رصاص وألغام – يعود وضع أسس هذا المشروع الى طون عبد الرزاق رئيس الوزراء الثاني في ماليزيا. فقد أقلقه تذمّر المعارضة في الولايات الشرقية المهملة، فأوعز الى دائرة الاشغال العامة عام ١٩٦٩ بمباشرة المهمة الكبرى التي تقضي بشق طريق في احدى أوعر أراضي آسيا.

في البداية لم تكن التوقعات مشرقة جداً. ويقول داتوك بوب شياه مدير الطرق في دائرة الاشغال العامة: "كنا ننقب كالدجاج بحثاً عن كل شيء، اذ لم تكن لدينا موازنة ولا تصاميم." ولم تتيسر الكفاية للمشروع من رجال ومعدات إلّا في العام ١٩٧٣.

ولما كان مسح الارض في الجبال الوعرة المغطاة بالغابات الاستوائية مهمة مستحيلة، استدعي مستشارون أوستراليون لوضع خطة الطريق اعتماداً على خرائط مسح جوية. غير أن مهندسي دائرة الاشغال الذين فتحوا طريقاً للاستكشاف، كانوا أول من أماط اللثام عن الغابات الاستوائية الكثيفة. فهم وجدوا أن ارتفاع الجبال وعمق الوديان يحولان دون تنفيذ التصميم الاولي الذي وضع للطريق. كما أن الأمر بفتح الانفاق وبناء الجسور العالية لم يكن قابلا للتنفيذ بسبب أعمال التخريب. وتعيّن على المهندسين التكيّف مع طبيعة الارض واتباع تعرجاتها. وللاسراع في انجاز المشروع قرروا مباشرة العمل في طريق الاستكشاف الأولية من طرفيها، اي من بلدة غيريك في الغرب وبلدة جيلي في الشرق، ومن ثم الالتقاء في الوسط. وبدأ العمل في شهر أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٠.

ولكن بعد مضي ثلاث سنوات ونصف سنة على المباشرة، حين أخذت الاعمال تحقق تقدماً، وجه الثوار ضربتهم الاولى، ففجروا ٦٨ جرافة وتسبّبوا في أضرار فادحة بلغت قيمتها مليوناً ونصف مليون دولار. ويقول المهندس س. مانيام الذي كان مسؤولا عن العمل في جهة بلدة غيريك: "عندما جئنا الى الموقع شاهدنا معدات محروقة وملتوية. وكان ١٤ من عمالنا عالقين في موقع متقدّم من دون حماية عسكرية. ووجدنا أن مسافة كبيرة من الطريق الاستكشافية كانت تفصل بيننا وبين هؤلاء العمال وهي مفخخة بالالغام."

وتقدمت القوة العسكرية الحارسة، ومعها مانيام، ببطء مع فريق من كاشفي الالغام لتحرير العمال المحتجزين. واصطدمت احدى السيارات بلغم وكشف الجنود سبعة ألغام أخرى. ووصل فريق الانقاذ اخيراً الى الرجال المعزولين من دون خسائر في الارواح.

عقب هذه الاعتداءات رفعت قوة الحراسة الى ١٥٠٠ رجل وأعطي عمال دائرة الاشغال اجازات مرور خاصة وفرض منع التجول بعد السادسة والنصف مساء. ومع ذلك بقي القلق مستبداً بالعمال من جراء اطلاق النار ليلا الذي كان يوقظهم من نومهم مذعورين، وبسبب الانذارات الترهيبية التي كانت تكتب باليد.

قهر الغابة - بحلول شهر مايو (أيار) ١٩٧٧ امتدت الطريق حوالى ٢٩ كيلومتراً من غيريك و١٧،٥ كيلومتراً من جيلي. وقبيل نهاية السنة ركض جندي على جهة غيريك نحو رئيس المهندسين أ. نارايانان وزعم أنه سمع من بعيد هدير جرّافات تعمل. ورد المهندس قائلا: "ما هذا الهراء؟ انك تتوهّم سماع أشياء منذ ثلاثة أسابيع." وصوّب نارايانان منظاره المكبّر. كان هناك حقاً فريق من جيلي يعمل على السفح الآخر من المرتفع.

بعد قرابة سنة وقف س. سيدهو مهندس فريق جيلي في نهاية طريقه الاستكشافية يراقب نارايانان وهو يشق الامتار القليلة المتبقّية بينهما. وصاحا معاً مهللين. لقد قهرا الغابة الاستوائية الوعرة.

لكن الطريق الاستكشافية لم تكن سوية، فأخذت تبرز المشاكل الطبيعية التي كانت تحجبها المخاوف من تهديدات الثوار. وتطلب الامر ردم وهاد وتمهيد تلال. ولمنع السيول من جرف الطريق انشىء ٢٨٢ مجروراً (عبّارة) تحتها. وفي فصل الامطار الموسمية التي تستمر من نوفمبر (تشرين الثاني) الى يناير (كانون الثاني) كانت العواصف الماطرة توقف العمل وتغمر المياه الارض بخضم من الاوحال. وفي العام ١٩٧٩ سبّبت السيول زحولات في التربة مما أوجب ترميم أجزاء كبيرة من الطريق.

يقول ب. ساندرامورتي رئيس المهندسين في جيلي: "لم تكن ثمة أجهزة هاتف في المنطقة آنذاك، وكانت اتصالاتنا تتم لاسلكياً متى أمكن. فاذا احتجت الى قطعة غيار، وان تكن حلقة صغيرة، كان علي أن أتصل لاسلكياً بالعاصمة كوالالمبور أو اكتب رسالة الى الوكيل. وربما اقتضى الامر انتظار أسبوعين قبل وصول القطعة المطلوبة."

أغرت البحبوحة الاقتصادية في أواخر السبعينات العمال المهرة، فسعوا الى الاعمال الارفع أجراً وغادر كثيرون المشروع. ولكن على رغم كل هذه المصاعب ظل الهدف واضحاً: انجاز الطريق بين الشرق والغرب بأي ثمن. وقد تم هذا فعلا عام ١٩٨٢ بعد تخلّف بضع سنوات عن الموعد المحدد وصرف نحو ١٠٠ مليون دولار اضافية الى الكلفة المقدرة أصلا.

آمال كبيرة - لكي أعاين الطريق بنفسي انطلقت من طرفها الغربي في بلدة غيريك الصغيرة. وكان تأثير الطريق في البلدة ظاهراً للعيان. فقبل انشائها كان أبرز بناء هناك استراحة حكومية من أربع غرف. أما الآن فقد بنيت بضعة فنادق وأصبحت المحلات التجارية تباع وتشرى بخمسة أضعاف ثمنها قبل شق الطريق.

ومع أن آخر هجوم للثوار شُنّ قبل أكثر من سنتين، فان الحكومة لا تزال تراقب الطريق باهتمام. وثمة مركز للجيش على كل كيلومتر من طول الطريق. ومن حسن الحظ أن النشاط العدائي كان ضئيلا. وقال لي آمر أحد المراكز العسكرية وهو يبتسم: "ان أخطر حادث وقع أخيراً هو جفول قطيع من الافيال على الطريق."

ان المناظر التي تلوح للمشاهد من فوق منعطفات الطريق تبهر الانفاس. وتبدو ثنايا التلال الزرقاء كأنها تنساب الى ما لا نهاية. وعلى بعد ٤٢ كيلومتراً من غيريك جسر قرب خزان سونغاي بيراك يهيمن على المناظر الطبيعية ويمتد فوق أكبر بحيرة اصطناعية في البلاد وهي تغطي مساحة ٣٤٠ ألف هكتار من الارض وراء سد تيمنغور، وهو ثاني أطول جسر شيد أبداً في ماليزيا. وعلى طول الطريق يتمتع المشاهد بمناظر خلابة للارياف المخضلة. وعند شلالات بيرغاو ذات الجمال النادر على تخوم ولاية كيلاتان يتدفق فيض عظيم من الماء البارد كالثلج فوق صخور هائلة.

بعد ليلة راحة قضيتها في معسكر لدائرة الاشغال العامة في ضواحي جيلي، قدت سيارتي صعداً على تلة شديدة الانحدار تدعى "شرك جيلي" لأن الشاحنات المثقلة بأحمالها تواجه صعوبة في بلوغ قمتها. ووصلت الى بلدة جيلي وهي الطرف الشرقي للطريق، وفيها شارعان ترابيان على جانبي كل منهما حوانيت خشبية متداعية. لكن هذه البلدة ايضا على شفا التحول. وعلى غرار من يربح ورقة يانصيب فتتعتعه الثروة التي هبطت عليه، قال لي تشي موجي وهو صاحب حانوت في الاربعين من عمره: "ستهب لي الحكومة حانوتاً جديداً عندما يعاد بناء بلدتنا."

ستغطي البلدة الجديدة مساحة ٢٨٣ هكتاراً، وستوفر مؤسسة صناعية كبرى اعمالا لنحو ٢٥ ألف نسمة. وهناك الآن ٥٠٠ شخص على الاقل يعملون في مناشر الخشب التي أنشئت في المرحلة الاولى من المشروع. وقال لي سيد حسين المدير العام لاحدى المناشر: "كان صاحب المنشرة في كيلاتان يحتاج الى ثلاثة ايام لارسال شاحناته الى مرافىء الساحل الغربي. والآن تستغرق الرحلة الى مرفأ بينانغ يوماً واحداً، كما أن تكاليف النقل انخفضت الى النصف."

وفيما أنا أقود سيارتي عائدة الى جيلي مررت بمجموعة من الاكواخ ذات السقوف المصنوعة من سعف النخل قرب حقل رز. وللماليزيين قول شائع في وصف هذا النوع من الفاقة: "انكش الارض صباحاً لتأكل في ذلك الصباح، ثم انكشها مساء لتأكل في ذلك المساء." وعلى جانب الطريق رأيت صبياً على كتفيه قباء يدعى "سارونغ" ذو لون برتقالي زاه. لا ريب في أنه سيلتحق بالمدرسة الثانوية التي يجري بناؤها، وسيحصل أبوه على أجر كاف من المؤسسة الصناعية الجديدة فيتحرر من نكش الارض كل يوم. وبعد عشر سنين سيتاح لهذا الصبي أن يخلع القباء ويرتدي بذلة ويحمل حقيبة عمل. لقد فتحت الطريق أمامه سبيلا الى العالم الواسع.

■ هالينا تود

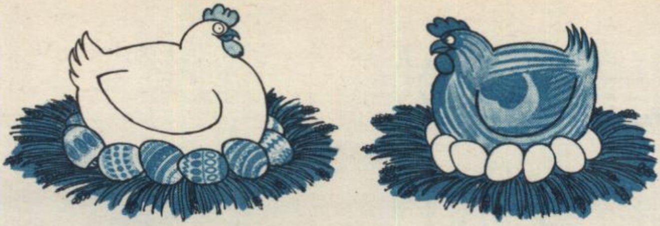

صور من الحياة

الكهرباء والليل الدائم

لدى انقطاع التيار الكهربائي في مدينة نيويورك صيف ١٩٨٣ اضطرّ موظّفو فندق «بنتا» الى العمل خارج ساعات الدوام لحل مشاكل النزلاء الذين احتُجزوا داخل المصاعد أو في أمكنة أخرى من الفندق. وارتأت الادارة لاحقا تكريم العمّال ومكافأتهم. إلا أن أحدهم قال: «لقد أمضينا ساعات قليلة وسط الظلام. وهذه ليست شيئا بالنسبة الى الذين يمضون حياتهم كلها في ليل دائم.» فما كان من الادارة إلا أن أرسلت هبة سخية الى جمعية نيويورك للعميان.

ا.ج.

دورة الحياة

كنتُ وصديقتي نتناول الغداء في مطعم مزدحم، وسمعنا المحادثة الآتية بين امرأتين الى الطاولة المجاورة: «لا أدري ماذا أفعل لها. فهي تأتي وتذهب. وإذا قلتُ لها انه ينبغي أن أعرف أين كانت، أجابت أنها حياتها الخاصة وهي تريد أن تعيشها على هواها. وهي تأكل الطعام غير المغذّي وتسخر مني عندما أُشير الى حسنات المآكل الجيدة.»

وهنا همست صديقتي: «يبدو أن ابنة هذه المرأة كابنتي. وليس غريبا أن يتشابه المراهقون.»

قلت: «الطريف أن الكلام ينطبق على ابنتي أيضاً.»

وإذذاك تابعت جارتنا كلامها: «لم أكن أعرف قطّ أن في امكان امرأة في السبعين أن تكون عنيدة الى هذا الحد. بربك قولي لي كيف أتصرف تجاه أمي.»

م.م.

جار بطيء

فيما كنتُ أعدو للمرة الاولى في جيرتنا الجديدة رأيت عداء آخر يركض نحوي. ولما اصبح قريباً مني حييته وقلت له: «انه يوم جميل، أليس كذلك؟» الا أنه عبر قبل أن يجيبني.

وفي الصباح التالي صادفته من جديد يتجه نحوي. وما ان دنا مني حتى صاح: «أجل، انه صباح جميل حقاً.»

ر.ك.

لا تقلْ وداعًا!

يدرّس وليم بويلز تاريخ الولايات المتحدة في ثانوية ساذنفتون في كونتيكت. وبصفته مرشداً لصف المتخرجين عام ١٩٨٣ كان عليه أن يلقي خطاباً في السهرة الوداعية التي أحياها الصف المنتهي. وهو يتذكر تلك المناسبة: "لم أكن أعرف ماذا يجدر بي أن أقول لأعبر لهم عن حبي." وفيما هو جالس في الحديقة حيث اعتاد أن يلهو في طفولته تذكر أن جده علّمه قبل زمن بعيد كيف يودع شخصاً يحبه. وها هو نص الخطاب الذي ألقاه:

حين كنت في العاشرة من عمري تعين علي أن أقاسي عذاب الانتقال من البيت الوحيد الذي عرفته وأحببته. فحياتي كلها، القصيرة حينذاك، قضيتها في ذلك البيت الكبير الذي امتلأ ضحكات وعبرات لأربعة أجيال من عائلتنا.

ولما أزف موعد الرحيل ركضت الى كنف الشرفة الخلفية الصغيرة وجلست هناك وحيداً أرتعد من التأثر والدموع تفيض من قلبي وتترقرق في مقلتي. فجأة شعرت بيد تلقى على كتفي. تطلعت فرأيت جدي واقفاً قربي. قال لي بصوت خفيض وهو يجلس بجانبي على درجات السلم الحجرية: "ليس هذا بالأمر اليسير حقاً يا بيلي." فأجبته بصوت مخنوق: "جدي، كيف يمكنني أن أقول وداعاً لك ولكل اصدقائي؟"

ظل جدي برهة ساهياً ونظره معلق بأشجار التفاح في الحديقة، ثم قال: "وداعاً. انها كلمة محزنة تنطوي على حسم وقسوة حتى ليشق على الاصدقاء أن ينطقوها. ويبدو لي أن ثمة طرقاً عدة لكي نقول وداعاً للاصدقاء، بيد أنها كلها تتسم بصفة واحدة هي الأسى."

ظللت أحدق الى وجهه. فأخذ يدي برقة بين يديه وهمس: "تعال معي يا صديقي."

سرنا يداً بيد الى مكانه المفضل في الباحة الامامية حيث تنتصب شجيرة ورد أحمر وحيدة.

سألني جدي: "ماذا ترى هنا يا بيلي؟"

نظرت الى الورود وأنا في حيرة من أمري ثم قلت: "أرى رقة وجمالا هنا يا جدي."

جثا جدي على ركبتيه وجذبني اليه قائلا: "ليست الورود جميلة في ذاتها يا بيلي، بل ان ثمة مكاناً خاصاً في قلبك يجعلها تبدو جميلة."

والتقت عيناه عيني وأضاف: "لقد غرست هذه الشجرة هنا قبل زمن بعيد، بعيد جداً، قبل ان تكون أمك مجرد حلم في خيالي. غرستها في التراب يوم مولد أول أبنائي. وكانت هذه طريقتي في حمد

© 1983 by William C Boyles. Illustration: Patricia H. Lincoln

ربي. كان اسم ذلك الابن بيلي، كاسمك. واعتدت أن أقف هنا وأراقبه وهو يقطف الورود ليصنع منها باقة لأمه."

رأيت الدموع تترقرق في عينيه. ولم أكن رأيته يبكي من قبل. ثم تابع بصوت اخشوشن من التأثر: "وذات يوم نشبت حرب عاتية. وذهب ابني، على غرار أبناء كثيرين سواي، ليقاتل العدو الشرير. رافقته الى محطة القطار. وبعد عشرة أشهر وردت علي برقية. لقد قضى ابني في قرية صغيرة في ايطاليا. وكل ما أمكنني أن أفكر فيه حينئذ هو أن آخر ما قلته له في هذه الحياة كان: وداعاً."

ونهض جدي متثاقلا وهو يقول: "لا تقل وداعاً أبداً يا بيلي. لا ترضخ أبداً للأسى والوحشة اللذين تنطوي عليهما هذه الكلمة. أريدك أن تتذكر، عوض ذلك، المرح والسعادة اللذين شعرت بهما حين قلت لأحد أصدقائك: مرحباً. خذ هذه "المرحبا" الفريدة وأوصد عليها الابواب في قرارة نفسك، في ذلك المكان من قلبك حيث الزمن صيف دائم. وحين يتعين عليك وعلى أصدقائك الفراق، أريدك أن تمد يدك الى قرارة نفسك وتستخرج تلك "المرحبا" الاولى."

بعد سنة ونصف سنة اعترى جدي مرض شديد. وحين أعيد الى البيت بعد أسابيع قضاها في المستشفى أصر على أن يوضع سريره قرب النافذة حيث يتسنى له ان يرى شجرة الورد التي أحبها.

واستدعيت العائلة يوماً الى جوار فراشه وعدت أنا الى البيت العتيق. وتقرر أن يسمح للأحفاد بأن يودعوا جدهم.

وعندما جاء دوري لاحظت أمارات العياء على سيمائه. كانت عيناه مغمضتين وأنفاسه بطيئة وثقيلة.

أخذت يده في يدي بتلك الرقة عينها التي أمسكني بها ذات مرة، وهمست: "مرحباً يا جدي." ففتح عينيه ببطء وقال وعلى شفتيه ابتسامة واهنة: "مرحبا يا صديقي." ثم اطبق عينيه وخرجت أنا من عنده.

وكنت واقفاً قرب شجرة الورد حين جاء أحد أخوالي ليقول لي ان جدي فارق الحياة. وتذكرت كلماته ومددت يدي الى أعماق نفسي باحثاً عن تلك المشاعر الخاصة التي اتسمت بها صداقتنا. وفجأة أدركت أني عرفت في الحقيقة ما عناه حين نصحني ألا أقول وداعاً أبداً وألا أرضخ أبداً للأسى.

■ **وليم بويلز**

"الفرصة الأخيرة"

عانى رجل وامرأته الأمرّين من الكلاب وقررا ألّا يقتنيا كلباً آخر. وحين تلقيا جرواً من أحد الجيران قبلا الهدية وأطلقا على الجرو اسم "الفرصة الأخيرة".

وبعد أيام جلسا ينظر أحدهما الى الآخر والى الكلب. ثم اقترحت الزوجة تسميته "الفرصة الأخيرة الاولى."

ا.ك.

اثنان عند نهر القمر

بعد مئة عام من نشر "هاكلبري فين" رائعة الكاتب الأمريكي الساخر مارك توين...

قبل قرنٍ نُبذت تحفة الكاتب الأمريكي مارك توين على أنها من باب "الهراء الفاسد". وهي اليوم منبوذة على أساس كونها "عنصرية". الا أن رائعة هذا الكاتب الساخر ما برحت تنفذ الى عقول القراء وقلوبهم حول العالم. وهي تدور على فتى في الرابعة عشرة ارتأى الفرار بعيدا عن والده السكير العنيف. وفي

Detail from a mural, «Huckleberry Finn,» painted by Thomas Hart Benton in 1936 in the Missouri State Capitol, Jefferson City, Courtesy The Missouri Division of Tourism

الطريق صادف عبداً هارباً. ووجد الاثنان طوفاً راحا يقطعان نهر الميسيسيبي عليه ليلا ويختبئان نهاراً.

هذه هي الحبكة الرئيسية في تحفة مارك توين التي دعاها "هاكلبري فين"، باسم بطلها، والتي يسجل العام ١٩٨٥ الذكرى المئوية الاولى لنشرها. وهي ما زالت طوال هذه السنوات المئة تثير الجدل. وهنا بعض أمثلة:

◄ عمدَ الكاتب الى أخذ المخطوطة من المطبعة وهي قيد الطبع، وحذَفَ أحد أفضل مقاطعها وضمنه كتاباً آخر له.

◄ على رغم اعتبار الكتاب أعظم رواية أمريكية، فهو نُشر أوّلا في بريطانيا.

◄ على منزلته الرفيعة لا يزال هذا الكتاب محظراً في عدد من المدارس والمكتبات في الولايات المتحدة.

عندما كان توين يؤلف كتابه "الحياة على الميسيسيبي" بين ١٨٨٢ و١٨٨٣، وجد من الملائم وصف زورق النقل الذي كان يُستخدَم في عبور نهري الميسيسيبي وميسوري. وهو يقول: "ارتأيتُ لهذه الغاية استعارة فصل من كتاب لا أزال أعمل عليه على نحو متقطع."

وفي الفصل المذكور يتسلل هاك، اصلا، الى زورق من هذا النوع ويختلس النظر الى مبارزة طريفة بين البحارة. ويشق احدهم سترته المصنوعة من جلد الغزال ويصيح: "أنا هو صانع الجثث ذو الفكين الحديد والبطن النحاسي، الآتي من فيافي أركنساو. أنظروا اليّ! أنا الذي يسميه الناس الموت المفاجىء وأمير الخراب. لقد حَبل بي في بطن إعصار وولدني زلزال هو أيضاً أبو الطاعون وإن لي نَسَبا من جهة الامّ مع الجدري الفتاك. وعندما أكون معافى أتناول تسعة عشر تمساحاً من فصيلة القاطور وبرميل شراب لفطوري. وفي مرضي أكتفي بعدد من الأفاعي المجلجلة (...) اختفوا واحبسوا أنفاسكم لأني على وشك أن أطلق قوّتي من عقالها."

اسلوب جديد – كان توين يحبذ إبقاء هذا المقطع في روايته. غير ان الناشر أشار عليه بحذفه للاختصار. ووافق الكاتب. وهكذا لم يظهر المقطع في الكتاب الذي أعدّ له. ويقول كينيث لين أستاذ التاريخ في جامعة جونز هوبكنز في بالتيمور (ولاية ماريلاند): "لقد سلب توين كتابه مقطعا زاخراً بالوصف الرائع."

ظهرت الطبعة الاولى من "هاكلبري فين" في بريطانيا، لكنها كانت ناقصة. فقد اكتشف الناشر، بعدما دارت آلات الطباعة على ألوف النسَخ، أن أحدهم أضاف منظرا غير محتشم الى رسم أحد أبطال الرواية. وكان على العمّال انتزاع تلك الصفحة من جميع النسَخ المطبوعة وإضافة صفحة مكانها باليد. وخرجت النسَخ المخصصة للسوق البريطانية، وعددها خمسة آلاف، في موعدها المحدد وهو شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٨٨٤. أما النسخ المخصصة للولايات المتحدة، وعددها ثلاثون الفاً، فلم تنجز قبل فبراير (شباط) ١٩٨٥. وخصص الناشر مكافأة بقيمة ٥٠٠ دولار لمن يكشف الفاعل. الا أن أحداً لم يعترف بالجرم.

وسرّ القراء باسلوب توين الجديد في الكتابة الروائية. فهو منذ البداية ترك هاك يسرد قصته بلغته المحكية. وراقهم ايضا الوصف الغني الذي انطوى عليه الكتاب:

"لكم كان جميلا، بل جليلا، أن يسوقنا النهر الصافي العظيم وكل منا مستلقٍ على ظهره ينظر الى النجوم ولا يشعر بحاجة الى رفع صوته حتى للضحك. بل كان ضحكنا، على كثرته، خافتا...

"وصرت كل ليلة أنزل الى الضفة عند قرية صغيرة وأشتري طعاما بعشرة سنتات أو ١٥ سنتا. وكنت أحيانا أسرق فرخ دجاج لا يبيت حسنا وآتي به...

"ومرةً أو مرتين كل ليلة كنا نرى زورقا بخاريا يقطع النهر في الظلام. وكانت مداخنه أحيانا تقذف شررا يمطر في الماء ويلوّن حلك الليل على نحو رائع. وبعد ذلك تختفي أنواره ويخفت صوته، لكن الأمواجَ التي خلفها تبقى قريبة منا بعد غيابه وتهزنا برفق. ثم يغيب الزمن ويختفي كل صوت إلا نقيق الضفادع."

استنكار النقّاد - نقاد كثيرون في الولايات المتحدة قابلوا الكتاب ببرود. ومن التعليقات الاولى عليه أنه "فظّ" و"تافه" و"شرّير". وقالت الكاتبة الشعبية لويزا ماي آلكوت: "اذا كان السيد كليمنس (اسم توين الحقيقي) لا يقوى على تقديم شيء أفضل الى فتياننا وفتياتنا، فالافضل أن يكفّ عن الكتابة لهم." وكانت الكاتبة تعبرّ عن رأي المكتبة العمومية في بلدة كونكورد من أعمال ولاية مساتشوستس التي حظرت الكتاب لأنه "يصف عدداً من التجارب غير السامية والمهذبة للنفوس."

ولا يزال الكتاب محظراً في بعض

Culver Pictures

مارك توين. واسمه الحقيقي صاموبل كليمنس

الأوساط ليس بسبب سلوك بطله فحسب، بل بسبب لغته. فهناك عبارة «nigger» التي تعني "الزنجي" وتستعمل للازدراء كعبارة "عبد" العربية، وهي ترد ١٨٩ مرة في الكتاب وتشكل جزءا لا يتجزّأ من المعنى بحيث يستحيل حذفها.

وهذه الكلمة اليوم مرفوضة أكثر مما كانت في أيام مارك توين. وهذا دافع رئيسي حدا ادارة المدارس الرسمية في مدينة نيويورك على شطب "هاكلبري فين" من قائمة الكتب المدرسية عام ١٩٥٧، لكنها أعادت الاعتبار اليه بعد سنوات. وقبل حين قال أحد المسؤولين في مدرسة مارك توين المتوسطة في فرجينيا ان الكتاب ينطوي على "أغرب الترُّهات العنصرية" التي عرفها في حياته.

ولكن يبدو أن رسالة الرواية الحقيقية

ترجمت رواية "هاكلبري فين" الى أكثر من ٣٠ لغة مختلفة. وهنا تسع من هذه الطبعات.

هي نقيض ما يرميها به الساخطون. وكما يقول الاستاذ كينيث لين من جامعة جونز هوبكنز: "يسخر هاك بادىء الأمر ويسخط حيال جهل رفيقه الأسود. الا أن جانبا مهما من علاقتهما يقوم على إدراك هاك المتزايد أن آراء صديقه جيم في المسائل المصيرية هي دائما صحيحة." وفي نهاية الكتاب يعرف هاك وقرّاء توين أن قيمة جيم كانسان تتجاوز الى حد بعيد موقف المجتمع منه، وهو مجتمع يصرّ على تعقّب العبيد الهاربين ومعاقبتهم وإعادتهم. وفي رأي الشاعر تي.اس. اليوت حائز جائزة نوبل للآداب، أن هذا الكتاب "إدانة للعبودية أكثر إقناعا من الطريقة الدعائية المثيرة التي يعتمدها كاتب رواية كوخ العم توم."

عز بعد فاقة - بعد قطع شوط في الرواية يتضح لقارئها أن فيها رسالة: فعلى ظهر الطوف يعيش هاك وجيم حياة صداقة وسعادة لا تشوبهما شائبة. ويقول هاك: "ليس هناك موطن أفضل من طوف. وكل مكان آخر يبدو ضيقا وخانقا. ومن يركب طوفاً يشعر بالحرية التامة والطمأنينة وسهولة العيش."

أما العالم الآخر على الضفة فيواجه هاك وجيم بمشكلات لكونه زاخراً بمطاردي العبيد الآبقين واللصوص والمزارعين المتنازعين والقتلة. ويغدو هاك وجيم خادمين لمحتالين انتحلا لقبي "الملك" و"الدوق". ومن الأفعال التي أرغما هاك عليها نشل النقود من جيوب المشاركين في حفلة خيرية وتقديم عروض مشوهة لمسرحيات شكسبير ومحاولة خداع ثلاث فتيات بريئات لسلبهنّ إرثاً.

ولحاجتهما الى المال أقدم المحتالان على تسليم جيم الى متعقبي العبيد في مقابل ٤٠ دولاراً. وتدور بقية الكتاب على المحاولات التي بذلها هاك لاخراج جيم من الحجرة التي أوثق داخلها بالسلاسل. ويأتي توم سوير صديق هاك ويأخذ ذلك الأمر على عاتقه. وفي النهاية يتبين أن سيّد جيم منحه الحرية بملء ارادته. ويقرّر هاك الذهاب الى أرض الهنود تجنباً لأي محاولة تهدف الى "تهذيبه" أو "تحضيره".

والواقع أن "هاكلبري فين" كان من أسرع كتب مارك توين مبيعاً، على رغم

Photo: S. Mangione / Buffalo and Erie County Public Library

أن الكثير من القرّاء المتأنقين وجدوا في شخصية بطله الذي يكذب ويدخن الغليون ويظن أن حاصل ضرب ستة في سبعة هو ٣٥، إهانة لكرامتهم. وقد بيع من الكتاب ٥١ ألف نسخة في الأشهر الثلاثة التي تلت صدوره. ولم يتوقف الطلب عليه بعد ذلك الحين. ويُقدّر أن ٢٠ مليون نسخة بيعت منه الى الآن. وهو ترجم قرابة سبعين مرة الى أكثر من ثلاثين لغة، وبُنيت عليه ستة أفلام على الأقل.

وفي ضوء هذا الاقبال أخذ تقريظ النقاد ينهال على الكتاب منذ خمسين سنة. ومما قاله الكاتب الاميركي ارنست همنغواي: "الأدب الأمريكي الحديث ينبع كله من كتاب واحد ألّفه مارك توين واسمه هاكلبري فين. قبل هذا الكتاب لم يكن للأدب الأمريكي وجود. وبعده لم يصدر أفضل منه." وقال الناقد الأدبي ليونيل تريلينغ من جامعة كولومبيا ان هذا الكتاب "عمل أدبي كامل." وحيّا ولتر بلير من جامعة شيكاغو "شعر اللغة الشعبية" الذي تزخر به كل صفحة من الكتاب. وسمّاه المؤلف هيرمان واوك "تاج الأدب الأمريكي."

وقبل وقت ليس بطويل، قدّمت شبكة "سي بي اس" التلفزيونية الامريكية برنامجا عن الكتاب، لخص فيه تشارلز كورالت موقف ملايين الأمريكيين من محبي "هاكلبري فين" حين قال: "اذا طلب مني أن ألخص كل ما أستطيع قوله عن الولايات المتحدة بكلمتين اثنتين، لقلت: هاكلبري فين."

ومصداقا لهذا الكلام نظم الشاعر الغنائي الراحل جوني ميرسر احدى أشهر أغانيه "نهر القمر" من وحي تلك الرواية الأمريكية العظيمة. وختم الاغنية بالآتي:

"اثنان استسلما للريح
وانطلقا لرؤية العالم.
أجل، ثمّة الكثير من العالم
كي يراه المرء.
عند نهر القمر يقف اثنان
انتظاراً للقبض على قوس غمام:
صديقي هاكلبري وأنا."

■ ادوارد زيغلر

عريس في هاواي

تزوج أمريكي فتاة مهاجرة من هاواي. وبعد سنة طارا الى الجزيرة ليتعرّف الصهر الى أهل زوجته. والعادة هناك أن يذهب جميع أفراد العائلة الى المطار لملاقاة الوافدين، وأن يغرقوهم بالقبل وعقود الزهر.

وبعد الاستقبال قال الأمريكي لزوجته: "يا له من لقاء رائع. لقد لاحظت أن النساء ازددن جمالا وتقبيلا كلما تقدمت في صف المستقبلين. ولكن أين اختفيت وسط هذا الحشد؟"

– بقيت مع أقربائي بعدما رأيتك تنتقل من عائلتي الى عائلة أخرى.

ج.ك.

بدا لوهلة أن المطرة حفظت النظام في أفراد المجموعة... الى أن وقع العصيان الكبير

يَوميّات مُستكشِف

وقعت وأنا أنقب في ملفاتي على اليوميات التي احتفظت بها منذما كنت قائدا لحملة تسلق الجبل الى بحيرة تاتل في شتاء ١٩٧٥. واستوقفني الشبه بين ما ترويه تلك اليوميات وأخبار اكتشاف القارات الحافلة بالبطولات. ولكي لا أحرم الاجيال القادمة هذه المذكرات بدأت اعدادها للنشر.

وكان لي من تلك الحملة مرافقان: جاري آل فنلي وصديق العمر ريتش سويني. ولم يبد أي منهما حماسة بادىء الامر حين عرضت عليهما فكرة تسلق جبل تاتل في منتصف الشتاء.

قال لي فنلي: "أنت مجنون بلا شك. ما الذي يحملنا على عمل أخرق كهذا؟" وأجبته: "سبب بسيط، الجبل الموجود."

ولفتني فنلي الى أن هناك أيضا ثلجا بكثافة متر. فقلت له: "سنأخذ معنا أحذية ثلجية. وسننطلق باكرا صباح السبت ونمضي الليل في بحيرة تاتل داخل خيمتي ثم نعود يوم الأحد. وستكون رحلة ممتعة."

وهكذا وجدنا أنفسنا نحن الثلاثة في بداية ممر وعر نتأهب للانقضاض على بحيرة تاتل. ومن هنا تبدأ يوميات الحملة:

١٨/١/٧٥ - الساعة ٩:٢٢ صباحا.

الجو معتدل وصاف. الشابان مبتهجان وهما ينزلان المؤن من العربة. سائقتا العربة السيدة فنلي والسيدة سويني تراهنان على أن أطراف الرجلين ستتجمد. وقد بذلت وسعي كي أحذر رفيقيّ من مراهنتهما. وانصرفت السائقتان مخلفتين سحابة من الثلج حجبت عن أنظارهما ريتش سويني وهو يلحق بالعربة صائحا: "قفي يا اثيل، قفي، لقد نسيت مطرة الشراب المدفىء تحت المقعد."

٩:٤٥ صباحا. أصبحت الحملة في امرتي. وأنبأني مرافقاي أن هذا ادعاء كاذب. ولكن عندما هددت بتفريغ مطرتي توقفا عن مجادلتي فورا. ويبدو أن القاعدة العسكرية القديمة التي تقضي بأن من يتذكر مطرته يتسلم القيادة، لا تزال سارية.

١١:٠٠ صباحا. تأخرت الحملة لسبب غير متوقع. وكنت أعطيت توجيهاتي بان يتناوب الرجلان حمل الخيمة. لكنهما أخذا يسقطان على الجليد. وقد اهتدينا الآن الى حل للمشكلة اذ حصلنا على مزلقة قديمة من أحد الاهالي. وهو بدا مسرورا بحفنة المال التي اخذها. وعلي أن أتذكر احضار مزيد من هذه الاوراق التي تزينها الصور والارقام في حملاتي المقبلة. فقد اظهر الأهالي اعجابا بها.

تم تثبيت المؤن والأمتعة على المزلقة وأعطيت مرافقيّ تعليماتي بتناوب جرها، فأنا ما زلت أنوء تحت عبء القيادة.

١:١٠ بعد الظهر. توقفنا للغداء، الاعصاب مشدودة. السيد فنلي يعاني آلاما مبرحة حيث تتصل ساقاه ببدنه، وهو الامر الذي يشكو منه كل من ينتعل حذاء ثلجيا للمرة الاولى. وبعدما صدم السيد سويني شجرة فأسقط الثلج عن الاغصان في حساء السيد فنلي، وجدت من واجبي أن استل مطرتي لحفظ النظام.

٥:٠٥ عصرا. بعد تسلق طويل شاق وصلنا الى مقصدنا: بحيرة تاتل. وكنت اثناء صعودنا وجدت من الحصافة أن آمر بالتوقف للاستراحة غير مرة، اذ خشيت أن يؤدي الصفير في تنفس مرافقيّ الى انهيال ثلجي.

وبلغ مني الارهاق حدا أني لم أدرك الحقيقة الساطعة، وهي أننا وصلنا الى بحيرة تاتل. وكان السيد فنلي أول من اكتشف ذلك. فقال لاهثا: "ها هي بحيرة تاتل!" وعقب السيد سويني: "لا أرى أي بحيرة." فصاح السيد فنلي "ها هي تاتل! لنخيم هنا."

ولم يستوقفني الامر برهة لأرى أن السيد فنلي على صواب. فالبحيرة أمامنا متجمدة تغطيها كثافة متر من الجليد. ونحن بلا ريب واقفون على سطحها. وتغمرني الآن الدهشة، ليس لأننا انتصرنا، بل لان البحيرة متماسكة في زاوية من ٤٥ درجة مع منحدر الجبل.

الثلج يندف الآن بكثافة تضطرنا الى نصب الخيمة للحال.

٧:١٥ ليلا. الخيمة الملعونة لم تنصب بعد. نحن في فترة استراحة بينما يحاول السيد سويني جاهدا أن يذيب الثلج عن شاربيه مخافة انقصافهما لدى اصطدامه بالاشجار.

توجه السيد فنلي ليغرز وتدا في الثلج وراء الخيمة. وهناك اكتشف جرفا. ولم تكن سقطته من علو كبير، ونحن استنتجنا ذلك من المدة القصيرة التي أستغرقها صراخه. وكان بقية أعضاء الحملة على وشك اقتسام حصته من المطرة حين تناهى الى سمعنا صوت انسان ما أو شيء ما يتسلق المنحدر. وقدرنا أنه السيد فنلي، باعتبار أن

Condensed from «They Shoot Canoes, Don't They?» (c) 1977, 1978, 1979, 1980, 1981 by Patrick F. McManus, published by Holt, Rinehart & Winston, New York, N.Y. Illustration: Sanford Kossin

أشخاصا قلائل ووحوشا أقل تملك القدرة على الشتم بثلاث لغات.

٩،٣٠ ليلا. نحن ننعم الآن برقاد هانىء في أكياس النوم داخل الخيمة، بعدما التهمنا طعاما مغذيا حضرته بنفسي. وقد منعني الظلام وعنف العاصفة الثلجية من قراءة الرقع على علب الطعام المجفف التي أفرغتها في القدر. ولم يثن المرافقان حسنا على الوليمة الا بعدما عرضت عليهما جرعتين من المطرة.

والغريب أني لم أعثر على رزمة التبغ التي خبأتها في كيس كي لا تضيع. فحرمت متعة تدخين الغليون بعد العشاء.

٧٥/١/١٩ - الساعة ١،٣٠ فجرا.

أيقظتني من سباتي دمدمة بدت آتية من مكان ما خارج الخيمة. وبعدما أخفقت في تخويف المخلوق المدمدم بخدعة التنفس السريع استجمعت حواسي، فوجدت أن الدمدمة تنبعث من معدتي. فأنا مصاب بعسر هضم مزمن. لكن مرافقي أيضا يصدران أنينا مفزعا وهما يغطان في النوم. ولما أدركت أن سبب الدمدمة شيء أكلناه، وليس شيئاً أكلنا، خلدت الى النوم ثانية.

٧،١٥ صباحا. أشرق الصباح صافيا وباردا. استيقظ المرافقان باكرا وأضرما النار في الموقد وتكوما حوله طلبا للدفء. وهما اشتكيا بمرارة من الصقيع الذي جمد أوصالهما، فذكرتهما بنصيحتي الا يراهنا سائقتي العربة على مثل هذا الاحتمال.

يتراءى لي أن الصعوبات التي واجهتنا في هذه الحملة فتت في عضد مرافقي. فهما يقولان ان لا شهية لديهما لتناول الفطور، ويزعمان أن نكهة تبغ تملأ فاهيهما مع أن واحدا منهما لم يدخن. وهذا الوهم متفش بين أفراد الحملة، وقد تطلب مني جهدا قويا كي أقتنع مكرها بأن تبغ الغليون العالق بين أسناني ليس الا وهما.

الآن أدركت أن الوقت ينفد، وأن علينا الاستعداد لرحلة العودة بأقصى سرعة. ومرافقاي يدركان ذلك أيضا. وهما باشرا، من دون انتظار أوامري، نزع الخيمة من الاوتاد ولف المؤن الباقية فيها وطرحها على المزلقة. وبدأ الانسحاب من بحيرة تاتل.

٨،٣٥ صباحا. هبطنا عن الجبل بأسرع مما توقعنا، وبأسرع مما ظن مرافقاي أنه ممكن أو مقبول. وقد حصلت حركة تمرد، اذ رفض السيد فنلي أن يؤدي واجبه في جر المزلقة، وافترش الثلج الى جانب العربة مستنكفا. وبعد جدل قصير معه تابعت السير انا والسيد سويني من دونه ومن دون المزلقة. وحسبنا أن السيد فنلي سيحلق بنا حالما يثوب الى رشده.

ولم نكد نتقدم ٢٠٠ متر حتى سمعنا زعيقا شيطانيا يفرقع فوق رؤوسنا. ولدى استدارتنا لتبين الامر رأينا السيد فنلي جاثما على المتاع في المزلقة وهو يندفع نحونا بسرعة جنونية. وصاح المتمرد وهو يقهقه مسعورا: "كيف تقود هذه العربة؟" وبعدما استغنى عن أي محاولة للاجابة انطلق بأقصى سرعة.

لتحضير أشهى المآكل وألذ الأطباق

مرقة الدجاج ماجي
تضفي نكهة لذيذة
الى الأرز وكافة الأطعمة

ماجي

PI 3198 A

ولم يكن من كل ذلك جدوى. فقد لاقتنا المزلقة في منتصف الطريق وطوّحتنا في الهواء واضافتنا الى حملها الكبير. ونزلنا الجبل على هذه الحال ونحن نقتلع الشجيرات ونخترق كتل الثلج.

واذ أستعيد ركوب تلك المزلقة فاني أجده ممتعا تماما. لكني لم أستطع التغلب على خشيتي مما ينتظرنا في نهاية المطاف. وقد تبين أن لهذه الخشية ما يبررها، اذ ما زالت شظايا المزلقة تتناثر في الهواء.

وكان أول ما فعلناه حين استعدنا وعينا، أنا والسيد سويني، أن تعقبنا الوغد بالهراوات وعبر الثلوج.

١٢،٣٠ بعد الظهر. وافتنا السائقتان في الموعد المحدد. وها نحن ننعم بدفء سخانة العربة. وصفحنا عن المتمرد فنلي، ربما قبل الاوان، اذ عاد الى التباهي بمآثره وقال: "لا مانع لدي من العودة. ما رأيكما يا صاحبيّ؟"

وخاطبني السيد سويني: "سأخبرك أمرا يا صاحبي. اذا ذهبت في رحلة شتوية كهذه مرة أخرى، فسأحضر معي مطرة كمطرتك. قل لي، من أين اشتريت واحدة بهذا الحجم؟"

قبل أن أسر اليه بمعلوماتي، علي أن أتحقق من أنه أهل للقيادة. أليس كذلك؟

■ **باتريك مكمانوس**

حطّاب في المدينة

روى عالم اجتماع قصة حطّاب كان يسير يوما مع صديق في جادة نيويورك الخامسة. وفجأة قال الحطّاب: "إني أسمع صرير خنفساء."

وأجابه صديقه ابن المدينة: "ما هذا الهراء؟ خنفساء في مدينة نيويورك؟ الصوت الذي تسمعه هو جلبة الناس والسيارات."

- إني متأكد مما أقول. وسأبرهن لك ذلك.

أخرج الحطّاب قطعة نقود صغيرة من جيبه ورماها على الرصيف. فما كان من المارة الا أن التفتوا كلهم من على بعد عشرة أمتار. وإذذاك قال الحطّاب: "أرأيت؟ الناس يسمعون ما اعتادته آذانهم. وقد صادف أن أذنيّ اعتادتا سماع الخنافس."

ك.و.

ميتة أبهة

كانت سائحة تزور كهوفا طبيعية، فسألت الدليل عما اذا كان ممكناً أن ينهار السقف على الزوّار. فأجابها: "أليس من قبيل الحظ الحسن أن يُدفن المرء بهذه الأبهة في مقابل ثلاثة دولارات فقط؟"

م.و.

الضحك خير دواء

دبوس الطبيب

بلغ خوف إحدى النساء من طبيب الاسنان حداً جعلها ترفض فتح فمها وهي في عيادته. فما كان من الممرضة الا أن وخزتها بدبوس ففتحت فمها لتصرخ، فاستغل الطبيب الظرف وأبقى فمها مفتوحاً. وحين فرغ من عمله سألها: «هل كان الألم بمقدار ما كنت تتصورين؟»

– كلا، لكني لم اتوقَّع انتقال ألم الاسنان الى مكان آخر من جسمي.

ل. و.

ليلة الفرح

قالت العروس الجديدة لأمها: «لا شك في أن الخجل سينتابني أمام زوجي هذه الليلة.» فابتسمت الام وقالت: «لا تقلقي يا حبيبتي. فقد عرفتُ خبرة مماثلة حين تزوجتُ أباكِ. وعندما تدخلان غرفتكما في الفندق سيقول عريسك انه نسي شيئاً في البهو ويخرج لاحضاره. وفي تلك الاثناء بدلي ثيابك وارتدي قميص النوم. وسيتم كل شيء على خير وجه لدى عودته.»

وكان أن خرج العريس حقاً من الغرفة. ولما عاد ووجد عروسه في السرير صاح بها: «ماذا تفعلين هناك؟ اننا لم نتناول العشاء بعد.»

ف. و.

طعام الجنود

قال الضابط للمتطوع الجديد: «انت إذاً تشكو من وجود رمل في الحساء؟

– أجل يا سيدي.

«وهل انضممت الى الجيش لتخدم بلدك ام لتتذمر من الطعام؟»

– لقد دخلتُ الجيش يا سيدي لأخدم بلدي، لا لآكله.

مجلة «باريد»

قاموس التقاعد

في حفلة أقامتها مؤسسة تكريما لأحد موظفيها لمناسبة إحالته على التقاعد، قال العرّيف: «اليوم نكرّم شخصاً لا يعرف معنى التهافت ولا يعرف معنى الخوف ولا يعرف معنى الانسحاب من المواقف الصعبة. لذلك ارتأينا أن نهدي اليه أحدث قاموس.»

ا. ك.

«اولاد» مهذبون جداً

أنا مدير مكتب عقاري، وقد عرضتُ يوماً شقةً للايجار على سيدة. وسألتُها: «ما مهنة زوجك؟»

- انه جندي.

«ألديكما أولاد؟»

-نعم، سبع سنوات وتسع سنوات واثنتا عشرة سنة.

«حيوانات؟»

- كلاّ، كلاّ! انهم مهذّبون جدّاً.

م. ت.

أمراض فصلية

يقع مكتبي في المبنى الذي يؤوي مستشفى الجامعة. وكل صباح لدى وصولي أمرّ بموظّف يجرّ عربة عليها أربعة أطباق أو خمسة للفطور. وذات يوم فوجئتُ بعربته تكاد ترزح تحت الأطباق. وسألتُه: «ما الأمر؟ أهناك طاعون على أرض الجامعة؟»

- كلا يا أستاذ بل هي الامتحانات الفصليّة.

ج. ك.

بيضة ايطالية

أمضى الكاتب الأمريكي جون تشيفر وعائلته فترة من حياتهم في روما. وفي تلك الأثناء كانت لديهم خادمة ايطالية لا تعرف سوى بضع كلمات انكليزية. واعتادت كل صباح أن تحضر لسيّدها بيضة مسلوقة تحملها إليه بعد قشرها في المطبخ. لذلك كانت البيضة تأتيه باردة. وبعد أسبوع على هذا المنوال ارتأى تشيفر أن يشرح لها الأمر بالايطالية. واستعان بالقاموس الانكليزي - الايطالي لاعداد جملة مهذّبة يقول فيها انه يفضل أن يقشر البيضة بنفسه. وما أن نطق كلماته صباح اليوم التالي حتى احمرّ وجه الخادمة وصفعته وخرجت من البيت.

وعادت ذلك المساء وهي ما زالت غاضبة. ولما استوضح تشيفر الأمر، وجد أن الجملة التي تعب عليها تعني الآتي: «لا تخلعي ثيابك في المطبخ أيتها البيضة.»

ب. هـ. س.

طفلة كبيرة

تفخر أمي، التي بلغت عقدها السادس، أنها تبدو أصغر من سنّها. ومرّة صادفت في الشارع رجلا ذا لحية رمادية وشعر أبيض. ولما عادت الى البيت قالت: «لقد عرفت هذا الرجل وأنا في المدرسة. وكان يومئذ في مثل سني.»

س. ل.

ذاكرة العجائز

جلست ثلاث نسوة يتحدّثن عن مساوىء التقدم في السن. فقالت إحداهنّ: «عندما أفتح الثلاجة أحياناً، لا أذكر إذا كنت أريد أن أضع شيئا أو أن أخرجه.»

واعترفت الاخرى: «هذا ليس همّاً بالنسبة الى حالي. ففي أحيان أكون في أسفل السلّم، من غير أن أدري ما إذا كنت أودّ الصعود أو الهبوط.»

وانبرت الثالثة: «أشكر الله لأنه حفظ ذاكرتي حتى اليوم.» وإذ نقرت الخشب بيدها إشارة الى الحظ السعيد، أضافت: «من ذا الذي يدقّ على الباب؟»

ج. د.

كاوبُوي في آيسْلندا

كـان الايسلنـدي العجـوز ينـدد بالامريكيين على الدوام. فماذا بعد لقائه الكاوبوي الآتي من التلال السوداء؟

كان رقيباً في سلاح الجو الامريكي. لكنني لم اسمعه ينادى بغير "الكاوبوي".

رأيته للمرة الأولى عام ١٩٦٣ عندما التقاني والرقيب الأول في مهبط الطائرات قرب قرية هوفن الساحلية في آيسلندا. وكنت أرسلت الى هناك كضابط أرض مسؤول عن محطة الرادار الامريكية القريبة.

كان الكاوبوي في أواخر الثلاثينات من عمره، طويل القامة هزيلها، قوي الملامح كمن أمضى معظم حياته في الهواء الطلق فارتسمت معالم رعاة البقر على كل وجهه. والى ثياب العمل والسترة العسكرية كان يعتمر قبعة الكاوبوي المرتفعة البالية ذات اللمسة الريفية التي يتمسك بها الجند في المواقع النائية ويتجاهلها الضباط العاقلون بكل وقار.

وعندما سألته عن وطنه الاصلي أجابني بصوت مبحوح كصوت دب رمادي أصيب بالتهاب الحنجرة: "من داكوتا الجنوبية يا سيدي، قرب التلال السوداء."

وأخبرني الرقيب الأول هامساً، فيما مضى الكاوبوي يضع عدتي في سيارة الجيب التي كانت تنتظرنا: "انه رجل طيب أيها النقيب." وتابع ضاحكا بنبرة العارف: "ولكن لا تحمل كلامه محمل الجد. انه يحوك قصصا خيالية طويلة".

راية العداء - بعد أيام رافقت الكاوبوي في جولته التموينية الاسبوعية في هوفن.

وخارج البلدة مررنا بمزرعة صغيرة. ورأينا في الزريبة المطوقة بالسياج الحديد والمتاخمة للطريق مجموعة من الجياد الآيسلندية.

ربيت هذه الحيوانات القوية بعناية فائقة عبر القرون ودربت على العمل الشاق وعلى الركوب معاً. لكن شيئاً آخر استرعى انتباهي ذلك الصباح. كان هناك علم أحمر كبير فوق العمود المربوط بالبوابة الرئيسية، ذكرني كثيراً بالرايات المشؤومة التي كنت أراها عن كثب أثناء الحرب الكورية فتثير فيَّ الهلع.

وبينما أنا أحدق مشدوهاً ركض الى البوابة رجل قوي البنية خالطت شعره خصلة بيضاء عنيدة. وأمسك العلم ولوح به

© 1984 by William Buchanan. Condensed from Impact, The Albuquerque Journal Magazine (July 24, '84), Albuquerque, N.M. Illustration: Bruce Stark.

غاضباً، ثم وجه الينا قبضته مهدداً وهو يشتم بانكليزية مهشمة.

سألت: "ما الأمر بحق السماء؟"

فقال الكاوبوي متشدقاً: "أوه، هذا غودنيسن العجوز. انه لا يؤذي أحداً لكنه يكره الامريكيين، هذا كل ما في الأمر."

وعلمت في ما بعد أن غودنيسن العجوز عاش سنوات عمره السبعين في هذه المزرعة حيث يربي الجياد. وعندما سألت أصدقائي الآيسلنديين عن سبب كرهه الامريكيين كان التفسير الوحيد الذي استطاعوا تقديمه: "لانكم هنا."

وكان لموقف غودنيسن مناصرون. لكنه خلافاً لمواطنيه المتسامحين كان لا يفوت فرصة للافتراء على الجنود الامريكيين أمام كل السامعين في زياراته المتكررة لحانة هوفن. وهو رفع الراية الحمراء يوم افتتاح محطة الرادار، وأصبح أهم ما يفعله يومياً التلويح بهذه الراية العدوانية وشتم أي امريكي يراه.

وعبر السنين أخفقت محاولات المسؤولين من البلدين في اقناعه بتعديل مواقفه الهجومية. كان شديد العناد.

جواد لا يقهر – علمت عاجلاً أنه يمكن الوثوق بالكاوبوي على رغم كل عيوبه. لذلك أثارت اهتمامي تلك المكالمة الهاتفية التي تلقيتها من مركز الهبوط ذات يوم حين خاطبني صوت غاضب: "بربك، أين الكاوبوي يا سيدي؟"

نظرت بسرعة إلى ساعتي، انها الثانية عشرة. وكان يفترض وصول الكاوبوي وعربة الجيب الى مركز الهبوط قبل ساعة لاستقبال مندوبنا التقني المدني. وطلبت

من المندوب التجمل بالصبر وأرسلت سائقا آخر.

بعد ساعة عادت سيارتنا الجيب والسائقان بالمندوب التقني الساخط. وكان الكاوبوي يجلس وحيدا في عربته في حال يرثى لها، فقد غطى الوحل وجهه ويديه وبزته وتشبع الهواء حوله برائحة نتنة رهيبة. وأمرته، وأنا أحاذر الاقتراب كثيراً، بأن يستحم ثم يحضر الي.

وفي مكتبي شرح لي الكاوبوي ما جرى. لقد رأى في الطريق قبل وصوله الى مزرعة غودنيسن العجوز جوادا آيسلنديا مسرجاً من دون خيّال. وكان باب الزريبة مشرعا وقد انكسرت مفاصله وبقي العلم يرفرف في مكانه. وعندما أبطأ السير رأى غودنيسن ممددا على الوحل في الزريبة ووجهه الى الارض. توقف الكاوبوي وأسرع الى المكان. كان العجوز فاقدا الوعي وقد لونت جبينه رضة قوية. واستعاد غودنيسن وعيه فيما الكاوبوي يغسل له وجهه. وبدأ يشتم جواده العاصي.

ثم أخبر الكاوبوي بانكليزيته المكسرة ولغة الاشارات أنه يحاول منذ أسابيع اخضاع ذلك الجواد العنيد. لقد أسقطه الحيوان أربع مرات ورماه قبل لحظات على البوابة فانكسر المزلاج. قال العجوز غاضباً انه لم يدع جوادا يهزمه قط. ولكن بدا واضحاً أن هذا الجواد لا يقهر.

نغمة جديدة - لم يكن من طبيعة الكاوبوي أن يترك مثل هذا التحدي يمر بسهولة. وحدق الى الجواد الذي بقي واقفاً بازدراء خارج البوابة.

حشر الكاوبوي الجواد في الزاوية وقفز الى السرج. وبعد دقيقة وجد نفسه فوق كومة من الروث ووجهه على الأرض.

حملق غودنيسن العجوز الى الكاوبوي وحملق الكاوبوي الى الجواد وحملق الجواد الى الرجلين.

نهض الكاوبوي عن الروث بقامته الطويلة المزيلة. اقترب من الجواد وفك الحزام وانتزع السرج. ثم لف اللجام بقوة حول يده وقفز مرة أخرى فارجاً ساقيه وثبتهما بشدة حول الجواد على الطريقة الهندية الامريكية.

اندفع الجواد ودار وشب وصهل غاضباً. ولازم الكاوبوي مكانه. وأخيرا انتهى النزاع وأذعن الجواد لأوامر الكاوبوي في جولة ترويضية حول الزريبة.

نظرت الى الكاوبوي مشككاً. هل كانت هذه احدى حكاياته الطويلة الشهيرة؟ وقررت أن أتحرى الامر.

كان المكان خالياً عندما أوقفت سيارة الجيب قرب الزريبة. نزلت منها وقصدت البوابة. رأيت آثار اصلاح حديثة في المفاصل وعلى المزلاج. ثم صعقتني المفاجأة: لقد اختفى العلم الاحمر!

ومضت الأيام وبقي العلم مطوياً. ومرت عرباتنا بالمزرعة من دون ازعاج منذ ذلك الحين. ولكن واحسرتاه! فالرجل لم يبدل كل عاداته. وما زال غودنيسن العجوز لا يفوت فرصة يلعن فيها بقاء الامريكيين في موطنه. لكنه أضاف نغمة جديدة الى كلامه.

كان يهتف بحماسة: "تباً للأمريكيين!" ويضيف: "أما رعاة البقر الامريكيون... فمرحى بهم!"

■ **وليم بوكانان**

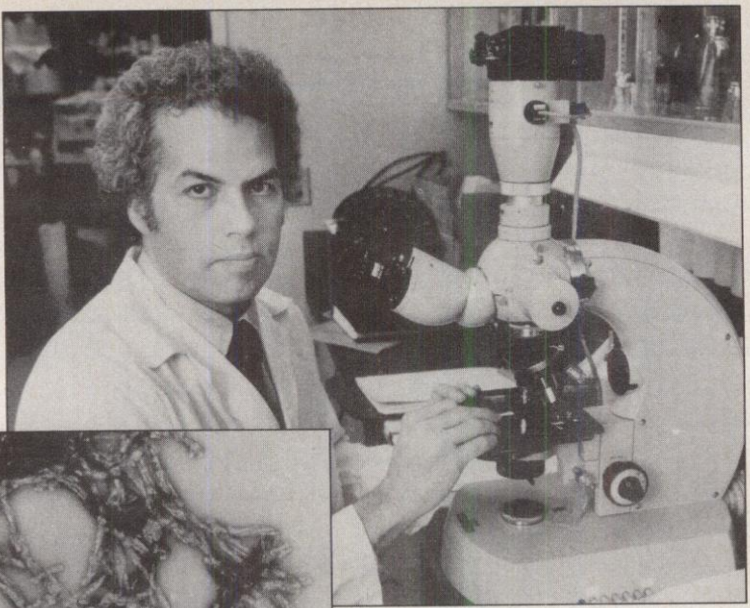

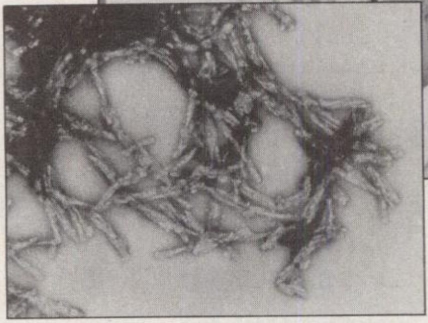

الدكتور ستانلي بروسينر. والى اليسار: حاملات المرض التي دعاها "بريونات".

"آلزهايمر"، "كورو"، "جرستمان – شتراوسلر"، "كروتزفيلت – جاكوب"

العلماء يلاحقون الأمَراض الغريبَة

هيلين طومسون (١) امرأة في اواسط العقد السادس من عمرها عاشت حياتها متمتعة بصحة جيدة. وذات يوم لاحظت ارتجافاً في يدها وهي تحاول عبثاً ادخال المفتاح في قفل سيارتها. وأخذت قدرتها على تنسيق حركاتها تضعف بسرعة، وبعد أشهر أضحت مشلولة طريحة الفراش في أحد المستشفيات عاجزة عن النطق أو حتى عن تذكّر اسمها. وأخيراً قضت فريسة داء لا شفاء منه يدعى علّة "كروتزفيلت – جاكوب"، وهو واحد من

(١) اسم مستعار.

Photos: Dr. Prusiner by James D. Wilson/ Newsweek, inset by Dr. Prusiner

مجموعة الامراض "البطيئة" (٢) التي تكمن في طور حضانة قد يمتد سنوات أو عقوداً قبل أن تصيب الدماغ والجهاز العصبي.

وفي مستشفى جامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو تابع أحد الاطباء الشباب مراحل مرض السيدة طومسون وقد حيّرته أعراض داء كروتزفيلت - جاكوب. فقرر أن يكرّس جهوده لدراسة الامـراض الغريبة. والآن، بعد انقضاء ١٣ سنة، يعتقد الدكتور ستانلي بروسينر أنه عثر على العامل المسبب للداء الذي قضى على هيلين طومسون.

افترض معظم العلماء أن الامراض البطيئة تسببها فيروسات بطيئة. وقد يكون الامر كذلك بالنسبة الى عدد من هذه الامراض مثل داء المفاصل. لكن الدكتور بروسينر يعتقـد أن بعض الامراض البطيئة الاخرى، خصوصاً تلك التي تصيب الجهاز العصبي، تنتج من شيء آخر قد يكون أصغر وأغرب كثيراً من الفيروس. واذا صحّت نظرية الدكتور بروسينر فقد يتعيّن على العلماء أن يعيدوا النظر في تعريف الحياة.

غزاة متسلّلون - كرّس الدكتور بروسينر معظم أبحاثه لمرض الحكاك (٣) وهو مرض عصبي مميت يصيب الخراف والمعزى ويرغمها على حك جلودها بالصخور والسياجات. وما أثار اهتمام بروسينر التشابه الكبير بين مرض الحكاك ومرض كروتزفيلت - جاكوب. وفي احدى التجارب تبين له ان عنزات كان طعّمها بـأنسجة دمـاغية من مصـاب بداء كروتزفيلت - جاكوب قد أصيبت بمرض دماغي مميت يكاد يتعذّر تمييزه عن داء الحكاك.

في هذه الامراض تظهر في أنسجة أدمغة الضحايا تجمّعات معقّدة من البـروتيين والكاربـوهايـدرات تـدعى آميلويد. وقد عثر على تجمّعات مشابهة في أدمغة مصابين بداء آلزهايمر الذي يتسبب في نحو ٤٠ في المئة من حالات الخرف بين الناس. فاذا تيسر اقتفاء آثار العامل المسبب لهذه الاضطرابات، فقد يعرف العلماء كيف يدرأون أخطارها وكيف يعالجونها.

لكن العثور على هذه العوامل المسبّبة كان أمراً عسيراً، لأنها نادراً ما تترك أثراً يدل عليها. فحين تغزو بكتيريا أو فيروس جسمك يهب جهاز المناعة لديك للقضاء على العدو المغير. ولكن يبدو أن حاملات الامراض البطيئة تتسلّل الى الجسم من دون أن تنبّه أجهزة الدفاع.

ففي الحيوانات المصابة بالحكاك، مثلا، تكمن حوامل المرض الغازية أشهراً وربما سنوات وهي تتكاثر في طحال الضحية وجهازها اللمفاوي. وبعد ذلك تتدفق الى الدماغ فتتلف خلاياه وتحفز نمو ألياف الأميلويد الشاذة. ويعتقد بروسينر أن جهاز المناعة في الضحية يكاد لا يبدي أي مقاومة لهذا الغزو، في حين أنه يقاوم البكتيريا والفيروسات. ذلك بأن هذه الحوامل الغازية البطيئة

(٢) منها أمراض "آلزهايمر" و"كورو" و"جرستمان" - شتراوسلر."

(٣) راجع مقال "عجائب سبع" في عدد يوليو/ تموز ١٩٨٤ من "المختار".

ليست من البكتيريا ولا من الفيروسات، وليست بحسب التعريفات الشائعة حالياً كيانات حيّة.

الفيروسات يمكن القضاء عليها بالحرارة والاشعاع والكيميائيات. ولكن حين عمد بروسينر وسواه الى تسخين حاملات الامراض البطيئة الى درجات حرارية تقتل البكتيريا والفيروسات المعروفة، و"قصفوها" بأشعة "غاما" والاشعة فوق البنفسجية وسمموها بالكيميائيات، صمدت أمام تلك الاجراءات جميعها.

وبدا أن ثمة شيئاً واحداً يوقفها عند حدّها، وهو الكيميائيات التي تهضم البروتيين. وقد تم في احدى التجارب عزل حاملات المرض القاتل باستخدام الخمير (الأنزيم) البسيط تريبسين الذي يساعد الطفل في هضم حليب الأم.

اذاً ما هي هذه العوامل الغريبة التي تسبب المرض العصبي البطيء.

توحي القرائن المتوافرة أن العنصر الجوهري فيها هو البروتيين، بحسب قول بروسينر. ولهذا السبب تعزلها الأنزيمات الهضمية التي تحطّم البروتيينات.

عقد بدائية – أثارت نظرية بروسينر الاستفزازية جدلا حاداً. فطوال عقود ظل العلماء يؤمنون بأن الحياة لا يمكن أن تنشأ في غياب الضفائر الطويلة من جزيئات الاحماض النووية «DNA» و«RNA» (٤) التي تتضمن التصاميم الوراثية للحياة. حتى الفيروسات التي تبدو كأنها كيميائيات خامدة تحوي حمضاً نووياً، وهي تتكاثر باطلاق هذا الحمض داخل الخلايا الحية فتتسلّط على جهاز التكاثر في الخلية وترغمها على انتاج نسخ طبق الاصل عن الفيروس المغير وليس عن الخلية ذاتها. ولكن بعد تجارب كثيرة يئس العلماء من العثور على أي حمض نووي في بريونات الأمراض البطيئة. ومع ذلك بقيت هذه الحوامل قادرة على التكاثر داخل أجسام ضحاياها.

وكانت جماعة أخرى من العلماء أسقطت قبل أمد بعيد فرضية مؤداها أن كل حياة ينبغي أن ترتكز على حمض نووي. فدعاة التطوّر الجزيئي الذين يدرسون نشوء الحياة على الأرض، يعتقدون أنها انطلقت من مواد كيميائية.

قبل اكثر من ٣٠ سنة عمد عالم الكيمياء الحية ستانلي ميلر وزميله هارولد أوري الحائز جائزة نوبل للكيمياء، في جامعة شيكاغو، الى ملء قارورة بغازات الميثان والأمونيا وبخار الماء والهيدروجين التي افترضا أنها كانت تؤلف الجو الكيميائي لكوكبنا في بداية عهده قبل أربعة مليارات سنة. ثم أطلقا شرارة كهربائية عبر هذه الغازات في محاكاة البرق. واذا بهذا المزيج ينتج في غضون أيام بضعة أحماض أمينية، وهي الاحماض التي تتركب منها البروتيينات وجميع الكائنات الحية.

استنتج دعاة التطور الجزيئي أن البرق صنع جزيئات الحمض الأميني، التي تجمّعت بعدئذ في برك ودفّأتها حرارة

---

(٤) Deoxyribonucleic Acid. Ribonucleic Acid

الارض وأشعة الشمس وتشكّلت منها تدريجاً كيميائيات الحياة. وفي اعتقاد سيدني فوكس مدير معهد التطور الجزيئي والخلوي في كورال غايبلز (ولاية فلوريدا) ان هذا الخليط البروتييني البدائي انتج كريات متناهية في الصغر. وهذه الكريات تستوعب الجزيئات المجاورة لتساعدها في المحافظة على كيميائها الداخلية الخاصة. وهي تتكاثر أحياناً بالانقسام الذاتي، لكنها قد تلجأ الى طريقة أسهل هي "التبرعم" كما تفعل خلايا الخمائر.

قد تكون هذه البريونات تطوّرت من البروتيينات المتناسخة منذ انبلاج الحياة على الارض. ولكن كيف أمكنها في غياب الحمضين النوويين «DNA» و «RNA»أن تنقل "التعليمات" لتورث أجيالها المستقبلية هوياتها المميزة؟

يعتقد بعض العلماء أن الاشكال البروتيينية الأولية ربما اعتمدت على نواميس الكيمياء الجزيئية البسيطة. فالمواد الكيميائية يتصل بعضها ببعض بطريقة فريدة ولكن يمكن توقعها. فبعضها يشكل متبلورات تلقائياً، ومثل هذه الاتصالات المنتظمة هي "تعليمات" في ذاتها.

يفترض علم التطور الجزيئي الرائد أن الانتقاء الطبيعي كان قائماً منذ البداية، حتى قبل بدء الخلايا الحيّة وسم الحمض النووي برموز التعليمات البدائية. فتلك العقد الكيميائية الاولية التي أفلحت في التناسخ على أفضل وجه أخذت تتكاثر. وكان نظام الحمض النووي هو الفائز في النهاية. بيد ان بعض النظم الجزيئية التي تخطّاها التطور بقيت حيّة. وقد يثبت الاستقصاء أن البريونات هي تلك الاشباح التي أغفلها التطور منذ فجر الحياة.

البروتيينات الهامدة – يقول مارسيلو باربياري المتخصص بعلم الوراثة الجزيئية في معهد ماكس بلانك، ان ثمة قرائن متزايدة توحي أن "الحياة" كما نعهدها بدأت حين اشترك الحمض الأميني والبروتيينات في عمل تعاوني متوائم. يحمل الحمض الأميني التصاميم الجزيئية الشاملة في حين تصدر البروتيينات الأوامر حول ما "يعبّر عنه" أو يبنى على أساس هذه التصاميم.

مثلا، اذا غزت جرثومة جسمك، يعمد البروتيين انترلوكين – ٢ الى تحريك ذلك الجزء من الحمض النووي «DNA» الذي ينتج الخلايا المحاربة «T» في جهاز المناعة لديك. واذا كان المغير فيروساً، فان البروتيين يحفز انتاج الانترفرون الذي يحارب الفيروس. وقد اكتشف العالم الوراثي ليو ساخس ان ثمة بروتييناً يدعى «MGI-1» يشغل الحمض النووي «DNA» لانتاج كريات دم بيضاء غير مكتملة النمو. ووجد ان احدى الاحوال التي تنجم عنها اللوكيميا الدماغية (٥) تنشأ، كما يبدو، حين يغفل الحمض الأميني «DNA» بروتييناً ثانياً يدعى «MGI-2» ومهمته حض خصوصية الخلية على وقف التكاثر. فالخلل في انتاج البروتيينات التي تحرّك هذه الخصوصية

---

(٥) اللوكيميا هي ابيضاض الدم السرطاني.

في الخلية ربما كان السبب الذي تنجم عنه أنواع عدة من السرطان.

كان العلماء في الماضي يفترضون أن البروتيين الآميلودي الليفي الذي يعثرون عليه في أدمغة المصابين بداء آلزهايمر وسواه من الاضطرابات الانحطاطية في الدماغ هو من المنتجات الجانبية الناشئة عن التلف الذي يحدثه مرض فيروسي. لكن بروسينر يشتبه في أن هذا البروتيين هو جزء من السبب الذي تنجم عنه هذه الامراض البطيئة.

بعض البروتيينات والاحماض الامينية يعمل معاً في تواؤم منتظم هو نتيجة الصراع البدائي للتسلّط على كوكب الارض قبل أربعة مليارات سنة. وقد تكون البريونات بروتيينات بدائية جداً "لم تنضم الى الركب"، ولكن في الوقت عينه لم يقض عليها. ووجدت هذه "المتحجرات" الكيميائية الناشزة ملاذاً داخل أجسامنا. وهي في معظم الاحيان تظل حيّة ببقائها هامدة حتى "يوقظها" من سباتها شيء ما. فتبدأ تفاعلها مع الحمض النووي لانتاج بريونات كثيرة.

نقطة تحوّل حاسمة – من المفارقات العجيبة أن التقدم الطبي يعتبر الامراض البطيئة مشكلة ملحّة. فالامراض الانحطاطية البطيئة قد تستغرق عقوداً من الزمن لتتطوّر داخل جسم الضحية من دون أن تظهر أي أعراض واضحة حتى يبلغ المصاب سن الهرم. وأجدادنا كانوا يعيشون نحو ٣٥ سنة كمعدل وسط، أما نحن فنعيش ضعفي هذه السن. وفي حين يقهر الطب الامراض السريعة التي كانت تقضي على الاحداث، فان كثيرين منا يعيشون ليواجهوا الامراض ذات العلاقة بالبريون وسواها من الامراض البطيئة.

يقول ديفيد كنغزبري مساعد مدير العلوم البيولوجية والسلوكية والاجتماعية في المؤسسة الوطنية للعلوم في الولايات المتحدة: "من المحتمل أننا كلنا نصاب بعدوى في فترة ما من عمرنا. والفرق بين من يصاب بالخرف في السن الخامسة والخمسين ومن يدركه الخرف في السبعين أو في الثمانين ربما كان الفرق في فترة حضانة حامل المرض. فاذا استطعنا اطالة فترة الحضانة لتتعدّى مدى حياة الانسان، فلن يظهر على الناس ابدا مثل هذه الاعراض."

ان ثلثي الناس الذين يعيشون حتى الثمانين لا يصابون بالخرف. وقد تكون خصائصهم الوراثية تمنع تشغيل البروتيينات العنيفة والمدمّرة في أجسامهم. وفي العام ١٩٨٣ أخذ كنغزبري وبروسينر وسواهما من العلماء يتقصّون في الفئران نقطة التحول في الحمض النووي «DNA» التي تبطىء فترة الحضانة لمرضي الحكاك وكروتزفيلت - جاكوب او تزيد سرعتها. واذا تمكن العلماء من اكتشاف طريقة للتحكم بمثل هذه البروتيينات الموسومة بالرموز في حمضنا الاميني، فقد نستطيع ايقاف تطور الامراض البطيئة.

ان البحث الرائد في الامراض البطيئة حمل لنا أملا بمكافحة الاضطرابات المخيفة في مرحلة الشيخوخة، ويمكن أن يفتح أمامنا رؤى جديدة في كنه الطبيعة.

■ **لويل بونتي**

دَائرة المعَارف

الصراخ عام والواعية على الميت خاصة. النوم عام والقيلولة نصف النهار خاصة. الطلب عام والتوخي في الخير خاص. الهرب عام والاباق للعبيد خاص. هنا ثلاثون كلمة تنطوي على معان خاصة. وقد وضع أمام كل منها أربعة معان، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الأجوبة ويقيس مستواه.

١. ندب: أثر الجرح - بكاء الميت - مهمة - شحة الماء.

٢. خِدْر: وجنة - نوم عميق - قن الدجاج - ستر للجارية.

٣. ثرى: من النجوم - تراب ندي - قمة - تراب جاف.

٤. وحم: رجاء - شهوة الحبلى للمآكل - معركة - شامة سوداء.

٥. نَهل: تخمة - عقل راجح - عين ماء - اول الشرب.

٦. زَوْر: وسط الصدر - وعد كاذب - بئر - ضيق وشدة.

٧. غِلالة: قيد - ثوب رقيق - غشاوة العين - عطش شديد.

٨. رديني: ثوب وردي - رمح - حاد الطبع - فضي اللون.

٩. قرى: جرار ماء - طمأنينة - طعام الضيف - برد الشتاء.

١٠. رُعاف: سم قاتل - حثالة الناس - ارتعاش - دم يخرج من الأنف.

١١. رميم: تراب أبيض - قبر - عظم بال - عود يابس.

١٢. ترياق: دواء يدفع السموم - لسان الحية - لعاب - طعام الصباح.

١٣. هُدب: تل صغير - حاجب - شعر أشفار العينين - سنام الجمل.

١٤. دركة: منزلة - مصيبة - سعة اطلاع - حذر واحتراس.

١٥. سُرى: ذروة السرور - سير ليلي - سلوى - مراقبة النجوم.

١٦. لحاظ: طرف العين - نظر ثاقب - برهة - لهب حارق.

١٧. لبأ: أول اللبن - تهذيب رفيع - طاعة - رشاقة القوام.

١٨. حشيش: عشب يابس - دم القلب - أهل - عشب نضر.

١٩. ديمة: شجرة عنب - غيمة - كرم أصيل - مطر ساكن.

٢٠. عقال: دماغ - حبل تشد به ركبة البعير - قمقم - شعر الرأس.

٢١. نونة: اصبع صغيرة - شحمة الأذن - بؤبؤ - نقرة في الذقن.

٢٢. فِرْك: جوع شديد - قلق - زورق بدائي - بغض الزوج.

٢٣. سمر: حديث الليل - أول الفجر - حياء - ثمر ساقط.

٢٤. فروة: ثراء مفاجىء - كذبة - جلدة الرأس - شعر الصدر.

٢٥. رُضاب: ضباب رقيق - دمع - بشرة ناعمة - ريق.

الأجوبة الصحيحة

١ . الندب: أثر الجرح . الخمش: أثر الظفر . الرسم: أثر الدار .

٢ . الخدْر: ستر يمد للجارية في ناحية البيت . جمعها خدور وأخدار .

٣ . الثرى: التراب الندي . يقال: يبس الثرى بينهم، أي صاروا أعداء بعدما كانوا أصدقاء .

٤ . الوحم: شهوة الحبلى للمآكل . يقال: ليلة ذات وحم، أي شديدة الحر .

٥ . النهل: أول الشرب، والغلل ثانيه .

٦ . الزوْر: وسط الصدر أو أعلاه . النحر: أعلى الصدر .

٧ . الغلالة: ثوب رقيق يلبس تحت ثوب صفيق .

٨ . الرُدَيْنيّ والسمهريّ: الرمح نسبة الى ردينة وزوجها سمهر اللذين كانا يثقفان الرماح .

٩ . القِرى: الضيافة وطعام الضيف .

١٠ . الرُعاف: الدم يخرج من الأنف . النجيع: الدم الضارب الى السواد . الجسَد: الدم اذا يبس .

١١ . الرَميم: البالي من العظام . رَمَّ العظم: بلي .

١٢ . التِرياق: دواء يدفع السموم، قيل مركب من اثنين وسبعين جزءاً .

١٣ . الهُدب: شعر أشفار العينين . الفرع: شعر رأس المرأة .

١٤ . الدَرَكة: المنزلة في الهبوط، وتقابلها الدرجة للصاعد . وقد قيل: الجنة درجات والنار دركات .

١٥ . السُرى: السير ليلا . سرى عرق الشجر: دب تحت الأرض .

١٦ . اللحاظ: طرف العين الذي يلي الصدغ . والمأْق والمؤْق: طرفها الذي يلي الأنف .

١٧ . اللبأ: أول اللبن في النتاج .

١٨ . الحشيش: العشب اليابس . الحُشاش والحُشاشة: بقية الروح في المريض والجريح .

١٩ . الديمة: مطر يدوم في سكون بلا برق ولا رعد .

٢٠ . العقال: حبل تشد به ركبة البعير . ومنه العقال لشبه حبل يشد به الرجل رأسه .

٢١ . النُوْنة: النقرة في ذقن الصبي الصغير . النون: الحوت والدواة وشفرة السيف .

٢٢ . الفِرْك: البغض، خصوصاً بغض المرأة زوجها وبغض الرجل امرأته .

٢٣ . السمر: حديث الليل . السمرمر: طائر يشبه السمانى أسود اللون مريع الصوت، يزعق على الجراد ويأكل منه كثيراً ولا يلبث ما يأكله حتى يخرج منه . لذلك ينهزم الجراد من صوته ويرتمي في البحر غالباً .

٢٤ . الفروة: جلدة الرأس بشعرها . تفرّى: تشقق . يقال: تفرّت الأرض بالعيون، أي تبجّست .

٢٥ . الرُضاب: الريق ما دام في الفم، فاذا علك فهو عصيب، واذا سال فهو لعاب، واذا رمي به فهو بزاق وبصاق .

---

	٢١ - ٢٥:	ممتاز
المستوى	١٦ - ٢٠:	جيد جداً
	١١ - ١٥:	مقبول

ليست هناك سن دنيا أو سن قصوى لتحقيق هدف في الحياة

كِتابُ الأعمار

ع العمر مسألة رئيسية في فكر كل انسان. ففي مرحلة شبابنا ننزع الى اعتبار تقدمنا في السن أمراً مثيراً ونترقب بشوق أن نكبر. وحين نكبر ونواجه مرحلة الانحدار الجسماني نعتبر تقدمنا في السن أمراً ممضاً. ومن الظواهر الناشزة في طبيعتنا الانسانية أننا نتمنى دائماً ان نكون في غير العمر الذي نحن فيه.

ومن دراستنا لحياة الآخرين نتعلّم درساً واحداً وهو أن لكل عمر شيئاً خاصاً يوفره لنا. واذا كنا نتوق الى أن نكبر ونغدو أوفر خبرة، واذا كنا نشتهي أن يكون لنا عهد من الشباب الدائم أو كنا نتحسّر على "الأيام السعيدة الماضية"، فأننا نتنكر للعيش في وقتنا الحاضر والافادة منه الى أقصى حد ممكن.

في مطالعتي الألوف من سير الرجال، وجدت أنه على رغم الانماط القياسية للنمو والسلوك في كل عمر فأن ثمة أناساً يخرقون دائماً هذه الانماط، فيكونون متقدمين على سنهم أو متأخرين عنها الى مدى بعيد في بعض النواحي. وسواء أعاش هؤلاء حياة قصيرة زاخرة بالنشاط أم حياة طويلة وسعيدة، فأنهم تجاهلوا دائماً الحدود الوهمية للزمن.

هؤلاء يعلّموننا في حماستهم وتفاؤلهم كيف نلتهم الحياة.

وانتقاء الأمثلة الآتية يكشف لنا تنوعاً مدهشاً من الناس:

Condensed from «The Book of Ages», copyright © 1983 by Desmond Morris,
published by Jonathan Cape Ltd., London

٣ أعوام: هي السن التي تظهر فيها طلائع العبقرية المبكرة. في هذه السن عزف ولفغانغ آماديوس موزار على البيانو القيثاري وحفظ عن ظهر قلب مقاطع كاملة بعد سماعها مرة واحدة. وفي عامه السابع وضع فريدريك شوبان رائعته "بولونيز".

١٠ أعوام: أقام توماس اديسون مختبره في الطبقة الارضية من بيت أبيه، وهكذا بدأت أعظم حياة حافلة بالاختراع عرفها التاريخ.

١٢ عاماً: أصبحت غرترود ادرلي أصغر فتاة تحطم الرقم القياسي للنساء في مباريات انديانابوليس للسباحة الحرة مسافة ٨٠٠ متر عام ١٩١٩.

١٥ عاماً: أصبح ابن شيكاغو بوبي فيشر أصغر بطل عالمي في لعبة الشطرنج.

٢١ عاماً: بدأت جين أوستن كتابة أولى رواياتها "كبرياء وتحيز" التي أصبحت بعد ١٧ سنة ثاني كتاب ينشر لها. وفي سنها الثانية والعشرين نشرت هيلين كيلر سيرة حياتها (★).

٢٥ عاماً: حقق تشارلز ليندبرغ أول طيران منفرد بلا توقف عبر المحيط الاطلسي.

٢٨ عاماً: أصبحت لاعبة كرة المضرب بيلي جين كنغ أول رياضية محترفة تكسب أكثر من ١٠٠ ألف دولار في سنة واحدة (١٩٧١).

٣٥ عاماً: مات موزار، ربما نتيجة انهيار في القلب.

٣٩ عاماً: مات شوبان بمرض السل.

٤٠ عاماً: بداية "منتصف العمر" كما يقول بعضهم. ولكن في الثانية والاربعين بدأت راقصة الباليه مارغو فونتين شراكتها مع رودولف نورييف في الرقص.

٤٣ عاماً: أصبح جون ف. كينيدي أصغر رؤساء الولايات المتحدة سناً.

٥٠ عاماً: استحدث هنري فورد "خط التجميع المتحرك" الذي أدى الى أول انتاج جماعي للسيارات الرخيصة الثمن.

٥٣ عاماً: أصبحت مرغريت تاتشر أول رئيسة وزراء في بريطانيا.

٦٤ عاماً: أبحر فرنسيس شيشستر وحيداً في رحلة حول العالم في يخت طوله ١٦ متراً.

٦٥ عاماً: اصبح ونستون تشرشل رئيساً لوزراء بريطانيا للمرة الاولى وبدأ نضاله الاسطوري ضد هتلر.

٧٥ عاماً: قطع اد ديلانو (كاليفورنيا) ٥٠٠٠ كيلومتر على دراجة هوائية في ٣٣ يوماً ونصف يوم ليحضر اللقاء السنوي الخمسين لرفاق صفه في الجامعة في ورسستر (ماساتشوستس).

(★) كانت هيلين كيلر عمياء وصماء وبكماء.

٨١ عاماً: أتاح بنجامين فرانكلين اقرار دستور الولايات المتحدة بوساطة حاذقة أجراها بين المندوبين المتنازعين.

٨٤ عاماً: بعدما استقال ونستون تشرشل من فترة ثانية لرئاسة الوزراء في بريطانيا لدى بلوغه الثمانين، عاد الى مجلس العموم كنائب عادي، ثم فاز في دورة انتخابية أخرى، وأقام معرضاً ضم ٦٢ لوحة من رسومه.

٨٨ عاماً: كان عازف الفيولونسيل (التشيلو) بابلو كاسيل لا يزال يقدم حفلات موسيقية قبل ثماني سنوات من وفاته في السادسة والتسعين.

١٠٠ عام: توفي يوبي بلايك عازف البيانو والمؤلف الموسيقي (١٩٨٣). وكان قال في عيد مولده قبل خمسة أيام: "لو عرفت أني سأعيش هذا العمر كله لكنت اعتنيت بصحتي."

١١٩ عاماً: بلغ الياباني شيغيشيو ايزومي هذه السن في ١٩ يونيو (حزيران) ١٩٨٤. وهو أكبر معمّر عاش أبداً كما تؤكد الوثائق الثبوتية ولا يزال على قيد الحياة حتى الآن.

■ دسموند موريس

الافكار والاحلام

لزوجي صديق حميم هو اليوم رجل اعمال ناجح. واني أذكر الوقت الذي كان يقود سيارته الخربة ساعات يومياً وهو يلاحق تجارته في أول عهده بها. وكان زوجي كلما رآه سأله: "بربك كيف تستطيع تحمل سيارة كهذه من غير أن يكون فيها جهاز راديو؟" فيجيبه: "ومن قال لك اني احتاج الى ذلك؟ فأنا اقضي الوقت كله مفكراً."

وبعد سنوات ازدهرت تجارة الصديق واشترى سيارة جديدة فخمة تحوي كل الكماليات الممكنة، بما فيها أحدث جهاز راديو. ومرة بادره زوجي: "أما قلت لي انك لا تحتاج الى راديو وانك تفكر طوال الوقت؟"

فابتسم الرجل وأجاب: "الآن تعرف بماذا كنت أفكر."

ج.ل.ت.

اسمان لمسمى واحد

حين اخبر رجل ان أبنه بدل موضوع دراسته الجامعية من المسرح الى العلوم السياسية قال: "الواقع أنه لم يبدل شيئاً. فالاثنان اسمان لمسمى واحد."

ا.ك.

ترى هل يندمل ذلك الجرح القديم؟

رقصة العمر

ها أنا أرقص مع أبي لمناسبة العيد الخمسين لزواج والديَّ. نتنقل برشاقة عبر أرض القاعة فيما تعزف الفرقة الموسيقية لحن فالس قديماً. يده حول خصري تقودني بثقة كما كانت دائماً، وصوته يدندن اللحن بفرح وحيوية. وندور ضاحكين ونحيي سائر الراقصين.

يقولون لنا إننا أفضلهم، ويشد أبي يدي ويبتسم لي فتذوب كل السنين التي رفضت خلالها مراقصته، ويعود الزمن القديم.

أذكر عندما عاد أبي يوماً من عمله وكنت في الثالثة من عمري. ضمني بين ذراعيه ورقص بي حول الطاولة. وراحت أمي تقهقه وقالت ان العشاء سيبرد، لكن أبي قال: "لقد استوعبت الآن ايقاع الرقصة، والعشاء يمكن أن ينتظر."

ثم بدأ يغني: "دحرج البرميل ولنمرح

© 1982 by Jean Feffrey Gietzen. Condensed from Milwaukee Journal (June 20, '82). Milwaukee, Wis.
Illustration: Susan obrant.

كثيراً." وأكملت أنا الغناء: "لنطرح هذه الاحزان جانباً."

ورقصنا عبر السنين حتى اننا ربحنا الجائزة الاولى في مباراة رقص نظمها ناد كشفي.

وفي احدى الليالي عندما كنت في الخامسة عشرة تائهة في خضم صدمة مؤلمة، أدار أبي احدى الاسطوانات وبدأ يحثني على الرقص قائلا: "هيا، لنطرح أحزاننا جانباً."

وعندما أشحت عنه بوجهي وضع يده على كتفي. فقفزت من كرسيّ وأنا أصرخ: "لا تلمسني! لقد سئمت وتعبت من الرقص معك!"

رأيت الألم يرتسم على وجهه، لكن الكلمات خرجت ولم يكن من سبيل لاسترجاعها. وركضت الى غرفتي أجهش في بكاء مجنون.

لم نرقص معاً منذ تلك الليلة. ووجدت رفاق رقص آخرين. وكان أبي يسهر في انتظاري جالساً في كرسيه المفضل.

انتظرني أبي طوال أيام دراستي الثانوية والجامعية وأنا أرقص في طريقي خارج حياته.

وبعدما أنجبت طفلي الاول اتصلت بي أمي تخبرني أن أبي مريض: "انه داء القلب. ولا داعي الى قدومك. فالمسافة تزيد على ٥٠٠ كيلومتر، ومجيئك قد يقلق والدك."

استعاد أبي صحته بعد اتباعه نظام حمية. وكتبت الي أمي تقول انهما التحقا بناد للرقص: "يقول الاطباء انه تمرين جيد، وأنت تذكرين كم هو يحب الرقص."

نعم، تذكرت. وامتلأت عيناي بدموع الذكرى.

واذ اقترب العيد الخمسون لزواج والديّ التقينا أنا واخوتي نخطط للحفلة. قال أخي الأكبر: "هل تذكرين تلك الليلة عندما رفضت الرقص معه؟ كم بدا غاضباً! لم أصدق أنه قد يغضب الى هذا الحد من أجل موضوع كهذا. أراهن على أنك لم ترقصي معه منذ ذلك الحين."

ولم أقل له انه على حق.

قلت لأخي الأصغر الذي وعد باحضار الفرقة الموسيقية: "تأكد من أنهم يعزفون الفالس والبولكا."

ولم أقل له ان جل ما أردته كان الرقص مع والدي مرة أخرى.

كان والدي أول الراقصين عندما بدأت الفرقة العزف بعد العشاء. ووقف المدعوون مصفقين للزوجين في عيدهما الذهبي. ورقص أبي مع حفيداته ثم بدأت الفرقة عزف "بولكا البراميل."

سمعت والدي يغني "دحرج البرميل"، وأدركت أنه الوقت المناسب. فشققت طريقي بين الراقصين وربتّ كتف ابنتي. قلت وأنا أنظر الى عيني أبي مباشرة والكلمات تكاد تخنقني: "المعذرة، أظن أن هذه الرقصة لي."

تسمر والدي في مكانه. والتقت عيوننا وأعادتنا الى تلك الليلة عندما كنت في الخامسة عشرة. وغنيت بصوت مرتجف: "لنطرح هذه الاحزان جانباً."

فانحنى لي أبي وقال: "آه، أجل لقد كنت في انتظارك."

وضحكنا وشبكنا ذراعاً بذراع.

■ جين جيفري غيتزن

هذه النعمة الزراعية التي تفتك بالأعشاب الضارة تفتك بالناس أيضا متى أسيء استعمالها

البَاراكوات مُبْيد العشب والبشر!

ربما كان مبيد الباراكوات أرخص مبيدات الأعشاب الضارة واكثرها فاعلية. فهو يتيح للمرء أن يتخلص، في ساعات قليلة، من العشب الضار الذي يملأ حقلا زراعيا برمته. وقد يتوقف على استعمال هذا المبيد بقاء ملايين الناس في منأى عن المجاعة. إلا أنه قد يكون سما قاتلا لا علاج معروفا له إذا نحن لم نحسن استعماله.

تلك هي المشكلة التي يطرحها هذا السائل البني الكثيف الذي يباع في العالم كله وتطلق عليه اسماء مختلفة بينها "غراموكسون" و"باراكسون". فهو مبيد سريع المفعول ورخيص يقتل الاعشاب الضارة بمجرد إصابتها ويجعل زراعة الارض ممكنة "من دون حراثة"، وهذا بلا شك من أهم التطورات التي تحققت في ميدان الزراعة منذ اكتشاف المحراث. غير أنه في الوقت نفسه يشكل خطرا على الانسان ويؤدي أحيانا الى نتائج فاجعة. ولئن تكن معظم الوفيات الناجمة عن سوء استعماله لم تسجل، فان بعض ما نعرفه منها مروّع حقا. ففي قرية تيفا في بابوا نيو غينيا مثلا توفي أربعة أشخاص لشربهم ماء مزج خطأ بهذا المبيد، وفي ترينيداد عرّج أحد السائقين على منزله ليشرب فوجد زجاجة عصير مملوءة بمادة الباراكوات، ولم ينتبه الى أن "العصير" ذو طعم غريب الا بعدما شرب ربع الزجاجة. وتوفي بعد أسبوع بقي خلاله يتقيأ دماً.

ويقول صانعو الباراكوات إنه في الحقيقة لا يشكل خطرا إذا التزمنا

Condensed from Newsweek international (July 18, 1983). © 1983 by Newsweek, Inc., 444 Madison Ave., N.Y., with additions by the author

التحذيرات المدوّنة على أوعيته وحفظناه بعناية ولم نتجاوز المعايير الصحيحة واستخدمنا الأجهزة والألبسة الخاصة باستعماله. لكن النقاد يرون أنه لا يمكن دائما تطبيق هذه الشروط، وأن علينا زيادة جهودنا لحماية الفلاحين الأميين وغير المزودين أجهزة خاصة والذين يشكلون العدد الاكبر من مستعملي الباراكوات.

موت مريع - ابتكر الباراكوات في أواخر الخمسينات ورُخّص استعماله للمرة الأولى في أوائل الستينات واقتصر إنتاجه على الشركة الامبراطورية البريطانية للصناعات الكيميائية. والمعلوم أنه عندما يذوّب هذا المبيد على النحو الصحيح، فان نحو ليتر واحد منه يكفي للتخلص من الأعشاب الضارة في مساحة تقدّر بأربعة آلاف متر مربع. وهو لا يلحق أي ضرر بالمحاصيل الجديدة أو بالتجهيزات المائية. ويقول بيتر سليد الموظف في الشركة المنتجة: "انه مادة كيميائية ممتازة حقا. وهو إذ يُقلل الحاجة الى الحراثة، يتيح تحسين طبيعة الارض والعمل على حفظ المياه."

إلا أن هذا المبيد قد يكون ذا أثر مرعب من الناحية الطبية إذا أسيء استعماله. فهو عندما يدخل جسم الانسان يمكن أن يتسبب في إصابته بمرض خطر وقاتل أحيانا. وابتلاع مقدار قليل منه قد يسبب التقيؤ. وبعد دخوله مجرى الدم يصيب الكبد والكليتين والرئتين ويميت معظم ضحاياه خلال أسابيع بانسداد الرئتين.

والواقع أن هناك علاجين يمكن اعتمادهما بعد تناول الباراكوات مباشرة. الاول يقوم على تناول جرعات من "تراب فولر" المضاد للسموم، في حين يقوم الثاني على تنقية الدم. وفي إحدى الحالات التي طرأت حديثا حاول الاطباء إنقاذ إحدى ضحايا الباراكوات بزرع رئة في جسدها. وكان سكوت ويلسون شابا يعمل في بستان بولاية فلوريدا الأمريكية. وعندما تعرّض خطأ لأذى الباراكوات نقل الى مركز مونتيفيوري الطبي الشهير في مدينة نيويورك. ويذكر الدكتور ستيفان كامهولز الذي شارك في عملية زرع الرئة أن رئتي ويلسون أصيبتا بضرر عظيم وبات لونهما أحمر قانيا. وحين لمس الجراحون النسيج الذي يكون عادة لينا وكثير المسام سمعوا خشخشة".

وعلى رغم الجراحة البارعة مات ويلسون بعد شهرين بسبب مضاعفات لا علاقة لها بالجراحة. ولا شك في أن إخفاق هذه المحاولة الجذرية يؤكد حقيقة أساسية هي أن المصابين بأمراض ناجمة عن الباراكوات ليس لهم علاج أكيد في معظم الاحيان. ويقول الدكتور سومشيت رئيس قسم علم السموم في مستشفى رامثيدوردي في بانكوك: "إن معظم ضحايا الباراكوات يموتون مهما طال علاجهم وأيا يكن هذا العلاج."

سوء الاستعمال - حدا هذا الخطر الشديد الناجم عن استعمال الباراكوات معظم البلدان المتقدمة على اعتباره من المواد التي يستدعي استعمالها تنظيما

وضبطا كبيرين. ففي بريطانيا وضع الباراكوات على لائحة السموم المسجلة ومنع شراؤه الا باذن خاص. وفي الولايات المتحدة يتعين الحصول على شهادة رسمية في معظم حالات استعماله، وعلى الشخص المعني أن يتابع دروسا في اشراف الحكومة حول سبل استخدام المواد الكيميائية السامة في الزراعة على نحو سليم.

غير أن الحال تختلف كثيرا في معظم بلدان العالم الثالث. فبعض هذه البلدان يفرض قيودا على استعمال الباراكوات لكنه لا يفلح دائما في تطبيقها. وعندما انتهت مدة الامتياز الممنوح للشركة الامبراطورية البريطانية للصناعات الكيميائية في منتصف السبعينات، عمدت عشرات الشركات الصغيرة الى انتاج الباراكوات وبيعه في الاسواق من دون أن تأخذ في الاعتبار دائما الأصول المعتمدة في توزيعه، وذلك تحقيقا لمزيد من الأرباح.

والحق أن كثيرين من مستعملي الباراكوات هم من الفلاحين الحفاة الذين يحصلون على هذا المبيد من المخازن الريفية ويفرغونه في قوارير قديمة وأباريق بلاستيكية. ويذكر مراقبون صحيون أنهم رأوا هذه القوارير والاباريق تستخدم في شرب الماء أو حفظ المأكولات. وفضلا عن أن الشركة الأصلية عمدت الى لصق رقع على منتجاتها تحذر فيها من مغبة هذا الأمر فان موزعيها يكررون توصية التجار وجوب التزام الحذر الشديد في بيعها.

ومما يدعو الى الأسف أن الأمر لا يقتصر على ما سبق ذكره، إذ إن كثيرين من مستعملي الباراكوات يمتنعون عن لبس الثياب الواقية أو أحذية المطاط لأنهم يجدون ذلك من النوافل المزعجة. وقد دهش بعض المراقبين عندما رأوا عددا من الفلاحين يتهادون في الحقول وعلى ظهورهم مرشات تقطر تلك المادة السامة على ثيابهم. وقد لا ينجو من أذى الباراكوات حتى الفلاحون الذين يعرفون خطره، إذ يتفق أن يشرب هؤلاء من الينابيع الملوثة بسمّه من دون علمهم بذلك. وفي حالات نادرة يعمد الفلاحون الذين أذهلتهم قدرة المبيد العجيبة، الى الاستعانة به للتخلص من القمل، فينتج من ذلك القضاء على القمل وعلى الاشخاص الذين حاولوا التخلص منه.

قوانين وقيود – من أكثر المسائل شيوعا وإثارة للجدل مسألة استعمال الباراكوات في مكافحة المخدرات كما فعلت حكومة الولايات المتحدة في السبعينات. ففي العام ١٩٧٥ لجأت السلطات الامريكية والمكسيكية المسؤولة عن مكافحة المخدرات الى الباراكوات لرش حقول واسعة في المكسيك حيث يزرع الافيون والماريوانا. وعارض بعض النقاد الامريكيين هذا الاجراء بحجة أن النبات المرشوش كان لا يزال يحصد ويهرب الى الولايات المتحدة مما يعرض شاري المخدر الفاسد للتسمم. وفي العام ١٩٧٩ توقفت عمليات الرش. ومع ذلك يقال ان الرش سيستأنف في المكسيك وسيتعداها الى كولومبيا وجامايكا.

كذلك يستعمل الباراكوات لغاية مروّعة هي الانتحار. ويزعم منتجو هذا المبيد أن معظم الوفيات الناجمة عن استعماله هي من هذا القبيل. ولئن يكن إنتاج المبيدات الفاعلة يؤدي أحيانا الى نتائج فاجعة، فهذا أمر لا مفرّ منه. ومع ذلك عمد بعض الشركات الى اتخاذ خطوات لمكافحة سوء استعمال تلك المبيدات. فالشركة البريطانية للصناعات الكيميائية مثلا تعلن أن همها الرئيسي هو العمل على وضع قوانين ملائمة تضمن استعمال منتجاتها على النحو الصحيح. ويقول بريان كوكس الناطق باسم الشركة: "في هذه الحال لن يتاح للتجار أن يبيعوا تلك المنتجات من دون قيود."

تدابير احترازية - في تايلاند نشأ حديثاً خلاف حول سوء استعمال مبيدات الحشرات والأعشاب الضارة. ففي يناير (كانون الثاني) ١٩٨٣ أصيب السمك في البلاد بمرض غريب جعل ملايين الاسماك في ٣٧ مقاطعة تطفو على مياه البرك وهي منتفخة البطون. فاستبد الغضب بالمربّين وذهبوا الى أن السبب في ما حدث هو الاسراف في استعمال المبيدات في الاراضي الزراعية المُجاورة.

ووافق قسم السموم التابع لوزارة الزراعة على ادعاء مربي الأسماك، وجاء في تقرير بهذا الصدد أن السبب الرئيسي في تلك الكارثة هو تلوث الماء ببقايا تلك المبيدات في حين لم يكن تلوثه بالبكتيريا والفيروسات إلا في عداد الأسباب الثانوية. ويرى المسؤولون في القسم أن المواد الكيميائية قد تكون أضعفت السمك فجعلته عرضة للاصابة بذلك المرض. غير أن منتجي تلك المواد يرفضون هذا الاستنتاج ويقولون إن هذه الاصابات هي دورية ولا علاقة لها بمنتجاتهم.

ويرى الدكتور بريون ديما، وهو أحد المتخصصين بعلم السموم العاملين في دوائر الحكومة، أن الفلاحين التايلانديين كثيرا ما يفوتهم التزام الحذر عندما يستعملون مبيدات كالباراكوات في حقولهم. وهم عادة يعيشون بعيدا عن عيادات الاطباء والمستشفيات بحيث تتعذر معالجتهم عندما يصيبهم ضرر المبيد. من هنا يحذّر الدكتور بريون من استعمال الباراكوات "بلا قيد". ويشير الى أن "الباراكوات مادة سامة لا علاج معروفا لها. لذلك علينا البحث عن بدائل."

والواقع أن كبار منتجي الباراكوات بدأوا يضيفون اليه "مواد ذات روائح كريهة" وأخرى مقيِّئة كي يثنوا الناس عن تناوله اتفاقا أو عمدا. والى ذلك عمدت الشركة البريطانية للصناعات الكيميائية الى تلوين الباراكوات بلون أخضر يضرب الى الزرقة لتمييزه عن الشاي والقهوة وسواهما من المشروبات.

كذلك فان للتربية أثرا كبيرا في خفض عدد الوفيات الناجمة عن الباراكوات وفي تقليل حالات سوء استعماله. ففي جنوب افريقيا مثلا لحظت السلطات الزراعية والطبية أن تنبيه المواطنين الى أخطار سوء استعمال الباراكوات جعل حوادث التسمم بهذا المبيد قليلة جدا.

المنافع والمضار - لا شك في أن طلب الباراكوات والمواد الكيميائية المماثلة سيبقى آخذا في الازدياد في الدول النامية حيث تزداد الحاجة الى انتاج المواد الغذائية. ويقول أحد فلاحي قرية روغلي في غينيا الجديدة انه سيلجأ هو وكثيرون غيره الى التظاهر إذا خطر للمسؤولين فرض قيود على استعمال الباراكوات. ثم يضيف: "فأنا لا أستطيع إعالة أسرتي من دون الغراموكسون. والذين يتسممون به إنما يحدث لهم ذلك بفعل أعدائهم أو بسبب مشكلاتهم العائلية. أما الذين يعرفون كيف يستعملونه فليست لديهم أي مشكلات."

والمعروف أن الصناعة الكيميائية تؤيد عادة فرض قيود مناسبة تشمل توزيع منتجاتها وسبل استعمالها في جميع البلدان. وهي ترى أن الاستمرار في تزويد الفلاحين مبيد الباراكوات يجعل حياتهم أكثر سهولة. ويذهب بعض مؤيدي هذا الرأي الى أن هناك بلدانا تتوقف فيها حياة مئات الالوف من الناس على محصول قمح واحد، لذلك فأن حظر بيع الباراكوات يبقى أمرا مرفوضا، وان أدى توزيعه الى عدد من الوفيات لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة. فهذا الثمن يظل قليلا بالقياس الى النفع العام الذي يؤمنه ذلك المبيد. وفي ذلك يقول بيتر سليد من الشركة البريطانية للصناعات الكيميائية: "إن الذين يغالون في الكلام على الحوادث التي يسببها الباراكوات هم غالبا الذين يقولون إن لديهم اهتماما كبيرا بزيادة انتاج المواد الغذائية في الدول النامية، ولا يخفى ما للباراكوات من دور في هذا المقام. لذلك يجب مقارنة منافعه ومضاره بعناية كبيرة وإنعام النظر في هذه المضار لتخفيف وطأتها."

والحق أنه لا يمكن التقليل من شأن هذه الحجج في عالم يزداد عدد سكانه الذين يعانون سوء التغذية. لكن المسألة الاساسية المتعلقة بالتجديدات المذهلة، في مجالات تطوير الادوية والمواد الكيميائية الصناعية وحتى السيارات العادية، تكمن في الموازنة بين المنافع والاضرار من الناحيتين المالية والبشرية. والسؤال المطروح هو: كيف نقيم هذه الموازنة وكيف نقلل الاخطار؟

■ **سبنسر رايس**

الاجوبة الصحيحة لاحجية المحقق الناجح

١. كانت الرسائل الواردة من أمريكا الجنوبية تحمل طوابع نادرة تبلغ قيمتها ألوف الجنيهات الاسترلينية.

٢. فضح رايلي نفسه حين ذكر اسم صهره المغدور قبل أن يسميه مونتغمري. وقد اتضح للمحقق من كلامه أن له ثلاثة أصهار على الأقل.

٣. الصفحتان ١٢٣ و١٢٤ في أي كتاب هما وجهان لورقة واحدة.

تأمّلات معاصِرة

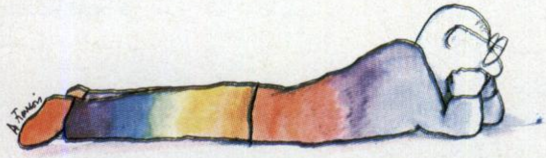

الفن والحياة

الحكم على الفن يشبه، الى حد بعيد، الحكم على الحياة. فعلى أي أساس نقول ان الدائرة أفضل أو أجمل من المربع، أو أن اللون الأزرق يتفوق على الاصفر؟ وهل شجرة الصفصاف الطويلة أكثر حياة من نبتة الخيار النامية مع الارض؟ أو هل نقول ان مائية صغيرة من ريشة كلي أقل أهمية من جدارية ضخمة أنجزها مايكل آنجلو؟

ثيودور وولف

دراسة التاريخ

أهمية دراسة التاريخ معرفتنا أن معنى الحروب الغابرة لا يختلف عن معنى الاحداث التي تطالعنا بها الصحف اليوم، وأن نعرف ان المحاورات التي وضعها أفلاطون على لسان سقراط تهم حياتنا المعاصرة اكثر مما ينطبق عليها الكثير مما ينسب الى العلوم الاجتماعية.. فالمهم، في النهاية، هو الخبرة البشرية التي تكشف عن معنى حياتنا وقيمتها.

ب.ث.

المناصب والذاكرة

لقد بات رؤساء الدول يعزلون أنفسهم عن العالم الخارجي بحيث ينسون أن هناك شروقاً وغروباً ومطراً وحافلات وأسواقاً يزدحم فيها الناس. وإذا بقوا طويلا في مناصبهم، غابت تلك المناظر تماماً عن ذاكرتهم.

ر.ب.

الكلب الوفي

الكلب يجسد غاية الصدق والاخلاص. فهو لا يستطيع التظاهر ولا يتصرف البتة كمن له سلطان، مهما بلغ ضعف سيده الجسدي او النفسي.

ومن مظاهر الصحة العقلية لدى الناس أنهم لا يشككون في نيات كلابهم. وربما شك المرء في معظم من يعرفهم أو فيهم جميعاً، ولكن لا يجوز اطلاقاً ان يشك في كلبه. ان الآخرين يستغلونك ولكن يتظاهرون بغير هذا. أما الكلاب فتستغلك وتُظهر لك هذا، اذ لا خيار لديها غير ما تفعل. وكن على ثقة من ان الخداع لا يرقى اليها.

روجر كاراس، خبير في الحيوان

العمى والصمم

لكم تمنيت ان يُعطى كل شخص نعمة العمى والصمم اياماً قليلة في مطلع شبابه. فالظلمة تعينه على تقدير النور والصمت على التمتع بالأصوات.

هلن كيلر، كاتبة امريكية

أولادنا اكبادنا

فجأة يدخل البيت طفل. وطوال عشرين سنة يحدث ضجيجا لا نستطيع تحمله احياناً كثيرة. ثم يترك البيت، فيخلو ويهيمن عليه سكون فيه الكثير من الكآبة.

جون أندرو هولمز

ذوبان الجليد

ثمة أناس في المناطق الاستوائية او في اقاصي القطب المتجمد الشمالي لم يشاهدوا الثلج نصف الذائب. ولكن كيف يمكن نقل هذه الخبرة الجميلة اليهم حيث هم؟ كيف يتسنى لأحدهم ان ينظر من النافذة بعد نهوضه من النوم صباحاً، فيرى العالم المسحور الذي خلفه ذوبان الجليد؟

بيل فون

التعب

ألم تعلم الخبرة كلا منا ان العمل ليس مصدر التعب؟ فالتعب يأتي من الخيبة التي يولدها غياب العمل او الانجاز الحق.

ريتشارد هيكرت

الغد الزائر

علينا أن ننظر دائماً الى المستقبل. والغد من الأشياء الكثيرة الرائعة في هذه الحياة، لأنه يمنحنا، أفراداً وأوطاناً، فرصةً أخرى. والكلام نفسه يُقال في جواد أصيل تمتطيه أو في نار القرى وسط صحراء مقفرة أو في أرض طيّبة تلقي رأسك فوقها أو في طفل يناديك «بابا» للمرة الاولى.

أجل، ثمة أشياء كثيرة رائعة في حياتنا. لكني أظن أن أعظمها الغد... ذلك الزائر الذي يأتينا نظيفاً في منتصف كل ليلة ويضع نفسه بين أيدينا، آملا أن نكون اكتسبنا عبرة من الأمس الذي مضى.

الممثل جون وين

ارجاء المتعة

منذ تعلّم الانسان أن يحرث التراب وأن يزرع البزور بدل أن يأكلها، بات إرجاء المتعة قاعدة للتقدم الحضاري.

س. هاياكاوا، سناتور أمريكي سابق ورئيس جامعة

تسلق الجبال

المرء يتسلق الجبال لأنه يحتاج الى التسلق، ولأن هذه الحاجة وُلدت معه. وما يجده على قمم الجبال لا يقتصر على الصخر والثلج والريح ومظلّة السماء الزرقاء. انه يجد معها جزءاً من كيانه الجسدي والعقلي حجبته اهتمامات الحياة اليومية على الأرض. وإذذاك يدرك وظيفة رجليه ورئتيه وأعضائه كلها.

جايمس رامسي أولمان،
متسلق جبال

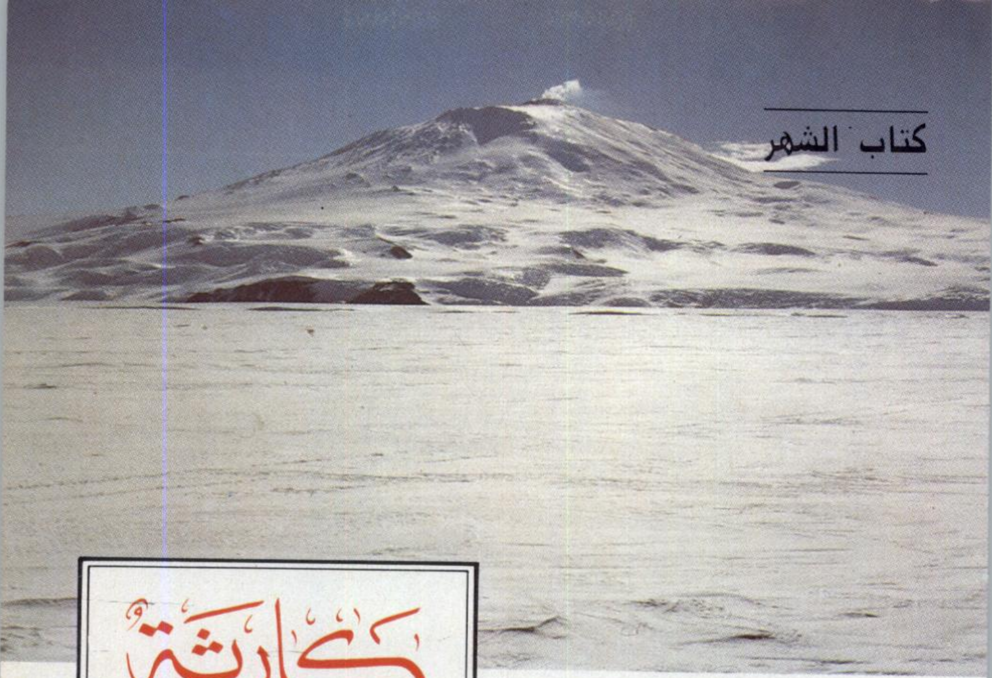

كارثة فوق جبل الظلام

بقلم موريس شادبولت

Photo: Antarctic Division DSIR

كارثة

فوق جبل الظلام

بدت تلك الرحلة فوق القطب الجنوبي من رحلات العمر. وراح ركاب الطائرة ٩٠١ التابعة للخطوط الجوية النيوزيلندية يتناولون الطعام والشراب ويتحادثون بمرح وهم ينظرون من النوافذ الى المناظر القطبية الرائعة تحتهم. وفي طرفة عين تحولت الطائرة النفاثة كومة حطام ودخان ورماد على جبل اريبوس المغطى بالثلوج. وقضى جميع ركابها وهم ٢٣٧ وأفراد طاقمها العشرون. ولكن كيف حصل ذلك؟

ألقت الخطوط الجوية النيوزيلندية - وهي من شركات الطيران العالمية ذات السمعة الممتازة - المسؤولية على الطيار. الا أن أحد كبار ربابنة الشركة تحدى تلك النظرية وضحى بوظيفته وصداقاته من أجل الحق وإكراماً لذكرى زميله. ولعل في كشف الحقيقة بعض عزاء لذوي الضحايا.

هنا يروي أحد أفضل كتاب نيوزيلندة المعاصرين قصة هذه الكارثة.

في ٢٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٩ حلقت طائرة من نوع «دي سي - ١٠» تابعة للخطوط الجوية النيوزيلندية فوق قارة القطب الجنوبي غير المأهولة الغارقة تحت أشعة الشمس. وكان على متن تلك الطائرة ٢٣٧ راكباً و٢٠ ملاحاً يحلقون فوق أرض تزيد مساحتها على ١٤ مليون كيلومتر مربع من الجبال وأنهر الجليد والبحار المتجمدة والثلوج القطبية الكثيفة.

وفي الثانية عشرة والدقيقة التاسعة والأربعين بعد الظهر بالتوقيت القطبي كانت الطائرة الضخمة تتحرك بسرعة ٢٦٠ عقدة (١) وسط الجو المشمس وفي مسارها المبرمج الكترونياً. وهي أكثر الطائرات تطوراً وأماناً. ناهيك بأن الخطوط الجوية النيوزيلندية لم تسجل حادثاً جوياً واحداً طوال السنوات الأربعين التي انقضت على تأسيسها.

وها هم السياح يستمتعون بأجمل رحلة نظمتها شركة سياحية خلال العقد الأخير، ألا وهي التحليق فوق القطب الجنوبي. وراح بعضهم يتحدث ويتناول الشراب فيما البعض الآخر يلتقط الصور من النوافذ.

وبعد خمسين ثانية فقط أصبحت الطائرة حطاماً يندلع منه الدخان على جبل تغطيه الثلوج. ولم ينجُ أحد من الموت، ولم يكن أحد هناك ليهبّ على الفور الى مكان الحادث. وسرعان ما غطى الثلج جثث الضحايا وتقاذفت الريح الأوراق والوثائق وحومت طيور الكركر فوق الحطام.

ومن حيث ضخامة الخسائر في الارواح احتل ذلك الحادث المرتبة الخامسة في تاريخ الطيران، وربما كان أكثر الحوادث مأسوية. وغدا موضوعاً لأربعة كتب كبيرة وألوف الصفحات التي تضمنت الشهادات القانونية وقرارات المحاكم. وبعد اكثر من خمس سنوات لا تزال تلك اللطخة السوداء فوق الجبل الأبيض حية في أذهان المعنيين.

وكان الطيران النيوزيلندي أعلن تنظيم تلك الرحلة تحت شعاره المعروف «لا أحد يبزنا في هذا المضمار.» وجاء في الكتيّب المعد عن الرحلة: «اتبعوا خطى كبار المستكشفين القطبيين حول القارة الجليدية... انظروا تحتكم الى أرض سكوت وشاكلتون وبيرد ومن جاء بعدهم من العلماء المستكشفين. ولا تنسوا أن تحملوا نظاراتكم الشمسية وآلات التصوير.»

واستهلت الشركة رحلاتها السياحية تلك، التي تقطع مسافة ٩٠٠٠ كيلومتر في ١١ ساعة، عام ١٩٧٧. وفعلت الدعاية وإطراء السياح فعلهما في ملء جميع الطائرات المتجهة الى هناك. وكانت الرحلة بالنسبة الى بعض الركاب تحقيقاً لأحلامهم، وبالنسبة الى آخرين مهرجاناً جوياً فوق أروع منظر في العالم. وكانت وسائل الراحة مكتملة ومقادير الطعام

(١) العقدة أو الميل البحري تساوي ١٨٥٢ متراً.

والشراب سخية. ونظر الركاب تحتهم ليروا سهول الجليد الموشحة بالشمس، حيث عانى الكثير من المستكشفين القطبيين الأمرين وقضى عدد منهم. وكان يرافق بعض الرحلات أدلاء بينهم متسلقا الجبال النيوزيلندیان السير ادموند هيلاري وبيتر ملغرو، ليرووا على الركاب أقاصيص واقعية من خبرتهم وسط الصدوع والثلوج. ولم تكن الطائرة تهبط خلال تلك الرحلة، بل كانت تحلق على علو منخفض فوق القاعدة البحرية الأمريكية وقاعدة سكوت النيوزيلندية على شاطىء لسان مكموردو قبل عودتها الى نيوزيلندة.

ولم يكن على متن الطائرة ذلك اليوم من هو أكثر حماسة لرؤية القطب الجنوبي من ربانها جيم كولينز البالغ الخامسة والاربعين. وهو رجل أنيق مرح يحظى بتقدير الآخرين ويتمتع بضمير حي. واعتبر كولينز أن الحظ حالفه حين أوكل اليه أمر قيادة الرحلة ٩٠١. وطيارو الخطوط الجوية النيوزيلندية يصنفون الرحلات السياحية القطبية في عداد الكماليات. وقد سرت اشاعة أن الشركة قد ترفع تكاليف الرحلة نظراً الى ارتفاع ثمن الوقود.

ولو عرف كولينز بالاجتماع الاستشاري العاشر الخاص بالتحليق فوق القطب الجنوبي الذي عُقد في واشنطن قبل أسابيع، لكان أقل سروراً. ففي ذلك الاجتماع لوحظ أن الرحلات السياحية القطبية «تجري في جو محفوف بالأخطار» وانها «تتجاوز الامكانات الراهنة للمراقبة والاتصال والانقاذ.» والولايات المتحدة وحدها خسرت أكثر من خمسين طائرة و٢٩ موظفاً في عملياتها هناك. ومع ذلك أصرت الخطوط الجوية النيوزيلندية وطيران «كانتاس» الاوسترالي على المضي في تلك الرحلات السياحية فوق القارة الخطرة.

التدقيق في الخرائط

في ٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٩، أي قبل ١٩ يوماً من الرحلة، تلقى كولينز وثلاثة طيارين آخرين التعليمات النهائية عن الطريق المرسومة للرحلة القطبية. وبين أولئك الطيارين لسلي سيمبسون الذي حُدِّد الرابع عشر من نوفمبر (تشرين الثاني) موعداً لرحلته. وتلقى الطيارون التدريب مع عرض سمعي بصري للطريق، وأتيح لهم طرح الأسئلة التي يريدون. وعرضت الشرائح المصورة التي تبين معالم الطريق كما تبدو من الطائرة. وعُدَّ ذلك كافياً بالنسبة الى الطيارين الذين يجتازون تلك الطريق للمرة الاولى. وكان قسم الطيران المدني يشترط أن يحلّق الربان مرة واحدة على الأقل فوق القطب الجنوبي قبل ان يتولى قيادة طائرة الى هناك. غير أن الخطوط الجوية النيوزيلندية أقلعت عن تلك العادة بعد الرحلتين الاولیين عام ١٩٧٧. ولا يستطيع طيار عسكري التحليق فوق لسان مكموردو بطائرة تابعة للبحرية الأمريكية أو

السلاح الجوي النيوزيلندي ما لم يحلّق سابقاً فوق المنطقة في إشراف طيار قطبي متمرّس. ولكن يبدو أن التدبير الجديد الذي اتخذته الخطوط الجوية النيوزيلندية حصل بهدف توفير الوقت والطيارين والمال.

وعرف كولينز من الشرائح المصورة التي شاهدها أن الخط المرسوم للرحلة سيحمل طائرته «دي سي - ١٠» فوق بحر مكموردو الجليدي. وهذا يعني أن منطقة فيكتوريا الجبلية التي تتخللها الصدوع الجليدية ستكون الى يمينه، وجزيرة روس التي يتوسطها جبل اريبوس البركاني الذي يرتفع ٣٧٩٤ متراً الى يساره.

ولكن ما هو أدنى ارتفاع يُسمح به لالتقاط الصور؟

هبط معظم الطيارين الى ارتفاع يراوح بين ١٥٠٠ و٣٠٠٠ قدم (٤٥٧ متراً - ٩١٤ متراً) فوق مكموردو قبل إكمالهم الطريق الى القطب الشمالي حيث يعمل مئات العلماء والمتطوعين من الولايات المتحدة ونيوزيلندة. وذلك كله كان واضحاً في إعلانات الشركة عن الرحلة.

لكن ثمة شرطاً واحداً للنزول تحت نقطة الأمان، أي تحت ١٦ ألف قدم، وهو أن تكون الرؤية واضحة على امتداد ٢٠ كيلومتراً على الأقل والجو خالياً من الثلج بحسب ما يقتضيه الطيران المدني النيوزيلندي. ويتعين على الطيار أن يحصل قبل هبوطه على اذن من قسم مراقبة الطيران في محطة مكموردو الأمريكية.

وخلال الاجتماع الذي أعطيت فيه التعليمات حصل الطيارون على الخطة المفصلة للرحلة، بما في ذلك المواقع الأرضية الموافقة لكل نقطة جوية بالقياس الى خطوط الطول والعرض. والى ذلك لجأ جيم كولينز المعروف بدقته الى تدبير يغفله الطيارون الآخرون معظم الاحيان. فهو دون معلومات كثيرة مما رآه وسمعه في دفتر صغير كان يدعوه «ذاكرتي.»

ولا شك في أنه دوّن النقطة الأخيرة في الطريق، وهي ٧٧ درجة و٥٣ دقيقة جنوباً، و١٦٤ درجة و٤٨ دقيقة شرقاً. ولم يخطر في بال أحد أن هذا الدفتر سيكتسب أهمية قصوى، خصوصاً من جهة الرقمين المتعلقين بالشرق.

وفات الادارة أن تزوّد الطيارين أمرين مهمين: أحدهما خريطة طوبوغرافية (٢) تحمل رسماً دقيقاً للطريق الى مكموردو، أي للمساحة الممتدة بين فيكتوريا وجزيرة روس، والآخر البحث في أحد الأخطار القطبية وهو «انتشار البياض»، أي امحاء الافق الفاصل بين الأرض والفضاء. وأحياناً يظن الطيار أنه يرى حتى مسافة ١٥٠ كيلومتراً أمامه، لكنه لا يلبث أن يصدم جبلا. وظاهرة البياض الخادع هذه غابت عن بال المسؤولين في الخطوط الجوية

(٢) الطوبوغرافيا هي الوصف أو الرسم الدقيق للاماكن أو لسماتها السطحية.

النيوزيلندية وقسم الطيران المدني. وقدروا أن تحذير الطيارين من تساقط الثلج كافٍ. الا أن المسؤولين عن الطيران العسكري في القطب الجنوبي يحذرون طياريهم على الدوام من ظاهرة البياض الخادع.

وفي أمسية السابع والعشرين من نوفمبر (تشرين الثاني)، قبل ١٢ ساعة من موعد الاقلاع، بسط كولينز الخرائط وأدوات الرسم البياني أمامه على مائدة الطعام في منزله في أوكلاند. وكولينز معروف بالحرص وبأنه لا يدع نفسه يعيش تحت رحمة الظروف غير المتوقعة. وكلما دعا أفراد عائلته الى الابحار في زورق حمل معه من لوازم النجاة ما يفوق المطلوب. وقد بدت تلك الرحلة فوق القطب الجنوبي متجاوزة للمعتاد في نظر كولينز. لذلك بسط خريطة كبيرة على الأرض ليدل اثنتين من بناته الأربع المتقدات الذهن - وهما كاثرين البالغة الخامسة عشرة واليزابيت البالغة الرابعة عشرة - على الطريق الى مكموردو، ولما فرغ من الخرائط رأته ابنتاه يدرس خريطة طوبوغرافية تفصيلية لمنطقة

الكابتن جيم كولينز قائد الرحلة ٩٠١

Captain A.M. Foley

حطام الطائرة وأحد جناحيها.

NZ Herald and Weekly News

موري ديفيس المدير التنفيذي لشركة الخطوط الجوية النيوزيلندية آنذاك.

مكموردو في أطلس خاص نشرته دائرة مسح الاراضي في نيوزيلندة.

وأمضى ساعتين وهو يمحّص الطريق، كما شهد أفراد عائلته لاحقاً. وربما فعل ذلك تعويضاً لتقصير المسؤولين في الشركة في عرض الطريق على نحو مفصَّل دقيق، بما في ذلك جبال فيكتوريا ووهادها ومحطة مكموردو وجبل اريبوس البركاني. ولما انتهى لمَّ كل شيء، بما في ذلك الأطلس النيوزيلندي، ووضعه في حقيبة يده. ثم شاهد أخبار الساعة العاشرة على التلفزيون مع زوجته قبل أن يخلد الى النوم.

أما الربان لسلي سيمبسون الذي استدعته الادارة مع كولينز وآخرين لاعطائهم تعليمات أساسية عن الرحلة، فحلّق فوق القطب في ١٤ نوفمبر (تشرين الثاني). وكانت تلك الرحلة بهجة لكل من شارك فيها. وأعطاه المراقبون الجويون في محطة مكموردو اذناً بالهبوط الى ألفي قدم (٦٠٩ أمتار) حيث أطلّ المسافرون من النوافذ يتأملون روعة المناظر ويلتقطون الصور. وفيما هو يحلق من الغرب الى الشرق في الجزء الأخير من الرحلة لاحظ أن المسافة بين النقطة الأخيرة ومحطة مكموردو للمراقبة الجوية هي حوالى ٤٣ كيلومتراً، وهذا أطول مما كان يتوقع. ودقق في جميع الأرقام والأجهزة أمامه، فوجد كل شيء كما ينبغي أن يكون. لذلك ارتأى تنبيه زملائه الطيارين الى الأمر لئلا تقلقهم تلك المفارقة بين الواقع والرقم الظاهر على الدماغ الالكتروني.

ولدى عودته ناقش الأمر مع مدير الطيران الكابتن روس جونسون الذي طلب من قسم الملاحة في الشركة تحرّي المسألة. ويبدو أن ذلك القسم فهم أن سيمبسون يطلب جعل النقطة الأخيرة فوق محطة المراقبة الجوية. لكن حقيقة الأمر أنه تمنى على الادارة تنبيه الطيارين الى تلك المسألة.

وفي الامسية عينها التي مد كولينز الخرائط ورسم عليها الملاحظات ودل ابنتيه على الطريق، كان قسم الملاحة في الشركة يعدل طريق الرحلة ٩٠١ على الدماغ الالكتروني بحيث يضع النقطة النهائية فوق محطة مكموردو للمراقبة. وقضى هذا التعديل باتباع الطريق ليس الى لسان

مكموردو كما هي العادة، بل فوق مرتفعات جزيرة روس حتى جبل اريبوس مباشرة.

وفي سجل كولينز أن خط الطول بالنسبة الى النقطة الأخيرة هو ١٦٤ درجة و٤٨ دقيقة شرقاً. الا أن المعلومات الجديدة التي ادرجت في الدماغ الالكتروني كانت ١٦٦ درجة و٥٨ دقيقة شرقاً.

وادعى موظفو قسم الملاحة لاحقاً أنهم، تبعاً لخطأ طباعي فاتهم اكتشافه طويلا، ظنوا أن إبدال النقطة النهائية لم يزد على ٢،١ ميل بحري (أو عشر دقائق على خط الطول)، وليس ٢٧ ميلا بحرياً أو درجتين و١٠ دقائق على الخط نفسه). ولم يحاول أي منهم الاشارة الى ذلك التعديل على خريطة طوبوغرافية، كما أنهم لم يحيطوا كولينز علماً بالأمر.

وفي الثانية من فجر ٢٨ نوفمبر (تشرين الثاني) بينما كولينز مستغرق في نومه، تمت برمجة التعديل لتلقيمه الدماغ الالكتروني في وقت لاحق من الصباح. وهكذا باتت الخريطة التي دوّن عليها كولينز التعليمات الدقيقة غير ذات فائدة. وهذا يعني أن الطائرة وضعت على خط معين والطيار على خط آخر.

نُذُر الكارثة

مع بروز الشمس في السماء الصافية جثمت الطائرة المجهزة للرحلة القطبية خارج البوابة ٢ في مطار أوكلاند الدولي، وقد رُسم على ذيلها شعار الماوري وهو شعب نيوزيلندة الأصلي، وحملت على جسمها رقم تسجيلها. والطائرة تنتمي الى الفئة ٣٠ من طراز «دي سي - ١٠»، وقد صنعتها شركة ماكدونل - دوغلاس عام ١٩٧٤.

ومنذما اشترتها شركة الخطوط الجوية النيوزيلندية، حلقت تلك الطائرة أكثر من ٢٠ ألف ساعة بأمان. وتمت صيانتها على أدق وجه. وعلى رغم ذلك فلطائرات «دي سي - ١٠» سمعة سيئة لدى الجمهور، خصوصاً بعد سقوط طائرة من هذا النوع في شيكاغو قبل ستة أشهر من الرحلة وعلى متنها ٢٧٣ راكباً قضوا جميعاً. وبقيت جميع الطائرات من نوع «دي سي - ١٠» حول العالم جاثمة على الأرض طوال أسابيع أعقبت الحادث.

وذهب كولينز الى المطار باكراً للتدقيق في جميع الامور ومراقبة الأحوال الجوية. وكان معه معاوناه الطياران غريغوري كاسين وغراهام لوكاس. أما المهندسان غوردون بروكس ونك مولوني فانصرفا الى تحري عشرات الدقائق.

وكان يخيم على محطة الركاب جو غير عادي. فعلى رغم إدراج تلك الرحلة في عداد الرحلات الدولية، الا أن الركاب المتجهين نحو أقصى الارض لم يبرزوا جوازات سفر، والقليل منهم حمل حقيبة. ولم يمروا في المنطقة التجارية المعفاة من الضرائب. وعلى معظم بطاقات السفر

ظهرت عبارة «من أوكلاند الى أوكلاند» مع أن محطة هبوط الطائرة لدى عودتها كانت كرايستشيرش. وكانت غالبية الركاب في منتصف العمر فما فوق. ومعظمهم من نيوزيلندة، باستثناء ٢٣ أمريكياً و٢٤ يابانياً وأوسترالي واحد وخمس نساء بريطانيات وكنديين وآخرين من فرنسا وسويسرا وسواهما. وكان الكل متشوقاً الى بدء الرحلة.

ولم تكن متعة التحليق دافعهم جميعاً. فهناك كريستين نيكولسون، مثلا، وهي معلمة مدرسة نيوزيلندية في السادسة والعشرين كانت حضرت دورة تعليمية من عشرة أسابيع في جامعة كانتربري في كرايستشيرش حول القطب الجنوبي، وشاءت التقاط صور تعرضها على تلاميذها لاحقاً وهي تدرسهم تلك المادة. وهناك أيضاً بفرلي برايس وهي من أشهر متسلقات الجبال في نيوزيلندة، التي وجدت في الرحلة ٩٠١ فرصتها الوحيدة لمشاهدة الجبال القطبية. وقد أخذت معها والدتها البالغة السادسة والثمانين.

وكان على متن الطائرة عدد من الطيارين المتمرّسين. ومن هؤلاء الأمريكية جين فاريل من دنفر، وهي مدربة طيران تستطيع السيطرة على أي جسم طائر، من المقاتلة النفاثة الى طائرة «دي سي - ١٠». وجلس الى جانبها صديقها وزميلها ماريون بارنيك من سان خوسيه في كاليفورنيا. ومن الركاب أيضاً الدكتورة كونستانس كوري وهي طبيبة نفسية أمريكية تعمل في نيوزيلندة. وكانت تلك رحلتها الثانية الى القارة الجنوبية. فقبل ثلاثة اسابيع كانت على متن طائرة اضطرتها الأحوال الجوية السيئة الى تحويل خطها بحيث تحلق فوق مجلدة نينيس والقطب الجنوبي المغناطيسي. لذلك ارتأت الذهاب الى هناك مرة أخرى كيما تتأمل روعة المنظر فوق لسان مكموردو.

وكان بين الركاب من أخذته المصادفة المحض الى هناك. ومن أولئك توم هيندمان البالغ الستين والذي فاز ببطاقتي سفر الى القطب الجنوبي لأنه أحسن تقدير وزن قطعة ثلج في مركز تجاري قريب من مكان إقامته. وأخذ معه احدى صديقاته. وهناك تريفور ماسكيلين الرقيب في الشرطة البالغ السادسة والعشرين والذي ربح الجائزة الاولى في يانصيب نظمته فرقته. وهناك نيكولاس جارفيس البستاني ومحب الأسفار الذي أهدت اليه زوجته الكسيحة بطاقة السفر تقديراً لتفانيه في خدمتها. وثمة ركاب آخرون حصلوا على بطاقات السفر لمناسبة عيد ميلاد أو للنجاح في امتحان.

وفي الثامنة والدقيقة السابعة عشرة صباحاً بالتوقيت المحلي تحركت الطائرة على مدرج مطار أوكلاند وقد تأخرت ١٧ دقيقة عن موعدها. وكان ذلك اليوم ذكرى ميمونة. فقبل خمسين سنة بالتمام، أي في ٢٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٩، أقلع

الأميرال ريتشارد بيرد من البحرية الأمريكية بطائرته «فلويد بينيت» الملقبة «الاوزة التنكية» في أول رحلة فوق القطب الجنوبي.

وكان على متن الطائرة أناس لازمهم بعض خوف قبل إقدامهم على الرحلة. ومن أولئك المضيفة سو مارينوفيك البالغة التاسعة والعشرين والتي تأخرت ذلك الصباح عن موعد حضورها الى المطار للمرة الاولى في ثماني سنوات. والسبب أن منبه ساعتها لم يرن. وهي تلقت مخابرة من قسم مراقبة الموظفين للسؤال عما اذا كانت تود أن تحل مكانها مضيفة أخرى. واذ لم تشأ إزعاج سواها أسرعت نحو المطار وبلغته في عشرين دقيقة. وفي حقيبة يدها التي أُعيدت الى زوجها بعد الحادث عثر على بطاقة خطت عليها رسالة عاطفية اليه وكأنها استشعرت أجلها المحتوم. وهناك مضيفة اخرى هي كاترينا موريسون هزها قبل أسابيع كابوس مقلق. وروت القصة لاحدى زميلاتها، وهي انها كانت تحلق في طائرة تحطمت على جبل مكلل بالثلوج. وبعد الحادث وجد والدا كاترينا أنها وضعت على سريرها جميع البطاقات والهدايا التي تلقتها لمناسبة عيد الميلاد.

قرارٌ حاسم

حلقت الطائرة على ارتفاع ٣٥ ألف قدم (١٠٦٨٨ متراً) فوق جزيرة نيوزيلندة الشمالية بشطآنها التي تتكسر عليها الامواج وأوديتها المغطاة بالأشجار ومراعيها الخضر، قبل أن تحلق فوق الجزيرة الجنوبية ذات الجبال العالية والبحيرات. وعبر جهاز الارسال الداخلي قدم كولينز نفسه بتواضع ومرح الى الركاب. ولما كانت طائرة «دي سي - ١٠» لم تصمم لمشاهدة المناظر الطبيعية والتقاط الصور، فقد طلب كولينز من الركاب الجالسين الى النوافذ تبادل مقاعدهم مع الآخرين كيما يتسنى للجميع كسب أكبر ما يمكن من الرحلة. وأزيح عدد من المقاعد من موضعه وتُرك سواه خالياً كي يتنقل الركاب بحرية من مكان الى آخر ويتعرف بعضهم الى بعض. ودُعوا جميعاً الى زيارة قمرة القيادة للتعرف الى طريقة عمل الطائرة عن كثب. وما لبثت الطائرة أن خلّفت نيوزيلندة وراءها وباتت تحلق فوق المحيط الجنوبي الجامح الذي تهب فوقه الرياح العاتية. ولا بد من ان يكون الركاب شعروا بابتعادهم عن الحياة والحضارة وهم متجهون نحو أشد مناطق الارض وحشة.

وعُرضت الأفلام التي التقطت من فوق القطب الجنوبي وفيه على الركاب. وكان بيتر ملغرو البالغ الثانية والخمسين على استعداد للاجابة عن أسئلتهم. وفي العام ١٩٥٨ كان ملغرو في رفقة السير ادموند هيلاري وآخرين وصلوا الى القطب الجنوبي عبر مكموردو بعد رحلة شاقة فوق الثلوج. وهي الرحلة الاولى على الاقدام بعد رحلة روبرت فالكون سكوت المخفقة

عام ١٩١٢. وفي رحلة استكشافية الى جبال حملايا مع هيلاري عام ١٩٦١ تعرض ملغرو لقضمة صقيع أدت الى بتر ساقيه الاثنتين تحت مستوى الركبة. الا أن ذلك لم يثبط عزيمته. ففي العام ١٩٧٢ أبحر الى نيوزيلندة في سباق عالمي لليخوت. ثم غدا مديراً لشركة كيميائية كبيرة. لكن ذلك لم يمنعه عن قبول مرافقة الركاب في رحلة يوم فوق القطب الجنوبي على متن الخطوط الجوية النيوزيلندية. وكان يروي، عبر جهاز الارسال الداخلي، الوقائع والطرائف والذكريات الشخصية المتعلقة بالقطب الجنوبي. كما كان يذرع الطائرة على رجليه الاصطناعيتين ويتوقف هنا وهناك للاجابة عن أسئلة الركاب.

وبعد انقضاء أربع ساعات على مغادرة أوكلاند بدأ الافق يتلبد بالجليد. ومع الدنو من الدائرة القطبية غابت جميع الألوان باستثناء اثنين: الأزرق الخالص والأبيض الخالص. وهو جو سماوي لا تشوبه الخطوط الرمادية أو الخضراء أو غيرها. وعن يمين الدائرة القطبية ظهرت جزيرة بالني لتسجل النقطة التاسعة من نقاط الرحلة الاحدى عشرة. وكان كولينز ينتظر تقريراً جوياً من مكموردو ليقرر ما اذا كان يستطيع متابعة الطريق الى لسان مكموردو أو يتجه نحو القطب الجنوبي المغناطيسي الأقل إثارة. وجاءه جواب مكموردو أن المسافة من الأرض الى ارتفاع ٣٠٠٠ قدم (٩١٤ متراً) خالية من الغيم، وأن مجال الرؤية ٤٠ ميلا (٦٤ كيلومتراً). وبحث كولينز في الأمر مع طاقم الطائرة وبيتر ملغرو، وقر الرأي على متابعة الطريق الى لسان مكموردو.

وما ان أصبحت الطائرة على الارتفاع المطلوب حتى تولى جهاز الطيران الذاتي حرفها بضع درجات شرقاً نحو كيب هاليت، النقطة التي تسبق مكموردو على الطريق. ولاحظ كولينز الاتجاه الصحيح مرتسماً على اللوحة أمامه. وككل طيار يستخدم طائرة «دي سي - ١٠» كان على ثقة تامة بكفاية جهاز الطيران الذاتي فيها. وهو جهاز يعفي الطيار تماماً من العمل لدى اشتغاله. وتدخل في تركيبه ثلاثة أقسام تعمل في حفظ توازن الطائرة. الا أن كولينز لم يعفِ نفسه من العمل في تلك الاثناء، بل راح يتابع اداء الأقسام الثلاثة كعادة الطيار الكفي. ومتى أصبحت الطائرة فوق مكموردو بات في الامكان تصحيح الاتجاه عبر الاتصال بالمحطة الارضية.

وسرعان ما ظهرت سلاسل الجبال تحت. وتجاوز مجال الرؤية ٣٠٠ كيلومتر من غير أن يحده سوى تقوس الارض. وبعد عبور كيب هاليت وضع الركاب نظاراتهم الشمسية لئلا يؤذي لمعان الثلوج أعينهم

طريق الخطر

نظر كولينز ومعاونوه من حجرة القيادة الى لسان مكموردو الذي يفصله عنهم نحو

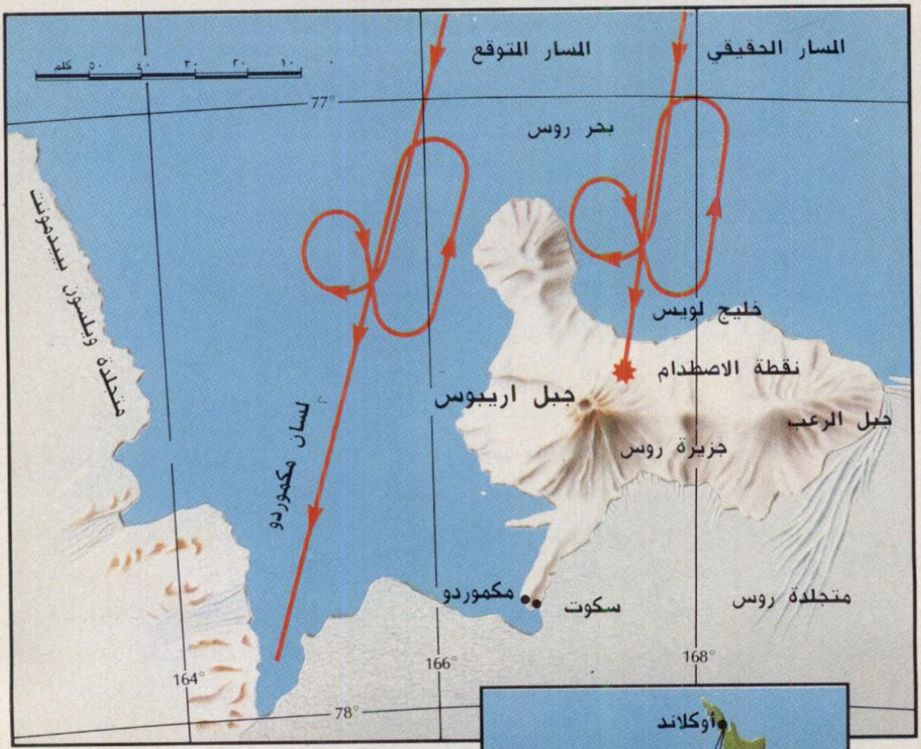

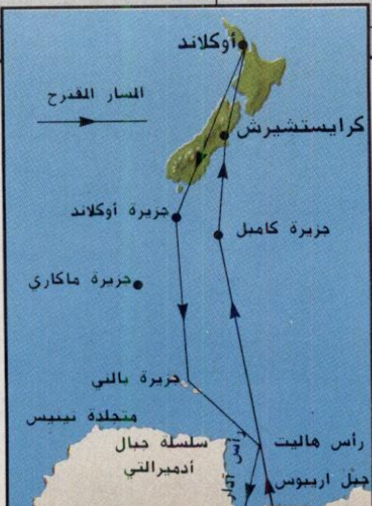

نصف ساعة من الطيران. ولا بد من ظهور جبل اريبوس وجبل تيرور (الرعب) قريباً، وهما أعلى نقطتين في جزيرة روس اذ يبلغ ارتفاعهما ٣٢٦٢ متراً. غير أن سحائب من الغيم بسطت فوق الجزيرة سقفاً يرتفع ٤٥٧٢ متراً، (١٥ الف قدم). وما لم تهبط الطائرة تحت مستوى الغيم فلن يتمكن الركاب من رؤية منطقة مكموردو الرائعة بجلال تحت الشمس.

وفي الثانية عشرة والدقيقة الثامنة عشرة والثانية الحادية والاربعين أعطت محطة

Map Illustrations Rodney Scott

مكموردو اذناً للطائرة بالهبوط حتى ١٨ ألف قدم (٦٤٨٦ متراً). وبعد دقيقة واحدة خاطب المراقب الأمريكي الطيار كولينز: «على دائرة تمتد ٤٠ ميلا (٦٤ كيلومتراً) حول مكموردو لدينا جهاز رادار يستطيع إنزال الطائرة، اذا شئت، حتى ارتفاع ١٥٠٠ قدم (٤٥٧ متراً).»

وتنفس كولينز الصعداء وقال: «هذا هو الخبر السار الذي انتظرناه.»

وتابع طريقه نحو لسان مكموردو وهو يراقب جميع الأجهزة أمامه بتدقيق تام. ووجد البوصلات الثلاث كلها تعمل بانسجام. واستطاع عبر سحب الغيم رؤية مساحات الجليد الواسعة. وعاين فرجة في الغيم يمكنه النفاذ منها الى تحت.

وأعطته محطة المراقبة الأرضية اذناً بالانحدار. وقدّر أن وصوله الى ارتفاع ٦٠٠٠ قدم (١٨٢٨ متراً) يضعه ضمن مجال الرادار الأرضي. وأوقف جهاز الطيران الذاتي وقتياً وحرف الطائرة قليلا عن خطها المرسوم حتى غدت على ارتفاع ١٠ آلاف قدم (٣٠٤٨ متراً) ثم على ارتفاع ٢٠٠٠ قدم (٦٠٩ أمتار).

وأعلن بيتر ملغرو على المذياع: «لن نلبث حتى نحلق فوق المناظر الرائعة.»

وبعد إكمال هبوطه أعاد كولينز جهاز الطيران الذاتي الى العمل وفق الخط المرسوم. ومن حجرة القيادة ظهرت المناظر عن كلا الجانبين. وفهم الملاحون مما رأوه أن الطائرة تحلق ضمن خطها المرسوم فوق لسان مكموردو بعيداً عن الجبال والمرتفعات.

الا أن ذلك لم يكن صحيحاً.

فالمعلومات التي وضعت في الدماغ الالكتروني قبل الاقلاع من غير أن يحاط الربان والملاحون علماً بها وضعت الطائرة في اتجاه آخر. والرؤوس البحرية التي رأوها لم تكن على جانبي مكموردو، بل على جانبي خليج لويس الصغير في جزيرة روس. ولم يكن جبل اريبوس بعيداً الى اليسار. والراجح أن كولينز توقع ذلك الأمر حين وجد الاتصال بالرادار منقطعاً.

وكانت الرؤية واضحة وقد ظهرت في الأفق مساحات الجليد متصلة ببياض السماء. غير أن كولينز ظل قلقاً لعدم حصوله على رسالة الرادار المتوقعة. وقد قيل له أن ينتظرها حين يصبح على بعد ٤٠ ميلا (٦٤ كيلومتراً) من الرادار. ولكن ها هو على بعد ٢٦ ميلا (٤٢ كيلومتراً) من غير أن يحصل على شيء.

وأعلن كولينز: «علينا أن نعاود ارتفاعنا.» وربما قدر أن الارتفاع يصله بمحطة الرادار.

وكانت الساعة الثانية عشرة والدقيقة التاسعة والاربعين والثانية الثلاثين. وانقضت ١٤ ثانية فيها الملاحون يتداولون أمر الصعود على خط مستقيم أو الانحراف يميناً. وفجأة التمع النور الذي يشير الى الاقتراب من الأرض. وجاء صوت الكتروني يقول: «انتبه! انتبه! اصعد

حالا.» ولم يصدق المهندس غوردون بروكس رقم الارتفاع المرتسم على اللوحة أمامه: ٥٠٠ قدم (١٥٢ متراً)، ثم ٤٠٠ قدم (١٢٢ متراً).

وظن كولينز أن بروكس لم يقرأ الرقمين حسناً. ودقق في جهاز الطيران الذاتي فإذا به يعمل وفق الخطة المرسومة له.

وبعد ثانيتين اثنتين اصطدمت الطائرة التي تزن ٢٥٠ طناً بجبل اريبوس.

ولم يعرف الذين على متن الطائرة شيئاً عن مصيرهم المشؤوم، حتى في الثانية الأخيرة. وكان الاصطدام مفاجئاً بحيث لم يرتسم على صفحات أذهانهم. لذلك لم يأتِ عليهم الذعر ولم يبادروا الى الصياح. وحصدهم الموت وهم في عز ابتهاجهم.

أجساد فوق الثلج

ربما كان جبل اريبوس أشد مناظر القطب الجنوبي خرْقاً للمألوف. وأول من رآه كان الكابتن السير جيمس كلارك روس خلال رحلة ملحمية قام بها الى هناك بين ١٨٣٩ و١٨٤٣. واخترق روس بحار الجليد في إبحاره الى أقصى الجنوب قبل أن يبلغ لسان مكموردو. وهناك شاهد جبلا «يقذف النار والدخان بغزارة» وسط عالم يغطيه البياض من كل جانب. وأعطى الجبل اسم سفينته: «اريبوس». وهذه كلمة يونانية تعني «الظلام». وهي، في الأساطير الاغريقية، اسم ابن الفوضى.

وبعد احدى عشرة ساعة من سقوط طائرة الخطوط الجوية النيوزيلندية هناك، حلقت طوافة تابعة للبحرية الأمريكية فوق الجبل وأكدت المخاوف التي تناقلها المعنيون. وانتشر النبأ في العالم: «لقد حددنا مكان الحطام، وهو على ٧٥،٢٦ درجة جنوباً و١٦٧،٢٧ درجة شرقاً. ويبدو أنه ليس من ناجين.» وصُحح المكان بعد ذلك ليغدو ٧٧،٢٥،٣٠ درجة جنوباً و١٦٧،٢٧،٣٠ درجة شرقاً.

وازدادت الأحوال الجوية سوءاً بحيث لم تستطع الطوافة الهبوط. وانقضت تسع ساعات قبل أن تتمكن طائرة مروحية من إنزال ثلاثة متسلقي جبال من قاعدة سكوت النيوزيلندية، وهم هيو لوغان وداريل طومسون وكيث ودلفورد. وربط بعضهم بعضاً بالحبال وتقدموا بحذر في محاذاة الصدوع العميقة نحو الحطام.

وأذهلهم المنظر حين رأوا بطن الطائرة الذي اصطدم بالأرض مبقوراً وسط الثلج. وما زال المحرك الخلفي دائراً حين وثبت الطائرة ٥٧٠ متراً وراح الركاب يتساقطون منها قبل أن تتحطم شر تحطم وتتناثر على الثلج.

وعلى تلك الثلوج القطبية تناثرت الأجساد وقد شوه بعضها بتراً وسحقاً وحافظ البعض الآخر على شكله. وظل الرجال الثلاثة ساعتين يفتشون المنطقة بحثاً عن أحياء، ولكن من غير جدوى. وعثروا على حقائب يد ووسائد ومفكرات وكنزات صوف وساعات وحلى صغيرة.

والواقع أن سكان نيوزيلندة، وعددهم ثلاثة ملايين نسمة، لم يعرفوا كارثة طيران ضخمة كهذه من قبل. وفجأة بدا كأن كلا منهم فقد عزيزاً على تلك الطائرة.

وبعد ساعات من إعلان النبأ عرف كبار المسؤولين في قسم الملاحة في الخطوط الجوية النيوزيلندية أن المعلومات المدرجة في الدماغ الالكتروني عدلت قبل الاقلاع من غير إحاطة الربان وفريقه علماً. ولكن قبل أن تتسرب الحقيقة الى الجمهور أمر مدير الشركة موري ديفيس بوضع جميع الوثائق الخاصة بالرحلات القطبية في ملف واحد، خصوصاً الوثائق المتعلقة برحلة ٢٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٩، وإحالة جميع الوثائق الفائضة على آلة التمزيق.

وأعطي موظفو الشركة الحرية ليقرروا اي الوثائق هي «ذات علاقة» وأيها يجب أن تحال على الاتلاف. ومهما يكن فقد جاء الملف الخاص بالرحلات القطبية مفتقراً الى أهم المعلومات.

وفي اليوم الذي تلا الكارثة توجه موظف من الشركة الى منزل آن كاسين، أرملة الطيار المعاون، ليقدم اليها التعازي باسم اتحاد الطيارين التابعين للشركة. ولم تكن آن، وهي طيارة متمرسة، في البيت. ولدى عودتها أخبرها شقيق زوجها أن

طوافة تنتشل الجثث من بين الحطام.

Captain A.M. Foley

مسؤولا في الشركة طلب وثائق الرحلة التي تسلمها زوجها قبل يوم من الحادث، وأنه أعطاه اياها. ولم يبصر أحد تلك الاوراق بعد ذلك الحين.

فرز الشواهد

ظل العمل جارياً في موقع الحادث لانتشال الجثث ودرس أسباب الاصطدام. وأول المتوجهين الى هناك كان رون تشيبنديل كبير خبراء حوادث الطيران لدى الحكومة النيوزيلندية، ومعه ممثل رفيع المقام للخطوط الجوية النيوزيلندية هو الكابتن ايان غيميل وعدد من رجال الشرطة ومتسلقي الجبال.

وكان هم تشيبنديل الأول العثور على شريط التسجيل الخاص. وهو يحوي كل ما قيل خلال الدقائق الثلاثين الاخيرة من الرحلة ويوجد ضمن علبة برتقالية. وهناك علبة برتقالية أخرى تحوي تفاصيل الطيران بالارقام، بما في ذلك السرعة والارتفاع طوال الطريق مع طريقة تشغيل أجهزة الضبط. ولا يستبعد ان يكون بين تلك الاشياء ما يدل على سبب الكارثة. وسرعان ما عثر أحد متسلقي الجبال على العلبة التي تحوي التسجيل الصوتي. ووجدت العلبة الاخرى في مكان قريب.

وطلب تشيبنديل من المفتشين أن يمشطوا المكان بحثاً عن كل وثيقة وورقة، فيما تولى مسؤولون في الخطوط الجوية النيوزيلندية إرشادهم الى الوثائق المتعلقة بالرحلة. وهذا يعني أن الشركة نفسها تفردت في تقرير أهمية الوثائق، دونما استعانة بمراقب خارجي موضوعي. وأثيرت الشكوك لاحقاً حين تبين أن «الوثائق» تصب كلها في اتجاه واحد، وهو تأكيد نظرية الشركة بإلقاء اللوم على الطيار.

ولم تظهر أي وثيقة ذات علاقة بخطأ الشركة، ألا وهو تعديل المعلومات في الدماغ الالكتروني من غير إطلاع الربان ومعاونيه على ذلك. ومما يزيد الشكوك حدة أن الجزء الوحيد من دفتر كولينز الذي دعاه «ذاكرتي» والذي أعيد الى زوجته كان الغلاف الخارجي، بحجة أن الحادث أتى على الاوراق في الداخل. كما أن الأطلس الذي أخذه كولينز معه بعد تخطيط طريق الرحلة عليه لم يظهر البتة. ومن الغريب أن يكون ذلك المجلد الكثيف تلف في حين عُثر على أعداد كبيرة من الاوراق العادية الرقيقة.

وبعد الفراغ من انتشال الجثث ارسلت جواً الى نيوزيلندة. وأمكن التعرف الى ٢١٤ جثة. أما البقية الباقية فدُفنت في مقبرة جماعية. وأتى الحزن على ضحية اضافية اذ انتحر زوج إحدى المضيفات.

وفي ظرف أيام اختفى شعار الخطوط الجوية النيوزيلندية «لا أحد يبزنا في هذا المضمار» عن لوحات الاعلانات. وأصدرت لجنة فرعية تابعة لمجلس ادارة الشركة أمراً داخلياً يحظر تدوين أي كلام

أو نشره عن أسباب الحادث. وبدا مدير الشركة موري ديفيس، وهو رجل فصيح وذو حيوية بالغة في العادة، مضنىً وقلقاً على شاشة التلفزيون. وهو أمضى أربعين عاماً في تلك الشركة، متدرجاً من ساع بسيط الى مدير. ولم يواجه طوال سنواته الأربعين مأزقاً كهذا. وفي مقال بعنوان «الحياة يجب أن تستمر» نشره في مجلة الشركة جاء: «الرعب الذي ولّده فينا حادث الرحلة ٩٠١ سيواجهنا يومياً الى حين لا نعرف متى ينقضي.» وفي المقال نفسه وردت العبارة الغريبة الآتية: «لا مهرب من تحمل أوهام أولئك الذين يودون التحري عن أسباب خيالية للحادث.»

وكان ديفيس على حق بالنسبة الى الرعب اليومي. وسرعان ما أسفر الحادث عن ضحايا أخرى بينها ديفيس نفسه وسمعة شركته. وبدأت التساؤلات في الوقت الذي كانت آلات التمزيق في الشركة تدور على الشواهد الحاسمة. واستمرت تلك التساؤلات يوماً بعد يوم، خصوصاً ضمن جدران الشركة.

التحليق المنخفض

كان الكابتن غوردون فيت يستعد لقيادة طائرة «دي سي - ١٠» من هونولولو الى لوس أنجلس حين سمع بالحادث. وفيت في السادسة والاربعين وقد أمضى أكثر من ثلاثين عاماً في الخطوط الجوية النيوزيلندية. وصعقه النبأ. وهو رجل

News Limited

الكابتن غوردون فيت جازف بمهنته ليكشف سبب الكارثة.

قصير مكتنز بليغ العبارة مفعم النشاط وذو مبادىء وذهن متقد. وقد كرس حياته لشركته ومهنته على نحو يعسر معه العثور على مثيل له. وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٨ اكتشف فيت طيار «سيسنا» تائهاً فوق المحيط الهادىء الجنوبي وأرشده الى مهبط أمين في جزيرة نورفولك. وتلقى تهنئة موري ديفيس آنذاك على انجازه «البطولي الخارق.»

وكان فيت يعتبر طائرة «دي سي - ١٠» من أفضل الطائرات التجارية. وسبق له أن قاد احداها في رحلة سياحية الى القطب الجنوبي قبل سنتين. وكان له أصدقاء بين ملاحي الرحلة ٩٠١، منهم جيم كولينز نفسه الذي لقنه فيت مبادىء الطيران في السلاح الجوي النيوزيلندي. وكان على

الدوام معجباً بمعرفة كولينز وجرأته. ومرة ضرب البرق طائرة كولينز فور إقلاعها من لوس أنجلس. وتحطم بابان داخليان بفعل الحادث. الا أن كولينز استطاع إنزال طائرته الى الأمان من غير وقوع أي اصابة. ونال على ذلك ثناء الشركة.

أما المهندس غوردون بروكس الذي رافق الرحلة ٩٠١ فكان صديقاً قريباً جداً من فيت. وفي المشاورات التي تجرى بين الطيارين والمهندسين في الرحلات الجوية على الطائرات النفاثة الضخمة، كانت تعليقات غوردون وثيقة الصلة بالموضوع ومتصفة بالدقة والحذر على الدوام. وهو رافق فيت في رحلة قبل أسبوع أو نحوه.

والحق أن ملاحي الخطوط الجوية النيوزيلندية العاملين على الشبكة الدولية يشكلون عائلة متراصة. وبين الذين قضوا في الرحلة أصدقاء للملاحين الذين رافقوا فيت من هونولولو. وأفضى اليهم فيت بالنبأ وقال: «لا تتحدثوا في الأمر، وحاولوا الا تفكروا فيه... ركزوا كل اهتمامكم على الوصول الى لوس انجلس، وهناك نستأنف الموضوع.»

وتمت الرحلة على نحو لم يشبه شائبة، وان عاش الملاحون في جو متوتر. وفي السيارة التي أقلت فيت وملاحيه من المطار الى الفندق أجهش الكل بالبكاء على زملائهم. ولم ينفك أحدهم عن القول: «كيف حدث هذا؟ كيف يمكن أن يحدث؟»

ولم يطرح أي منهم الأسئلة كما طرحها فيت. والواقع أنه أمضى خمس ليال لا ينام وهو يستعيد رحلته القطبية مرة بعد مرة. وكان يذرع الفندق وهو ينظم أفكاره. وفي النهاية وجد بما لا يقبل الشك أن الخطأ عائد الى الطائرة نفسها أو الى خدعة ما، ولكن ليس الى ملاحي الرحلة ٩٠١ بقيادة كولينز. ولكن ما هو ذلك العامل المجهول الذي أدى الى الحادث؟ وكيف ظهر؟ ولماذا؟ أجل، هذه هي الأسئلة الصحيحة، اذ ان كولينز لا يجوز أن يتجه خطأ نحو جبل.

ولما عاد فيت الى نيوزيلندة أزعجه كثيراً الكلام الدائر في صفوف كبار المسؤولين في الشركة، ومؤداه أن كولينز وجه الطائرة وسط الغيم من غير أن يقدر مغبة ذلك. وأدرك فيت أن هذا الأمر مستحيل، إذ لا يعقل أن يصدر عن طيار اسمه جيم كولينز ومهندس طيران اسمه غوردون بروكس.

وسرى في أوساط الشركة أيضاً أن كولينز كان يحلق على ارتفاع منخفض جداً. وهذا غير صحيح كذلك. فالتحليق على ارتفاع ١٥٠٠ - ٣٠٠٠ قدم (٤٥٧ - ٩١٤ متراً) أمر معتاد فوق لسان مكموردو. وفيت نفسه حلق دون مستوى ٣٠٠٠ قدم. والمسؤولون في الشركة يعرفون حق المعرفة أن رؤية المناظر غير ممكنة الا من ارتفاع كهذا. ناهيك بأن مستوى الـ١٥٠٠ قدم لا يُعد منخفضاً اذا اهتدى الطيار بمحطة المراقبة الارضية. وهذا عين ما يحصل فوق أي مطار في العالم. أما الرحلة

٩٠١ فكانت تعمل بتوجيه محطة المراقبة الارضية في مكموردو. الا أن المسؤولين أصروا على عزو الحادث الى كولينز.

ولم يدر في خلد فيت أن شركته على استعداد للتضحية بسمعة كولينز بعد وفاته لانقاذ سمعتها هي. لكن ما رشح الى وسائل الاعلام أكد مخاوفه حين تبين أن المسؤولين لا همّ لهم سوى إلقاء اللوم كله على الطيار جيم كولينز.

والى حرصه على سمعة زميله وصديقه الراحل كان فيت مهتماً بالشق المهني للموضوع: فاذا أبقي سبب الحادث طي الكتمان، أفلا يعني هذا إمكان تكراره؟ ولم يألُ فيت جهداً في ساعات فراغه في جمع كل وثيقة خطية أو شفوية ذات صلة بتلك الرحلة المشؤومة.

وخلال تحريه الأمر عرف فيت أن الكثير من الحوادث الجوية فوق القطب الجنوبي متعلق بالرؤية. ومن الأخطار الرئيسية ظاهرة الابيضاض، أي امحاء الافق بين الأرض والسماء. الا أن الشركة لم تعمد مرة واحدة الى إنذار طياريها حول ذلك الخطر. واختراق حجاب الغيم للوصول فوق منطقة مكموردو - وهو ما طلبت الشركة من الطيارين فعله - هو هو ذاك الخطر بالذات.

رفض مذهل

لم يكتفِ فيت بنظرية الابيضاض تفسيراً للحادث. فإن طياراً محنكاً مثل كولينز، وإن فاتته رؤية جبل اريبوس عن بعد ١٥٠ متراً لوصوله خطأ الى هناك، لا يحتمل أن يكون وصل من تلقائه الى الجبل. لذلك أراد فيت أن يعرف ما الذي وضع جبل اريبوس في مسار الطائرة.

ثم سمع بعض الكلام الدائر في الشركة حول التعديل الذي أدخل على الدماغ الالكتروني ووضع الجبل في طريق الرحلة ٩٠١. عندئذ قدر أن يكون كولينز، لدى مشاهدته الارض تحته، ظن أنه في الاتجاه الصحيح. وأكد ظنه رأي بيتر ملغرو متسلق الجبال والدليل المتمرس في منطقة مكموردو.

وهكذا اتضحت الامور أكثر في ذهن فيت. فالمسألة تعود أولا الى تعديل ملاحي أخفي على ملّاحي الطائرة ووضعها في مجال جبل اريبوس. وبعد ذلك يأتي دور كولينز الذي جعله عدم إطلاعه على الحقيقة مع ابيضاض المنظر أمامه وتحته لا يدري على الاطلاق أنه يدنو من الجبل.

وصمم فيت على الافضاء باكتشافه الى الشركة، مقدراً أن استمرار المسؤولين في إلقاء اللوم على الطيار سيضعهم جميعاً في موقف مربك لدى انجلاء الحقيقة عاجلا أم آجلا. وهذا ليس في مصلحة الخطوط الجوية النيوزيلندية. الا أن موقف المسؤولين ظلّ يقسو أسبوعاً بعد أسبوع حتى انقسمت الشركة كلها تحت شعارين: «خطأ الطيار» و«التحليق المنخفض وسط الغيم.»

ولم يبد رؤساء فيت أي اهتمام بما قاله. والأكثر من ذلك أن الكثير من زملائه وأصدقائه بات يواجهه بنظرة ملؤها التحامل والعداء. وسأله بعضهم: «ما غايتك في النهاية؟» و«إنس هذه المسألة، أتظن أن لك قضية في تحصيل حق أحد؟»

وجاء تقرير رون تشيبنديل في يونيو (حزيران) ١٩٨٠ بعد ستة أشهر من الحادث ليؤكد للطيار فيت أن لا سبيل الى التراجع عن مساعيه.

وتشيبنديل ذو خبرة طويلة في تحري أسباب حوادث الطيران الخفيف، ولكن تنقصه الخبرة في شؤون الطائرات النفاثة. وهو لا يعرف شيئاً عن المشاورة التي تحصل بين ملاحي تلك الطائرات في الجو. وخلص في تقريره الى أن الطائرة كانت تحلق على ارتفاع منخفض ولكن آمن، وأن سبب الحادث المحتمل هو «قرار الربان الاستمرار في ذلك الارتفاع والاتجاه نحو منطقة مجهولة الأفق والمعالم.»

وانتقد الطيار المساعد غريغوري كاسين لاخفاقه في تسجيل القياسات بدقة. ولم يجد التقرير أي مصدر للخطر في ظاهرة الابيضاض القطبي أو في تبديل نقطة الرحلة الاخيرة التي وجهت الطائرة نحو جبل اريبوس. وادعى تشيبنديل أن الجبل لا بد من أن يكون ظهر على رادار الطائرة. وعوَّل على شريط التسجيل لتأكيد ما ذهب اليه المسؤولون في الشركة.

غير أن جزءاً كبيراً من تقرير تشيبنديل ظل مفتوحاً للانتقاد، خصوصاً من طيار متمرس مثل فيت الذي كان يعرف جيداً أن جهاز الرادار في طائرة «دي سي - ١٠» صُمم لتحري الرطوبة المنذرة ببعض الاضطرابات الجوية المحتملة. وهذا الجهاز لا يستطيع التقاط الشواهد من صخور اريبوس وثلوجه الجافة، الأمر الذي أكدته الشركة المنتجة لاحقاً.

كما أن الشريط الذي سُجلت عليه المحادثات خلال الدقائق الثلاثين الاخيرة من الرحلة لا يستطيع تفسيره جيداً الا شخص واسع الاطلاع على الدقائق التي تدور بين الملاحين في الجو. والكثير من التعليقات إشاري وليس كلامياً، أي أنه يحصل بإغماض عين أو رفع حاجب. وهذا يعني أن الملاحظات الصوتية لا تحمل كل ما يجري. وفي أي حال فالكلام المسجل على الشريط أعطي في ما بعد تفسيراً مختلفاً تمام الاختلاف عن ذاك الذي أعطاه تشيبنديل.

وبعد صدور التقرير المذكور كان غوردون فيت أول الزائرين صباحاً لمنزل ماريا كولينز، وهي أمضت الأشهر الستة الأخيرة تحت وطأة كابوس ثقيل بعد فقدها زوجها وتفردها بتربية بناتها الاربع.

وهناك أمر آخر أزعج ماريا، وهو سرقة غامضة حصلت في منزلها. واكتفى السارق باختلاس مجموعة مراسلات بينها وبين محاميها حول تقرير أولي أرسله اليها تشيبنديل طالباً رأيها فيه.

وبادرها فيت: «أود أن تعرفي أنه مهما قال الناس من كلام فليس جيم مسؤولا عن الحادث. وأؤكد لك أنه لم يكن مسؤولا عنه البتة، وأن ثمة أسباباً أخرى أعمق كثيراً من تلك التي أعلنت. وأنا أعرف هذه الاسباب. وسواي سيعرفها قريباً.» وكان ذلك أول تأكيد جازم تسمعه ماريا.

تحقيق طويل

في تلك الأثناء دعا عدد كبير من السياسيين والطيارين والمواطنين الذين لم يقنعهم التقرير الى فتح تحقيق قضائي شامل في الحادث. وعينت الحكومة المدعي العام بيتر توماس ماهون، البالغ السادسة والخمسين والذي أدى خدمات جلّى طوال عقد كامل أمضاه قاضياً في محكمة نيوزيلندة العليا، لترؤس لجنة التحقيق الرسمية. وقد عُرف ماهون بسلامة منطقه وهدوئه وسرعة خاطره وقوة ذكائه وذاكرته وحرصه على استقصاء أدق التفاصيل.

واعترف لاحقاً بأنه حين بدأ تحرياته كان يظن أنه لن يلبث حتى يؤكد نتائج تقرير تشيبنديل. وخبرة ماهون الوحيدة في الطيران كانت خبرة راكب. الا أنه أكب على كتب الطيران وسواها من الكتابات المتعلقة بالتكنولوجيا والادمغة الالكترونية والرادار وتوزيع العمل على الملاحين أثناء التحليق. وأمضى وقتاً في نموذج «دي سي - ١٠» مصغر وهو يطلع على كل شاردة وواردة فيه. وراجع معلوماته القديمة في علم المثلثات كيما يتسنى له حساب كل ما يتعلق بالمسافة والارتفاع واتجاهات الرادار الخاصة بالرحلة ٩٠١. وفي الذكرى السنوية الاولى للكارثة طار الى القطب الجنوبي وعاين جبل اريبوس من طائرة مروحية وهو يختفي ضمن وشاح من بياض. وفتح تحريات استغرقت ٧٥ يوماً، استمع خلالها الى ٦١ شاهداً اختيروا من الخطوط الجوية النيوزيلندية والطيران المدني واتحاد الطيارين ووزارة المواصلات ومؤسسات أخرى، فضلا عن ورثة الضحايا. وفي النهاية تجمعت لديه ٣٤٥١ صفحة من الشهادات والاعترافات مع ٢٨٤ رسماً.

وبدا أن أحداً لم يكن وثيق الصلة بذلك الموضوع أكثر من غوردون فيت. وقبل بدء التحريات هاله أن يرى بعض كبار المسؤولين في شركته يرسمون حول أنفسهم خطوطاً دفاعية. وانقسمت الشركة فريقين، أحدهما يضم الطيارين العاديين ومهندسي الطيران، والآخر مديري الشركة وطياريها المسؤولين إدارياً. وكانت صداقات فيت القوية حتى ذلك الحين لا تزال تميل الى الجانب الثاني. وآمله، وهو طيار اداري مسؤول، أن يكون الوحيد في فئته يقدم شواهد لا تنسجم وموقف الشركة. الا أن اتحاد الطيارين أبدى إعجاباً شديداً بالتحريات المنفردة التي أجراها فيت حول الحادث والتي عول عليها الاتحاد في شهادات أعضائه أمام ماهون.

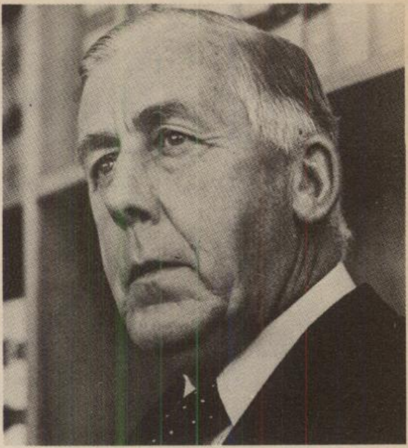
NZ Listener

القاضي بيتر توماس ماهون الذي برأ طاقم الطائرة.

واحتوت بعض الشهادات التي سمعها القاضي على عناصر غريبة حقاً. ومنها اقتراح مدير الطيران المدني أن سبب الحادث قد يكون إصابة كولينز ومعاونه كاسين بداء غامض في الوقت نفسه. ولم يستطع ماهون إخفاء عجبه، بل قال فوراً باقتضاب جاف: «ماذا؟ ظاهرة شاذة جداً؟» وأنكر كبار المسؤولين في الخطوط الجوية النيوزيلندية أي علم لهم بالتحليق المنخفض فوق لسان مكموردو، على رغم افتخار دعاياتهم بهذا الامر وابرازه في الاخبار التلفزيونية والاذاعية والصحافية.

وكرر تشيبنديل ادعاءه أن الرادار من شأنه إظهار جبل اريبوس عبر تحريه الرطوبة. وأضاف أن خبيراً رفض تسميته أكد له ذلك الأمر. الا أن ماهون واجهه بأسماء خبراء معروفين في شركة «بنديكس» الأمريكية التي صنعت ذلك الرادار، وهم يقولون نقيض ذلك. وعاد تشيبنديل يقول، تأكيداً لأدعائه أن الملاحين «لم يكونوا متأكدين من مكان وجودهم،» انه لم يستطع العثور في لسان مكموردو على أي مكان يحمل اسم «ويلسون» الذي سُمع بوضوح على الشريط. غير أن ناطقاً باسم اتحاد الطيارين أشار الى أن مجلدة «ويلسون بييد مونت» الممتدة على طول ٥٠ كيلومتراً هي معلم جغرافي بارز على جميع الخرائط.

وفي شهادته الخطية المقرونة بقَسَم أنكر ايان غيميل أي علم له بتعديل طريق الرحلة لدى جمعه الوثائق في مكان الحادث. وأضاف أنه عرف بالأمر لاحقاً، وأنه سقط عليه «سقوط قنبلة». ولكن ماهون رفض التسليم بصدق هذا الكلام. وأضاف غيميل أن جميع الوثائق التي تم جمعها من مكان الحادث قُدمت الى تشيبنديل. الا ان المستشار القانوني لاتحاد الطيارين اصرّ على ان الاوراق التي وضعت بين يدي تشيبنديل هي تلك التي تثبت نظرية الشركة بإلقاء تبعة الحادث على الطيار.

وصرف ماهون أطول وقت على استجواب الشهود من قسم الملاحة في الشركة الذين حاولوا تفسير التعديل في خط الرحلة. وأصروا كلهم على عزو الأمر الى خطأ طباعي لم يلاحظه أحد.

ووجد ماهون أن أولئك الشهود ومن

وراءهم يحاولون حمله على الاقرار بأنه يعقل ان يكون ٤٧ خطأ طباعياً ارتكبها ١٥ شخصاً خلال ١٤ شهراً فاتت جميع المعنيين. وتبين له أن تلك الأخطاء المعترف بها ما هي الا محاولة مخفقة لاخفاء الحقيقة المرة، وهي أن ٢٥٧ شخصاً لقوا حتفهم نتيجة تعديل خط الرحلة الذي أُلقم الدماغ الالكتروني فيما أبقي خارج دماغ الطيار جيم كولينز وزملائه.

فوق البركان

مع بدء الرحلات الجوية الى القطب الجنوبي عام ١٩٧٧ اتخذت دائرة الطيران المدني النيوزيلندية قراراً غريباً حين سمحت للطائرات بالتحليق على ارتفاع ١٦ الف قدم (٤٨٧٧ متراً) فوق جبل اريبوس، متجاهلة الأخطار البركانية التي ينطوي عليها ذلك المكان.

لكن مخططي الرحلات فعلوا حسناً بإقلاعهم لاحقاً عن تلك الطريق والاستعاضة عنها بالتحليق فوق لسان مكموردو بمساعدة محطة المراقبة الأمريكية. وفي الخط الجديد كان جبل اريبوس الى اليسار. ولدى إقرار تلك الطريق نهائياً عام ١٩٧٨ لتلائم جهاز الطيران الذاتي، باتت جميع الرحلات السياحية القطبية تصل حتى لسان مكموردو على زاوية من ١٦٤ درجة و٤٨ دقيقة شرقاً. ولكن ها هم الشهود الناطقون باسم الشركة يقولون ان الرقم ١٦٤ هو خطأ طباعي أدرج مكان الرقم ١٦٦. ولكن أي خطأ طباعي هو هذا، وجميع الطيارين يعرفون أن الزاوية الطولية فوق منطقة مكموردو هي ١٦٤؟

وأنكر شهود قسم الملاحة معرفتهم بالخرائط الاعلانية التي حملت الرقم ١٦٤ أو مسؤوليتهم عنها. وقالوا ان أفضل معلوماتهم تشير الى أن جبل اريبوس كان دائماً من معالم الرحلة، وانهم لم يبدلوا شيئاً جوهرياً حين أدخلوا التعديل البسيط على الدماغ الالكتروني في الطائرة عشية الرحلة. والواقع أنهم عادوا الى الطريق التي أقرت عام ١٩٧٧ وهجرت منذ ذلك الحين، من غير أن يحيطوا كولينز أي علم بذلك.

الا أن أياً من شهود الخطوط الجوية النيوزيلندية لم يعترف بمسؤولية الشركة. واكتفوا بالقول انه ليس من دليل على تضليل جيم كولينز عمداً. وذهب بعضهم الى القول انه كان ينبغي على كولينز اكتشاف ذلك التعديل وهو في طريقه من نيوزيلندة الى القطب الجنوبي. وهذا يعني أن اللوم ما زال منصباً عليه.

ولما اعتلى غوردون فيت منصة الشهادة تكلم بالتفصيل عن خبرته في التحليق فوق القطب الجنوبي عام ١٩٧٧ ومعه بيتر ملغرو معلقاً ودليلا. وأضاف أنه أعطي اذناً بالتحليق في اتجاه لسان مكموردو على ارتفاع ٣٠٠٠ قدم (٩١٤ متراً). وقال انه يثق تماماً بدقة جهاز الطيران الذاتي الذي ادخل على طائرة «دي سي - ١٠». وانتقل

الى الكلام عن الركاب الذين رافقوه في تلك الرحلة، وبينهم جون بريزندين الذي كان آنذاك رئيساً لشركة مكدونل - دوغلاس منتجة الطائرة «دي سي - ١٠». وكتب بريزندين مقالا عن تجربته تلك ورؤيته لسان مكموردو من مسافة قريبة. وأرسل نسخة من ذلك المقال الى موري ديفيس الذي تولى نشره في مجلة «ترافيلينغ تايمس» التابعة للشركة. ووزعت مليون نسخة من تلك المجلة، الأمر الذي يعني أن كل عائلة في نيوزيلندة حصلت على واحدة.

وأوضح فيت أن أحداً من مدربي الشركة لم يطلعه على خطر التعمية الناشئة عن اختلاط البياض قبل رحلته القطبية عام ١٩٧٧ أو في أثنائها. وقال ان ملاحي الرحلات القطبية جميعاً تصرفوا على غراره، أي أنهم لم يعيروا ظاهرة الابيضاض اهتماماً لأن أحداً لم يلفتهم اليها. وهكذا تم التحليق فوق القطب كما لو كان يحصل في مكان اعتيادي. واستناداً الى صداقته مع كولينز وطاقمه والى خبرته الشخصية في قيادة طائرة «دي سي - ١٠» أعطى فيت تفسيره الخاص لشريط التسجيل الذي حوى ما قيل في حجرة القيادة خلال الدقائق الثلاثين الأخيرة من الرحلة المشؤومة. وأضاف أن خبير نيوزيلندة الرسمي المختص بحوادث الطيران «ضلّل الجمهور على نحو خطِر» عبر تقريره.

وقال فيت أخيراً: «ان تدريب ملاحي الرحلة ٩٠١ على رحلتهم القطبية جعلهم يتوقعون دخول منطقة مكموردو من لسانها البحري. وكانت تصرفاتهم كلها طوال الطريق منسجمة مع هذا التوقع.»

سلسلة أكاذيب

في ابريل (نيسان) ١٩٨١ بعد أشهر من الاستجوابات والتحقيقات والتأمل أصدر ماهون تقريره، وفيه يبرىء الملاحين. وغدا ذلك التقرير المكتوب بلغة موضوعية بليغة من أكثر الكتب رواجاً في نيوزيلندة.

ومما جاء في التقرير: «لقد وُجهت الطائرة بواسطة جهاز الطيران الذاتي نحو هلاكها. والسبب الفعلي الوحيد للكارثة هو الخطأ الذي ارتكبه المسؤولون في الشركة الذين وجهوا الدماغ الالكتروني الى التحليق بالطائرة فوق جبل اريبوس من غير إحاطة الملاحين علماً بالأمر. والخطأ عائد مباشرة ليس الى الأشخاص الذين ارتكبوه بمقدار ما هو عائد الى طريقة تسيير الاعمال الادارية في الشركة.»

ومما سجله ماهون أن الشهود الذين تكلموا باسم الخطوط الجوية النيوزيلندية اتفقوا في ما بينهم، كما يبدو، على خطة سابقة لتزوير الواقع. وتطرق الى إخفاء الشواهد الأساسية والسرقة التي حصلت في بيت كولينز. وقال ماهون: «أجد نفسي مرغماً على الاقرار بأني كنت أستمع الى سلسلة من الأكاذيب.»

'The Sky is Our Limit'

WE LEAD.. AND BY FAR

% OF TOTAL NEWSWEEKLY MAGAZINES SALES IN GREATER BEIRUT
EXTRACT OF A BOOKSHOPS SURVEY CONDUCTED BY C.E.P.I
IN SEPTEMBER 1984
SPONSORED BY LES EDITIONS ORIENTALES, LA REGIE LIBANAISE DE PUBLICITE,
H&C/LEO BURNETT, L'ORIENT-LE JOUR,
STRATEGIES AND TAMAM S.A.L

النهار العربي والدولي

an nahar arab & international

مجلة كل لبنان، مجلة كل اللبنانيين

exclusive advertising representative **TAMAM S.A.L**

صديق العمر

اشتركوا في المختار

الاسم : .... NAME
العنوان : .... ADDRESS
....
المهنة : .... PROFESSION
التوقيع : .... SIGNATURE

الاسم : .... NAME
العنوان : .... ADDRESS
....
المهنة : .... PROFESSION
التوقيع : .... SIGNATURE

تملأ القسيمة – بالعربية او الاجنبية – وترسل بالبريد الجوي المسجل (المضمون) مرفقة بشيك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً، وهو بدل الاشتراك بـ١٢ عدداً لمدة سنة، الى العنوان الآتي:

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت. لبنان

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة:

اشتراك في مجلة "المختار".

وجاء ذلك التقرير بالنسبة الى ماريا كولينز وآن كاسين، أرملتي الطيارين اللذين ألقي عليهما اللوم، بمثابة نصر معنوي مبين. وكان فيت في الولايات المتحدة لدى نشر التقرير. وابتهج كثيراً لما عرف بالأمر وأحس أن ساحته بُرِّئت. وانتظر أن تعلن الشركة أسفها وتستمد عبرة من الماضي وتبني مستقبلها على أساس أفضل.

الا أن شيئاً من ذلك لم يحصل. وحين عاد فيت الى نيوزيلندة وجد شركته مصرة على موقفها القديم عينه. كما أن تشيبنديل لم يكن مستعداً للاعتراف بأي خطأ. وأعلن موري ديفيس في البداية أنه لن يتخلى عن منصبه كمدير للشركة. غير انه وجد نفسه مضطراً، بعد أسبوع، الى التقاعد «من أجل مصلحة الشركة.» وأمل أن يكون في تقاعده إسكات لمنتقدي الشركة: «لقد حصلوا على فِدية... فليصمتوا الآن.»

وعُلقت وظائف اثني عشر شخصاً من كبار المسؤولين في الشركة انتظاراً لانهاء تحقيقات الشرطة. لكنهم ما لبثوا أن بُرِّئوا جميعاً. الا أن استقالة ديفيس لم تحمل سائر المسؤولين على إعادة النظر في موقفهم، بل تمسكوا بنظريتهم الاولى.

وعندما زار غوردون فيت مقر الشركة أغلقت في وجهه الابواب التي كانت مفتوحة على الدوام. وحافظ معظم الطيارين والملاحين على صداقتهم معه. الا أن كبار المسؤولين والاداريين وجدوا فيه عدواً.

ولم يأبه فيت للأمر بعد تحقيق غايته، ألا وهي إنصاف جيم كولينز وطاقمه، وإن يكن ذلك تم على حساب وظيفته في الشركة. وقال يوماً لزوجته ايلي، وهي مضيفة سابقة في الشركة: «ربما كان أفضل لي أن ألزم الصمت.» وأجابته: «اذا كنت على حق، فلا يحق لك أن تصمت. ولا بد من أن يصغي الناس عاجلا أم آجلا الى ما تقوله.»

حكم على القاضي

حتى ذلك الحين لم يحاول أي من اداريي الشركة التشكيك في كفاية فيت. لكن رؤساءه باتوا ينتظرون أقل خطأ منه لاضعاف موقفه. وفي أغسطس (آب) ١٩٨١ كتب فيت الى مدير الشركة بالوكالة جون ويزدوم: «انه لمن دواعي خوفي وخيبتي أن الاحظ ازدياد الجو المعادي لي داخل الادارة. وهذا يخلّف أثراً سلبياً في معنوياتي وثقتي بنفسي وبمستقبل هذه الشركة.» واقترح البحث في حادث جبل اريبوس سراً مع المسؤولين من أجل سدل الستار عليه.

لكن تلك الرسالة بقيت بلا جواب. وفي مايو (أيار) ١٩٨٢ استقال فيت من الشركة قبل سبع سنوات من الموعد الذي وضعه لنفسه أصلا، بعدما فقد ايمانه بتلك المؤسسة ويئس من امكان إصلاحها.

وهكذا تخلى عن وظيفة تدرّ عليه مئة ألف دولار نيوزيلندي سنوياً. واعتزل وزوجته حياة المدينة وذهبا الى منطقة سياحية على بحيرة تاوبو ليديرا فندقاً.

وفي تلك الأثناء طعن مدير الشركة السابق موري ديفيس وكبير طياريها ايان غيميل في تقرير ماهون، وأحالا الطعن على محكمة الاستئناف النيوزيلندية. وأصدرت المحكمة المذكورة قرارها في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨١ من غير أن تشكك البتة في أسباب الحادث كما وصفها ماهون. وأكدت «العمل غير الدقيق داخل الشركة،» ولم تستبعد أن يكون بعض الشهود لجأ الى الكذب. الا ان محكمة الاستئناف برأت الشركة من «الخداع المتعمد وإخفاء الحقائق.» وعزت حكم ماهون الى حماسته المفرطة ضد الشركة، وقالت انه لم يستند الى أي حجة قوية حين تحدى صحة اعترافات الشهود.

وكان رد فعل ماهون فورياً ولا مثيل له في تاريخ بلاده القضائي. والذي دفعه اليه كان شعوره بأن كرامته جُرحت وسلطانه أُضعف. وأعلن بادىء الأمر أن اثنين من القضاة الذين شاركوا في اصدار قرار محكمة الاستئناف لا يحق لهما الاشتراك لعدم تجردهما. فللاثنين أنسباء في الشركة، وبالتالي يحق لهما السفر في طائراتها بحسم ٩٠ في المئة من التعريفة.

وبعد ذلك استقال ماهون من محكمة نيوزيلندة العليا كي يتسنى له الوقت الكافي لمتابعة القضية. ورفع دعوى على محكمة الاستئناف لإصدارها ذلك القرار. وموّلت الحكومة دعواه وأحالتها على أعلى هيئة ممكنة، وهي مجلس الشورى الملكي في بريطانيا.

وهناك اجتمع خمسة من كبار القضاة البريطانيين للنظر في مرافعات المحامين المدافعين عن ماهون وعن الخطوط الجوية النيوزيلندية. وامتدح القضاة «التحريات الدقيقة والرائعة» التي أجراها ماهون. وأكدوا من غير أدنى تحفظ كون المسؤولين في الخطوط الجوية النيوزيلندية وكبار طياريها أدلوا بشهادات كاذبة حول التحليق على علو منخفض، ورموهم بالسذاجة القصوى لعدم تورعهم عن الادلاء بشهادة من ذلك النوع. كما أقروا رأي ماهون الذي يعزو سبب الحادث الى تعديل برنامج الدماغ الالكتروني والى البياض الذي وصل الارض بالفضاء. وهذا يعني أنهم رفضوا ادعاء الشركة أن اللوم يقع على عاتق الطيار، وانهم وضعوا اللوم عليها في ذلك الحادث الذي أودى بحياة ٢٥٧ شخصاً.

وأضاف القضاة البريطانيون على نحو لاذع: «انه لضعف بشري مفهوم أن يلجأ بعض أفراد الادارة الى الانكار، حتى أمام أنفسهم، أن ما فعلوه أو عجزوا عن فعله هو سبب تلك الكارثة المروعة.»

الا أن قضاة مجلس الشورى الملكي لم يجدوا دليلا على تآمر ادارة الشركة. والحق

Anthony Henry Auckland

دوّن الكابتن كولينز تفاصيل الرحلة في دفتر كان يدعوه «ذاكرتي». ولم تتسلم أرملته الا الغلاف هذا الدفتر.

أن ماهون بنى ذلك على تقديره الشخصي وليس على اعترافات الشهود. لكن المهم في الأمر أن المجلس أكد تقرير ماهون من حيث سبب الحادث. وعبّر القضاة البريطانيون عن أملهم في أن تبرد العواطف حول ذلك الموضوع.

والواقع أن المرارة انحسرت، لكن اهتمام الجمهور بالامر لا يزال كبيراً. ومما يلهب حماسة المواطنين التعليقات التي ما برحت تُنشر في الصحف والبرامج التلفزيونية والكتب عن الحادث، وبينها شهادات جديدة.

وبعد صدور قرار مجلس الشورى تابع الرقيب غريغوري غيلبين، وهو أحد الشرطيين الذين فتشوا مكان الحادث في القطب الجنَوبي، شريطاً تلفزيونياً عنه.

وقرّبت آلة التصوير القاضي ماهون وهو يتفحص دفتر الطيار كولينز الذي سماه «ذاكرتي». ويقول غيلبين: «رأيت أن ذلك الدفتر يشبه الذي عثر عليه زميل في مكان الحادث وسلمني اياه. وكان الغلاف الخارجي يحمل اسم كولينز والصفحات الداخلية محفوظة كما هي وقد دُونت عليها معلومات وأرقام متعلقة بالرحلة كما أظن. وتقديراً من زميلي ومني أن ذلك الدفتر بالغ الأهمية، فقد وضعته بعناية ضمن كيس واق وأضفته الى الاشياء الاخرى المهمة التي وجدناها. لكني صُعقت حين رأيت ماهون على الشاشة وهو يحمل دفتراً خالياً من الاوراق.»

لماذا أعطيت أرملة كولينز غلاف الدفتر فقط؟ لماذا قيل لها ان الصفحات الداخلية تلفت؟ ترى أكانت تلك الصفحات تحمل الجواب القاطع عن سبب الحادث وهلاك ٢٥٧ شخصاً؟ هذه الأسئلة لن يقلع المعنيون عن طرحها، الا أن أحداً لن يعرف جواباً كاملا عنها.

وانصرف غوردون فيت الى وضع كتاب

حول الأمر بعدما برّأته أعلى هيئة قانونية في الكمنولث البريطاني. وهو يحمل عنوان «أثر اريبوس». وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٣ بدأ العمل في فيلم من وحي هذا الكتاب. وقد خصص فيت أرباح كتابه في نيوزيلندة وخارجها لبرنامج دراسي حول سلامة الطيران تولى هو نفسه التخطيط له. وبين الاشخاص الذين اختارهم أمناء على المشروع الكابتن شيم داود الرئيس السابق لاتحاد الطيارين، والقاضي ماهون. ويضم البرنامج لجنتين، إحداهما مؤلفة من أطباء عيون وعلماء نفس وطيارين وغايتها مراجعة طرائق تدريب الطيارين حول العالم وتوحيد وسائل التعاون بين الطيارين والمهندسين أثناء التحليق، والاخرى مؤلفة من طيارين سابقين يتمتعون بمعارف هندسية والكترونية. وقد صمم هؤلاء آلة اختبارية لتحري أي خطأ في معلومات الدماغ الالكتروني وإنذار الملاحين.

وليس عجيباً أن تكون الخطوط الجوية النيوزيلندية أسرعت الى استعادة بعض سمعتها الضائعة. وقد أعيد تنظيم الادارة وطرائق عملها وعدلت مقاييس السلامة وبات العمل اليومي يتم بدقة غير معهودة.

ومع ذلك كله فإن ارواح الضحايا الذين قضوا فوق جبل اريبوس لم تسترح تماماً بعد. ويبدو أن شبح الرحلة ٩٠١ لا يزال مخيماً على نيوزيلندة وسياسييها وشعبها والشركة التي نظمت تلك الرحلة المشؤومة. لكن هذا الشبح لا يطارد احداً كما يطارد غوردون فيت. وفي يوم صاف كان يصطاد سمك التروتة في بحيرة تاوبو. ونظر الى قمة جبل روابيهو المغطاة بالثلج وتساءل من جديد: «ترى كيف سمح لتلك الكارثة بأن تحدث؟»

وعلى جبل اريبوس نفسه نصب من خشب تعبره العواصف الثلجية. وقد رآه المستكشف روبرت فالكون سكوت ذات مرة قبل أن يهلك في ذلك المكان وقال: «يا له من موضع رهيب.» وقد خيمت الرهبة من جديد على جبل اريبوس بعد الحادث. كما غابت الطائرات السياحية كلها عن سماء القطب الجنوبي.

■ **موريس شادبولت**

بعد العاصفة

تقول روز كينيدي، والدة الرئيس الامريكي الراحل جون كينيدي، عن مآسي حياتها وقد بلغت الثالثة والتسعين: "لم أتخلَّ قط عن إيماني بأن الله تعالى لا يحملنا ما يتجاوز طاقتنا على الاحتمال. ومهما يكن فو يريد أن نكون سعداء. واذا كانت العصافير تغني بعد ركود العاصفة، فلماذا لا نغني نحن أيضاً؟"

مجلة "باريد"

فندق الشام

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بَل إنه مدينة قائمة بذاتها ... صُمّم على أحدث طراز فني ليوفّر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عمَلك ... فندق الشام يوفّر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحّي وحمّام السِباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة الى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجاريّة ... ولا تنسَ المطعم الدوّار المطلّ على مدينة دمشق التاريخيّة بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميّز بآثار قديمة تُظهر أهميتها الحضاريّة وتقاليدها الأصيلة التي لا زلنا نفاخر بها ونحافظ عليها .

للحجز : فندق الشام ـ ص.ب : ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (٥٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عَراقة في التقاليد

أميرة الحديقة، للويز فايتوزا (البرتغال - البرازيل)